جامعة الجبل الغربي

مجلة الجبل العلمية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن

جامعة الجبل الغربي

العدد الأول

جامعة الجبل الغربي - الإدارة العامة بالزنتان

هاتف: 02462618 , فاكس: 0216064410

journal@aau-edu.org

مجلة الجبل العلمية (العدد الأول)

Aljabal Scientific Journal (First Edition)

University of Aljabal Algharbi

Aljabal Scientific Journal

Peer Reviewed Scientific Journal

Published By

University of Aljabal Algharbi

University Of Aljabal Algharb - Main Administrative Building

Tel: 02462618 , Fax: 0216064410

journal@aau-edu.org

First Edition

مجلة الجبل العلمية

مجلة علمية مُحكَّمة نصف سنوية

تصدر عن

إدارة جامعة الجبل الغربي

التواصل على العنوان التالي :

الإدارة العامة للجامعة ، الزنتان

ليبيا

هاتف : 0944519275

البريد الإلكتروني : journal@aau-edu.org

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة الجبل الغربي

جدول المحتويات

كلمة الافتتاح 3
كلمة رئيس التحرير 4
قواعد وشروط النشر 6
العلوم السياسية والإقتصادية 8
التنمية بين مفهوم تنمية الإنسان وتنمية الاقتصاد..... 9
الأمن القومي في ظل تحولات البيئة الدولية: المفهوم والإبعاد 21
التوافق وعلاقته بالمشاركة السياسية لدى طلاب الجامعة.....49
حقوق الإنسان السياسية المفهوم والإطار النظري.....76
الدراسات الإسلامية و التاريخية.....93
النظام القضائي وتطوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ (12هـ/ 632م - 23هـ/ 643م) 94
الوحي القرآني في رؤى المستشرقين.....107
تأثير المركز في الأطراف.....125
دولة بني العبّاس، ودويلات المغرب: بني مدرار- بني رّستم - الأغالبة.125
"أنموذجاً" 125
المنهج الأركوني في الفكر الاستشراقي.....147
لغة القرآن الكريم.....158
العلوم الزراعية.....171
تأثير أشعة جاما على صبغيات الشعير (Hordeum vulgare L.) في الجيل الإشعاعي الثاني خلال الإنقسام غير الإختزالي 172
العلوم الهندسية.....191

تقويم حالة سطح الرصف الاسفلتي لطريق غريان نالوت (قطاع الزنتان-الأصابعة).....192

تواجدات الأحجار الجيرية في شمال غرب ليبيا و إمكانية الاستفادة منها211

العلوم الطبية و البيطرية.....226

دراسة مقارنة لفترة البقاء على قيد الحياة بعد البدء في عملية الغسيل وبعد زراعة الكلى, وأهم مسببات الفشل الكلوي,وكذلك متوسط أعمار مجموعة من مرضى الفشل في ليبيا.....226

العلوم الأساسية.....242

الأحياء الفطرية المحمولة بالهواء داخل و خارج مستشفى الزّنتان المركزي-ليبيا.....243

Study of the genetic variability in gag gene of the lentivirus.....261

كلمة الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

يسرنا أن نقدم بين أيديكم العدد الأول من مجلة الجبل العلمية بجامعة الجبل الغربي .

أتمنى أن يكون هذا العدد يساهم في تأصيل مفهوم ثقافة التفكير الإبداعي والابتكار وتشجيع القراء على تقديم أفكار إبداعية قادرة على تحسين الأداء في المجالات العلمية والإدارية ، وأن تكون هذه البحوث بهذا العدد تتوافق مع تحديات النهضة والنمو وتواكب التحولات الجديدة في مجالات العلوم والتكنولوجيا التي تخدم في تطوير أداء المؤسسات التعليمية والهيئات العامة .

لا شك أن هذه المجلة ستساهم في تبادل الأفكار ومناقشتها وإثراء المعرفة بين السادة القرّاء المختصين في المجالات العلمية والعملية في المؤسسات التعليمية ، كما تهيب بالسادة الذين يرغبون في نشر أبحاثهم العلمية بهذه المجلة وغيرها من المجلات الأخرى بكافة المؤسسات أن تكون هذه البحوث تتناول المشاكل التي يعاني منها المجتمع وان تقدم له الدراسة الكافية والحل الأمثل.

أتمنى التوفيق لهذه المجلة والاستمرارية وكل الشكر لمن أسهم في تقديم ونجاح هذا العدد.

والله ولي التوفيق

أ . د. مفتاح عمر ان حسين

رئيس جامعة الجبل الغربي

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه نتوكل وبه نستعين، نحمده سبحانه كما ينبغي أن يُحمد، ونصلي ونسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد...

تنهض الدوريات الأكاديمية بدور جوهري في حركة البحث العلمي التي تميز المؤسسات الجامعية، فليس شيء أكثر دلالة على وفاء الجامعة بمدلولها الذي قامت من أجله من أن تكون معملاً لإنتاج المعرفة وإغنائها. وليس شيء أقدح لزناد العقول مما يتاح لها من التلاقي والتواصل في نشر إنتاجها واطلاعها على إنتاج غيرها.

وسواء كانت قيمة الدوريات الأكاديمية لدى الباحثين في النشر المحكَّم لأبحاثهم الذي يميز أصالتها ويزنها منهجياً ويقوّمُ اعوجاجها ، أم كانت في إتاحة فرصة النشر الجامعي التي تضع أبحاثهم في أقرب مسافة من ذوي الاهتمام والاختصاص، فإن تألُّف الباحثين حول هذه الدورية أو تلك، وشغفهم بها وانجذابهم إليها، يصب في ما تترامى إليه كل جامعة تعي دورها في صناعة المعرفة وإنتاجها.

فأصالة عن نفسي ونيابة عن هيئة تحرير مجلة الجبل العلمية في إصدارها الأول يطيب لي أن أرحب بالقارئ الكريم باحثاً وناقداً من خلال اطلاعه على مطبوعات المجلة أو موقعها الإلكتروني سواء من الباحثين المهتمين بنشر بحوثهم في المجلة أو طلاب العلم والمعرفة.

إضافة الى التعريف بالمجلة وأنشطتها المختلفة، يوفر الموقع شرحاً مفصّلاً لخطوات التقدم للنشر، كما سيوفر أعداد المجلة تباعاً منذ إصدارها الأول للاطلاع عليها والاستفادة من البحوث العلمية المنشورة بها والتي تغطي مجالات مختلفة من التخصصات العلمية الأساسية التطبيقية والإنسانية .

كما أؤكد هنا أن المادة التي تُقبَل للنشر فيها – كما هو موضح في قواعد النشر التي تتصدَّر كل عدد من أعدادها الصادرة – لا يقتصر على البحوث التي يؤلفها باحث في مجال تخصصه بما يضيف إلى المعرفة فيه ؛ بل تتعدى ذلك إلى المراجعات العلمية والنقدية للبحوث

والدراسات وكذلك مراجعات وعروض الكتب ذات القيمة الفكرية والعلمية والثقافية كما تنشر المجلة وثائق المؤتمرات والندوات العلمية ونتائجها.

نأمل أن تلبي هذه المجلة طموحات الباحثين والمهتمين والنهوض بها نحو الأفضل إقليمياً وعالمياً بإذن الله تعالى ، والدعوة مفتوحة لكل الباحثين والمفكرين والكتاب بالإسهام في استمرار المجلة بتقديم نتاجهم العلمي للنشر ، كما ترحب بآراء القراء والباحثين والكتاب حتى تخرج المجلة في صورتها المثلى .

وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر لمجلس المجلة وهيئة تحرير المجلة كما نخص بالشكر المحكمين والمؤلفين وكل من أسهم إخراج وتصميم هذا العمل حتى يرى النور . نسأل الله أن يبارك عملنا هذا وأن يوفقنا في إداء رسالتنا وتحقيق مبتغانا في تقديم المعرفة الشاملة للارتقاء بوعي المواطن على الصعيد المحلي والدولي والنهوض بأوضاعها في كل المجالات.

رئيس التحرير

2016

قواعد وشروط النشر

1. تنشر المجلة الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية على أن تكون بحوث اللغة الانجليزية مصحوبة بملخص باللغة العربية.
2. يشترط لنشر البحث ألا يكون قد سبق نشره .
3. تخضع البحوث والدراسات للتحكيم العلمي من قبل نخبة من الأساتذة المختصين في موضوعات هذه البحوث تختارهم هيئة التحرير .
4. يعد من قبيل الأوراق البحثية القابلة للنشر في هذه المجلة المراجعات العلمية والنقدية للبحوث والدراسات وكذلك مراجعات وعروض الكتب ذات القيمة الفكرية والعلمية والثقافية كما تنشر المجلة وثائق المؤتمرات والندوات العلمية ونتائجها .
5. الأفكار الواردة بالمجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة.
6. تنشر البحوث والدراسات في المجلة وفق اعتبارات تنظيمية خاصة.
7. المجلة غير ملزمة برد البحوث والدراسات عند استلامها.
8. ترسل البحوث أو الدراسات باسم السيد رئيس تحرير المجلة مرفقة باستمارة طلب النشر والسيرة الذاتية للباحث .
9. الباحث ملزم بدفع جميع النفقات والرسوم التي تقررها المجلة وغير قابلة للاسترجاع.
10. تكتب عناوين الأبحاث بخط 18 وعناوين المؤلفين والعناوين الرئيسية والفرعية وعناوين الأشكال والجداول ويجب أن تكون بخط داكن وحجم.16 .
11. يجب أن يكون البحث مكتوبا بلغة واضحة وبأسلوب علمي ومنهجي وأن يتم مراجعة البحث لغويا من قبل متخصص في علم اللغة، وأن لا يزيد عدد صفحاته عن 30 صفحة بما في ذلك الرسوم والجداول وقائمة المصادر والمراجع.

12. تكتب عناوين الأبحاث بحجم خط 18 ، وعناوين المؤلفين والعناوين الرئيسية والفرعية وعناوين الأشكال والجداول بخط داكن وبحجم خط 16 ، ومتن البحث بحجم خط 14 وبنوع (Arab simpl) على أن تكون المسافة بين السطر والسطر . word (1.5) وعلى ورق أبيض (A4) بمسافة مفردة وبهامش علوي 6 سم ، وهامش سفلي 6.5 سم ، وهامش أيمن وأيسر 4.5 سم ، وبنظام WORD ، و PDF ، وأن يراعى الباحث ترك مسافة بداية الفقرات (TAB) مرة واحدة.

13. الأشكال والرسومات التوضيحية يجب أن تعد باستخدام برنامج Word أو أي برنامج آخر يتوافق معه وترقم تسلسليا وتوضع في أماكنها المناسبة بالبحث ويتم الرجوع إليها في النص بأرقامها على أن تكون الأشكال واضحة ومعبرة عن المطلوب ويترك فراغ) سطر (بين الأشكال أو الجداول والنص السابق واللاحق لها .

14. الهوامش يجب أن ترد بأرقام متسلسلة في آخر البحث وذلك وفقا لترتيب ورودها في البحث مع إرفاق قائمة بالمصادر والمراجع .

15. يجب التقيد بأصول البحث العلمي وقواعده وشكلياته من حيث أسلوب عرض المصطلحات وتوثيق المصادر والمراجع في بيانات كاملة لنشرها.

16. يمكن استخدام المختصرات شريطة أن يكتب المصطلح كاملاً عند وروده في النص لأول مرة.

العلوم السياسية والإقتصادية

التنمية بين مفهوم تنمية الإنسان وتنمية الاقتصاد

د. سليمان محمد عمر منصور
كلية الاقتصاد بالعجيلات – قسم العلوم السياسية
جامعة الزاوية

الملخص:

أصبحت التنمية مطلبا وهدف رئيسي لجميع الشعوب سواء كانت هذه التنمية تنمية اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك وتدور اهتمامها حول العديد من القضايا والأسس والأهداف العامة التي تسعى إلى تحقيقها لصالح الإنسان وذلك من اجل تحقيق إشباع حاجاته المادية والمعنوية، وهو الهدف الأساسي والرئيسي في الحاضر والمستقبل، حيث إن الإنسان هو مصدر التنمية وبدون الإنسان لاتتحقق تنمية ولا تنمية بدون إنسان . وهذا مايتم توضيحه بالتفصيل خلال المباحث الواردة في هذا المبحث.

Abstract:

Development of the concept of human development and the development of the economy

Development has become a requirement and the goal of a major for all peoples, whether economic, social or political, is that the development of this development and spin their attention on many issues and principles and general objectives that seek to achieve for the benefit of rights in order to achieve the satisfaction of material and moral needs, which is the basic and main aim in the present and in the future, since man is the source of development and human Ataathakq without development and no development without human being..

This Maeetm explained in detail during the detective contained in this section.

المقدمـة:

لقد صارت التنمية مطلب من المطالب الرئيسية لكافة بلدان العالم لتوفيرمتطلبات الإشباع للاحتياجات الإنسانية بصورة متنامية ومستدامة، وفي اضعف حدودها للحفاظ على مستوى تلك

الحالة الإنسانية من التردي، حتى تتاح الظروف الملائمة للانطلاق من جديد نحو تحسين تلك الحالة وتناميها .

إن نقطة الانطلاق في مفهوم التنمية الإنسانية هو انه لجميع البشر لمجرد كونهم بشرا حق أصيل في العيش الكريم جسدا ونفسا، ولذلك فإن الرفاه الإنساني في التنمية الانسانيه لايقف عند المعايير ألاقتصاديه ألضيقه أو حتى عند التنعيم المادي أوإشباع الحاجات الاساسيه وما شابه ذلك، ولكنه يمتد إلى الأمورالمعنوية التي توكد سمو الانسانيه أو سمو الإنسان مثل التمتع بالمعرفة، بالحرية، بالجمال، باحترام الذات وتحقيق الذات ولذلك فان مفهوم التنمية الانسانيه أوسع بكثير من مفاهيم التنمية البشرية والذي اقترنت أحيانا مع بعضهما البعض إلى مفهوم مايسمى في الاقتصاد مفهوم تنمية الموارد البشرية باعتبار البشر عنصر من عناصر الإنتاج الرئيسية التي تساهم بشكل مباشر في تحقيق التقدم والازدهار، وترتبط التنمية بالتقدم والتخطيط والإنتاج العام، ولكن النتيجة بالمفهوم العام هي تحسين ظروف المواطنين وتغير مستوى معيشتهم عن طريق تحسين دخلهم الفردي والرفع من مستوى الرعايةالصحية، وتحقيق مؤشرات النمو الاقتصادي والاعتماد على عملية التصنيع من اجل اللحاق بالدول المتقدمة، ونلاحظ من خلال ماسبق ذكره بان التنمية سواء كانت اقتصاديه أو سياسيه أو اجتماعيه أو غير ذلك تدور اهتماماتها حول الإنسان نفسه وحول العديد من القضايا والاسسس والأهداف ألعامه التي تسعى لتحقيقها من اجل سعادة الإنسان، ولهذا فان الإنسان هو غايتها وهدفها ومحورها الرئيسي في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو النواة التي تلتم حولها كل عناصر التنمية بجميع إشكالهاوأنواعهاوأهدافها .

وهذا مأسوف نتطرق إليه في هذا البحث من خلال المباحث اللاحقة بالشرح والتحليل فيما بعد.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أهمية وجود الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم وعلمه مالم يعلم وميزه عن سائر مخلوقاته بالعلم والمعرفة، فرسالة الانسان ألصالحه هي أعمار الكون، وخاصة في هذا العصر يتفق المختصون على إن الإنسان هو محرك عمليه التنمية ومن هذا المنطلق يتضح الأتي:-

1. أهمية الحق في التنمية باعتبار إن جميع مبادي حقوق الإنسان توكد على ضرورةحق التنمية الانسانيه والتنميةألاقتصاديه والاجتماعية .

2. تؤكد على إنالإنسان هو الموضوع الرئيس لعملية التنمية بصورها المختلفة .

3. تظهر أهمية التنمية الإنسانية لما تحتويه من أهداف تضمن التمتع للإنسان بحقوقه الكاملة .

أهداف البحث:

تمثل عملية تنمية الإنسان نظره أكثر شموليه، فهي ترى في التنمية البشرية جوانب أخرى غير ألاقتصاديه والتي تمثل في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والتي يتطلب إنماؤها لدى عامة الناس بحيث تشكل نوع من التوازن في تحقيق مشاركتهم في تكوين النظام السياسي وتحذير في الحياة الاجتماعية .

فروض البحث:

ينطلق هذا البحث من الفرضيةالتالية :-

1. ماهي الأسباب والدوافع التي تواجه تنميه الإنسان ؟

إشكاليه البحث:

تعد مشكله التنمية من أهم المشكلات التي تواجه معظم المجتمعات في الدول النامية وخاصة المجتمعات التي تواجه صعوبة في إيجاد التوازن بين حجم السكان والموارد المتاحة .

منهجية البحث:

1. استخدم الباحث المنهج التحليلي الوصفي، ويتم التركيز على البحث من عدة جوانب أهما:-

أ- الاعتماد على المصادر الأصلية مثل القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، الكتب والدراسات السابقة والبحوث المتعلقة بالموضوع والمقالات وكذلك شبكة المعلومات الدولية "نت" .

- المبحث الأول: تعريف التنمية.

إن تعريف التنمية يتطلب منا الإحاطة بمفهوم التنمية أولا باعتبارها الأساس الذي يتم فهم المصطلح من خلاله، فقد تطور تعريف التنمية وتعددت رؤية الباحثين باختلاف رويتهم وتخصصهم واهتمامهم، ولهذا أخذا العلماء خاصة ينبئون بظهور نظام جديد يحل محل النظام القائم الذي في طريقه إلى الزوال. وبناء على ذلك فإن الأمر يدعونا إلى الخوض في تعريف التنمية من الجوانب التالية :-

أولاً: مفهوم التنمية لغة.

ماخوذه من نما نموا، بمعنى الزيادة في الشئ فيقال نما المال نموا أي زاد وكثر، ومصدره نمى سعى إلى تنمية تجارته، أي الرفع والزيادة في إرباحها ورأسمالها (1) ولم يرد لفظ التنمية في القرآن الكريم، ولكن وردت ألفاظ تحقق الهدف المقصود منها قوله تعالى واستعمركم فيها (2) أي طلب التعمير، إضافة إلى كلمات الأبيات والإحياء ونحوهما، ولكن ورد في ألسنه النبوية ألشريفه لفظ "نموا" في باب الجهاد (3) كما أنه وردت فيه ألفاظ متقاربة منه حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم كل ميت على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمو عمله على يوم القيامة .

ثانياً: مفهوم التنمية اصطلاحا.

عملية شاملة بمختلف المجالات، فيكون تحديدا المفهوم تبعا لهذه الرؤية الشمولية للعملية التنموية (4) على الرغم من ذلك فإن كلمة التنمية بوصفها مصطلحا ذا معنى محددا إذ أطلقت فتتصرف إلى معنى التنمية ألاقتصاديه في الغالب، ذلك أن الفكر الاقتصادي الغربي هو الذي وضع مؤشرات التنمية في العصر الحديث، من خلال منظور اقتصادي صرف، والتنمية Development مفهوم مركزي يتمحور حول الإنسان والمجتمع وهو نقيض التخلف retardation ومفهوم التنمية ذو صلة بكلمة النمو Growth التي يشير بعدها اللغوي إلى النماء (5) إما استخدام الكلمة في المجال الاجتماعي فأنه يحولها للدلالة على عمليات التغير الاجتماعي Social change التي تصيب البناء الاجتماعي عن طريق التطور الطبيعي والتحول التدريجي، وعندما يستخدم مفهوم التنمية في المجال الاجتماعي فأنه يدل على الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنو المجتمع عن طريق زيادة قدرة إفراد المجتمع إلى أقصى حد ممكن لتحقيق اكبر قدر من الحرية والرفاهية للإفراد وبأسرع من معدل النمو الطبيعي (6).

ولقد تعددت مفاهيم التنمية واختلفت باختلاف المنظور الذي نراه من خلاله :-

1- فمن المنظور الاقتصادي: تعني توفير الحد الأدنى من مستوى المعيشة للإفراد والذي يتحقق عن طريق زيادة الإنتاج الذي يؤدي بدوره إلى الرفاهية الاقتصادية التي تحقق معها الرفاهية الاجتماعية، كما أن التنمية من هذا المنظور تعنى خلق اقتصاد قادر على النمو الذاتي.

2- ومن المنظور الفلسفة والإصلاح الاجتماعي: تعني توفر فرص الممارسة للإنسان للحصول على حقوقه الاجتماعية، وتأمين العدل الاجتماعي وتكافؤ الفرص مع تحقيق الرفاهية الإنسانية.

3- ومن خلال المنظور الاجتماعي النفسي: فهي تعنى تحقيق التوافق الاجتماعي للإفراد والمجتمع .

4- ومن المنظور السياسي: فهي تعني توفير فرص تعليمية وصحية وسكنية أفضل مما يتح للإفراد في ممارسة الأنشطة الحياتية في ظل مكانة عالية وقوة نفوذ وكرامة بين الشعوب .

1- إما من خلال المنظور الدين: فنجد التنمية هي مطابقة لسلوك لصحة الاعتقاد الديني وبما يحرر عقل الإنسان وروحه وبدنه فتكون له القدرة على تحقيق خلافته لله في الأرض بسيطرتهعلى بيئة واستغلالها لصالحه .

وبناء على ما سبق فإن التنمية هي عملية مقصورة وليست عرضية حيث أنها تحدث من خلال نشاط وتدخله لتحقيق أهداف معينه، ويمكن بلورة مفهوم التنمية على أنها عملية شاملة تهدف إلى إحداث تغير حضاري يزيد من قدرة المجتمع الذاتية على الاستجابة لإشباع الحاجات الإنسانية

المادية والفكرية والروحية والإبداعية المتجددة لكل من الفرد والمجتمع على السواء (7). وقد عرف بعضهم التنمية بأنها عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة، ولذلك فأن معالجة موضوعات التنمية وما يرتبط بها من إبعاد تستدعي عدم إغفال اتجاهات الفكر السوسيولوجي ونظريات التخطيط الاقتصادي وأفكار التنظيم السياسي التي تضمنتها تلك الموضوعات، والتميز بين مفاهيم متداخلة كالتطور (Evolution) والتقدم (Progress) والتغير (Change) والأعمار والتحسين (pevelapm ent) والذي تستخدمه هذا بمعنى التنمية (8) وعموما وبصرف النظر عن اختلاف دلالات تلك المفاهيم فإن التنمية كعملية لابد أن تتضمن بعدا قصديا إراديا وفعلا مخططا لإحداث تغيرات مرغوبة .

المطلب الأول: تعريف التنمية من قبل هيئة الأمم.

اصطلحت هيئة الأمم المتحدة عام 1956م ينص على أن التنمية هي العمليات التي بمقتضاها توجيه الجهود ولكل الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن (9).

- المبحث الثاني: تطور مفهوم التنمية.

برز مفهوم التنمية Development بصورة أساسيه منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني البارز "ادم سميث" في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحات اللذان استخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا التقدم المادي Material progress أو التقدم الاقتصادي Economic progress، وقد برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين ؛ بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد لأعضائه ؛ بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة وحسن توزيع عائد ذلك الاستغلال (11).

الطلب الأول: دور التنمية الإنسانية في المجتمع.

يقوم مفهوم التنمية الإنسانية على أنها: عملية توسيع خيارات البشر، فمنطق توسيع خيارات الناس يضع أولوية مطلقة لإعمال حرية الاختيار بين البدائل متاحة، الأمر الذي ينطوي بدوره على مركزية الحرية في التنمية الإنسانية، حتى إن بعض الكتابات النظرية الأحدث تساوي بين التنمية

والحرية للبشر أذا لمجرد كونهم بشرا حق أصيل في العيش الكريم، ومعنويا، جسدا ونفسا وروحا ويتفرع عن هذا نتيجتان مهمتان :-

الأولى: ترفض التنمية الإنسانية بداية إي شكل من أشكال التميز ضد البشر على أي معيار كان: النوع أو ألأصل الاجتماعي أو المعتقد أو اللون .

الثانية: لا يقتصر مفهوم الرفاهية الإنسانية في التنمية الإنسانية على التنعم المادي، وإنما يتسع للجوانب المعنوية في الحياة الإنسانية الكريمة ؛ مثل التمتع بالحرية واكتساب المعرفة والجمال والكرامة الانسانيه وتحقيق الذات الذي ينبع من المشاركة الفعالة في شؤون الاجتماع البشري كافة .

وتقوم عملية التنمية الإنسانية على محورين أساسيين :-

أولاً: بناء القدرات البشرية الممكنة من اجل التواصل إلى مستوى راق من الرفاهية الإنسانية، وعلى رأسها العيش حياة طويلة وصحية، واكتساب المعرفة، والتمتع بالحرية لجميع الناس دون تميز.

ثانياً: التوظيف الكفء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني: الإنتاج وفعاليات المجتمع المدني والسياسة .

التنمية الإنسانية إذن ليست مجرد تنمية [موارد بشرية]، أو حتى [تنمية بشرية]، أو وفاء بالاحتياجات الأساسية للناس فحسب، وإنماء هي نهج أصيل للإنسانية في التنمية الشاملة المتكاملة للبشر والمؤسسات المجتمعة، يستهدف تحقيق الغايات الإنسانية الأسمى: الحرية والعدالة والكرامة والإنسانية .

وعليه، فإن أي مفهوم للتنمية أو التقدم ؛ اقتصاديا كان أو بشريا بالمعنى الضيق لايرقى لغنى مفهومنا للتنمية الإنسانية، فقد استقر إن الكائن البشري الغنى، مثلا لايعد متقدما في مفهوم التنمية الإنسانية مادام محروما من الحرية، بالمعنى المتبنى هنا، كما أن خبرة التاريخ القديم والمعاصر تبين أن المجتمعات التي لأتنعم بالحرية لاستطيع حتى أن تحافظ على المنجزات الاقتصادية والتنموية التي حققتها بأي معنى أضيق من التنمية الإنسانية، ولاتقدر على إن ترتقي معارج التقدم الإنساني السامي (12).

المطلب الثاني: أهداف التنمية الإنسانية في المجتمع.

إن هدف التنميةالإنسانية هو إيجاد بيئة تمكن الناس من التمتع بحياة طويلة وصحية وخلاقه وعملية، وتوسيع نطاق خيارات جميع الناس في المجتمع في جميع ميادين سعيهم بتمكينهم من القدرات والفعاليات الأساسية وإتاحتهم الفرص لإعمالها (13) إن هذا المفهوم إذن يحيل على مفهوم أساسي هو مفهوم التمكين للإنسان على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهذا ما

يبرز من خلال المؤشر المعتمد في تصنيف الدول والذي يركز على جوانب أساسية بمثابة حريات أساسية وهي:

1- الحريات السياسية أي ألقدره على تحديد من ينبغي أن يحكم ووفق أية مبادي والقدرة على مراقبة الحكام ومحاسبتهم .

2- التسهيلات الاقتصادية، أي القدرة على الحصول على الموارد الاقتصادية والاندماج السلس والفعال في الحياة الاقتصادية .

3- القدرات الاجتماعية ويقصد بها ألقدره على الولوج للخدمات الاجتماعية الأساسية وهي التعليم والرعايةالصحية .

4- القدرات ذات العلاقة بالشفافية والولوج السلس إلى المعلومات خاصة تلك المتعلقة بتدبير الشأن العام .

5- القدرة على العيش الأمن، بمعنى وجود شبكات للأمن الاجتماعي قادرة على حماية حقوق ومصالح مختلف المجموعات في المجتمع .

إذا كان هذا هو المفهوم المعتمد للتنمية على المستوى العالمي، فما هي حقيقة الوضع في الدول النامية (14).

المبحث الثالث: الاختلاف بين التنمية الإنسانية والتنمية البشرية.

لا يوجد اختلاف إنما استعمال مصطلح التنمية الإنسانية يعبر عن ثراء مضمون التنمية المتبنى في تقارير الأمم المتحدة، والمشكلة في الترجمة واستعمال المفردات ذلك أن الترجمة إلى اللغة العربية بالتنمية البشرية كانت – إلى حد ما – معيبة والتنمية الإنسانية تعبر أفضل باللغة العربية عن هذا المفهوم والثراء الذي تملكه اللغة العربية غير موجود في اللغات الأوروبية .

إن نقطة الانطلاق في مفهوم التنمية الإنسانية هو أنه لجميع البشر – لمجرد كونهم بشرا – حق أصيل في العيش الكريم جسدا ونفسا، ولذلك فإن مفهوم الرفاه الإنساني في التنمية الانسانيه لايقف عند المعايير الاقتصادية ألضيقه أو حتى عند التنعم المادي أو إشباع الحاجات الأساسية وما شابه، ولكنه يمتد إلى الأمور المعنوية التي تؤكد سمو الإنسانية وسمو ورفعة الإنسان مثل التمتع بالمعرفة، بالحرية وتحقيق الذات، ولذلك فإن مفهوم التنمية الانسانيه يغطي بشكل أوسع بكثير القيم الانسانيه من مفاهيم التنمية العادية، حتى أن مايسمي بمفهوم التنمية البشرية الذي اختزلأحيانا في تقارير التنمية البشريةالدولية إلى مفهوم يسمى في الاقتصاد مفهوم تنمية الموارد البشرية باعتبار أن البشر عنصر من عناصر الإنتاج يجب إعداده وصيانته لكي تكون إنتاجية مرتفعه، والتنمية الانسانيه هي تنمية الناس ومن اجل الناس ومن قبل الناس وإذا كان يتعين إن يكون الناس هم محور التنمية ولهم دور رئيسي في تطورها (15) . كما أن التنمية البشرية هي

توسيع لقدرة الإنسان على بلوغ أقصى ما يمكن بلوغه من حيث هو فرد أو مجتمع ذو إفراد كثيرة، وذلك بزيادة إمكانياته التي ليست القدرات الاقتصادي هالا مجرد جانب منها ومن هنا لابد إن تكون السياسات التنموية بالضرورة متعددة الأفاق، الاقتصادية فحسب وهكذا فالتنمية ذات إبعاد مادية اقتصادية وإبعاد إنسانية بشريه قائمة على التثقيف وتطوير مؤهلات الكائن البشري عن طريق استثمار قدراته الذاتية للتأقلم مع ووضعيات المجتمع المعقد .

المطلب الثالث: الاختلاف بين مفهوم النمو ومفهوم التنمية.

النمو: هو العملية ألطبعيه والتلقائية التي تحدث في المجتمعات دون تخطيط مسبق أو دراسة، وعلى سبيل المثال لا الحصر النمو السكاني، فحين نجد إن التنمية بمفهومها الصحيح هي على النقيض من ذلك وهناك عدة تعريفات للنمو الاقتصادي وهو الزيادة المستمرة في كمية السلع والخدمات المنتجة من طرف الفرد في محيط اقتصادي معين غير انه هناك من يعرف النمو الاقتصادي بالزيادة الكمية لكل من الدخل القومي والناتج القومي إماالاقتصاديs.kuznets في كتابه " النمو والهيكل الاقتصادي يعرف النمو الاقتصادي كما يلي النمو الاقتصادي هو أساسا ظاهره كميه وبالتالي يمكن تعريف النمو الاقتصادي لبلد ما بالزيادة المستمرة للسكان والناتج الفردي، ويعرفه جون ريفوار بالتحول التدريجي للاقتصاد عن طريق الزيادة في الانتج أو الرفاهية بحيث الوضعية التي يصل إليها الاقتصاد هي في اتجاه واحد نحو الزيادة لهذه الاخيره ؛ وبصفة أكثر دقة يمكن تعريف النمو بالزيادة في إجمالي الدخل الداخلي للبلد مع كل مايحققه من زيادة في نصيب الفرد من الدخل الحقيقي .

التنمية تعتمد في الأساس على جهد منظم فضلا عن إدارة وتخطيط سليم لتتم عبر ذلك عملية التغير سواء كان هذا التغير اجتماعيا أو اقتصاديا إنما يكون تغيرا نحو الأفضل .

إن التنمية لاتتطابق مع النمو بأي شكل من الإشكال فالتنمية عبارة عن عملية اقتصادية اجتماعية سياسية قافية بيئية شاملة، ولايمكن للتنمية إن تنحصر في النمو المادي فقط وهناك فرق بين النمو المتمثل في زيادة الإنتاج الاجتماعي الإجمالي أو متوسط دخل الفرد وبين التنمية بمفهومها الشامل التي تكون متوافقة بتغيرات هيكلية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال الفرد او معدل نمو الفرد المؤشر الرئيسي على مدى تقدم المجتمعات باتجاه التنمية (16).

- المبحث الرابع: التنمية الإنسانية من منظور حقوق الإنسان.

عندما تجد الإنسان تجد التنمية وعندما يغيب الإنسان تغيب بالضرورة التنمية، لان التنمية بوصفها مشروعات واليات وتوجيهات هي من خصائص الإنسانوحده وهي علاقة تربط الإنسان بحقوقه وواجباته مما يتطلب الاهتمام به من عناية وتثقيف وتعليم وتربية ورفع مستوى معيشته وتحسين نوعية الحياة، وتستندالإنسان في ذاته وبذاته وعلى مكارمهالإنسان في هذه الأرض ليعمرها

بالخير وهذا يرسخ الاقتناع بأن المحور الرئيسي في عملية التنمية هو الإنسان، وعند غياب حريات الإنسان وحقوقه من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لايخلق تنميه، حتى لو توفرت كل المواد الخام والإمكانيات المادية وذلك وببساطه شديدة لكون الإنسان هو الذي يدير هذه المواد والإمكانيات ويحولها إلى مشروعات وحقائق تنموية، تهتم بالفرد ومعتقده وثقافته وبيئته التي يحيا فيها ودراسة للواقع الذي نعيشه وتمكين الكفاءات وإعطاء دور اكبر للشباب في بناء مستقبلهم وتحقيق أحلام المستقبل فالإسلام مكن أصحاب الكفاءات والخبرات العلمية وهو حق الهي ونهج قويم حيث قال الله تعالى: { وتعاونوا على البر والتقوى }(17) والسلام يقوم على مبادي إنسانيهوأسسأخلاقيه وضوابط شرعيه تغرس في نفوس إتباعه الحرص على مزاولته مما يسهم في تحقيق التنمية فبينت الشريعة الحلال والحرام وحثت على حفظ المال من التلف والضياع وتنميه بالعمل والإنتاج والاستثمار وحذرت من الكسب الحرام لما له من أثار وخيمة على الأمة سواء على دينها أو قيمها أو أخلاقها فحرم الإسلام الربا بوصفه أولى العقبات في التنمية الاقتصادية ووسيلة سهله للكسب الحرام قال تعالى: { واحل الله البيع وحرم الربا} (18) ولتحقيق التنمية اوجب الإسلام على جميع أفرادها العمل بجد واجتهاد وقال تعالى {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور} (19) إذاناء المجتمع قوته بمدى تحقيق التنمية فيه فالركود والبطالة أمراض شيخوخة تنبأ عن نضب الحركة في المجتمع وشيوع الفساد فيأركانه وانطفاء الأمل بين أفراده، وهذا سببه انعدام تحقيق حقوق الإنسان وتطبيق النصوص القرآنية وتطبيق القواعد القانونية الوضعية بالصورة الصحيحة .

فأن جميع الأحكام الشرعية مراعي فيها الناحية الانسانيه؛ لأنها ماشرعت أصلا إلا لمصلحته، وان الشريعة الغراء راعت إنسانية الإنسان بالأحكام الحكيمة العادلة المناسبة له قبل الولادة وبعدها وسمت برعاية الإنسان عامة طوال فترة الحياة، وجعله خليفة في الأرض وأمر الملائكة بالسجود له، ويأتي هذا التفضيل والأهمية عن حقوق الإنسان لأنه كلام عن الذات الانسانيه وتفصيل لماشرعه الله تعالى من الأحكام، لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وتامين مصالحه الكاملة بجلب النفع والخير له ودفع السوء والضرر والشر عنه ويكون السيد المحترم في الدنيا والمخلوق المكرم المعزز في الآخرة، ونحن ندرك بعمق انه لاتنمية بدون إنسان مكتمل إنسانيته، فالمجتمع الذي لاحرية سياسية لديه وتنتهك حقوق الإنسان فيه لاتنمية مهما وفرت من إمكانات وقدرات فانه لن يستطيع بناء تنميه حقيقية .

- الخاتمـة:

لم تكن المشكلة الاقتصادية يوما مشكلة قائمة بذاتها ومنفصلة عن المشكلة الإنسانية العامة، فقد كانت المشكلة الإنسانية والاجتماعية منذ أمد بعيد حين تشكلت الجماعة، تتمثل في تحديدالنظام

الاجتماعي الأمثل للإنسان والذي يصل بواسطته إلى الطمأنينة والسعادة الحقيقية ويرتقي من خلاله نحو الأفضل، وقد سعى الإنسان بكل جهده وطاقة وبما يملك من قوة العقل والتفكير، والمشكلة الاقتصادية للمجتمعات البشرية في تطور دائم فهي لاتثبت على صورة واحده ولكنها تتطور من حال إلى حال و تأخذ أشكالا مختلفة في أساليب الحياة ووسائل المعيشة وطرائق التفكير فيها غير أن تحديد هوية وحقيقة هذه المشكلة كانت ولازالت نقطة اختلاف الأفكار والأراء، كما تشكل التنمية الإنسانية احد المداخل الرئيسية في الاقتصاد والسياسة، فكثيرا ماكانت تعنى بالتقدم الكيفي للمجتمعات البشرية في كافة بلدان العالم وهو رفع المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والصحي؛ وحل المشكلات الناجمة عن التخلف وتهيئة فرص جديدة للأفراد والمجتمع والانتفاع الكامل بكافة الإمكانات والموارد وتهيئة طاقات أفراد المجتمع لاستغل الموارد بينهم وتنظيم علاقاتهم بعضهم ببعض أثناء العمل الجماعي الموجه لأحداث التغير وإيجاد العمل الذي يتلاءم وقدرات ذلك الإنسان، ويتناسب مع كفاءاته المعرفية والمهاريه مع مراعاة حقوقه الطبيعية والمكتسبة وتمثل التنمية حركة النسق الاجتماعي بما يحتويه من عوامل اقتصادية وغير اقتصادية بشكل واسع إلى أعلى والى أحسن في إطار من العلاقات السببية الدائرية بين مختلف المتغيرات المخططة الداخلة في عملية التنمية من خلال ربط العلاقات الاجتماعية على أسس صحيحة.

- النتائج:

1- تهدف سياسة التنمية الإنسانية إلى تحقيق أفضل السبل وأيسرها والوصول إلى مستوى من الرفاهية الاقتصادية

2- ضرورة اشتراك إفراد المجتمع المحلي في ألمساهمه في تحسين ظروفهم وأحوالهم وظروف معيشتهم .

3- غلبة الطابع المادي على الحياة الإنسانية، حيث تقاس مستويات التنمية المختلفة بالمؤشرات المادية البحتة.

4- تكوين القدرات البشرية، مثل تحسين الصحة وتطوير المعرفة والمهارات .

5- تهتم التنمية الانسانيه في الإسلام بالقيم والأخلاق الحميدة من مساواة وعدل وعدم إسراف.

6- الاعتماد على المعطيات الكونية التي سخرها الله تعالى للإنسان في الكون، وما ادخره له من خيرات في الأرض.

7- تحقيق المنافع ألعامه للمجتمع وآلامه بكاملها .

- التوصيات:

1- إعداد الإنسان الصالح في بناء المجتمع السليم على أساس مراعاة الطبيعة الإنسانية المتكاملة.

2- القيام بواجب عمارة الأرض وفق نظر شمولي يقوم على العناية بكل ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية

3- ضرورة الاهتمام بالإنسان إلى الرفاهية والإحساس بالكرامة .

4- التأكيد على دعم المواطنين بكل مايعنيهم عن التكيف مع المتغيرات الاجتماعية التي تطرا على المجتمع، بما يمكنهم من مسايرة ركب التقدم الحضاري .

5- رفع مستوى الإفراد عن طريق الخدمات الثقافية والإعلامية بكل ما يساعدهم على التكيف مع المتغيرات الاجتماعية، وكذلك تفادي عوامل التخلف الثقافي التي تعوق عملية تنفيذ البرامج التقدمية .

6- توفير خدمات الأمن والعدالة والدفاع وذلك لتحقيق حياة الاستقرار والطما نية والعدالة الاجتماعية لإفراد المجتمع .

7- صقل شخصية الفرد التي هي جزء من شخصية المجتمع وذلك في إطار القيم الدينية الاسلاميه.

8- تخليص الإفراد من الشوائب الفكرية والأفكار البائدة والعادات والتقاليد الباليه الموروثة، والتي قد تعيقه عن التقدم والعمل على رفع مستواه .

- قائمة المصادر والمراجع:

1- القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط .

2- سورة هود (الآيه، 61).

3- حديث شريف" قال النبي صلى الله عليه وسلم " كل ميت على عمله الآ الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم ألقيامه .

4- تقرير التنمية الاسلاميه العربية 2002م برنامج الأمم المتحدة الإنمائي .

5- معلوف، لويس، المنجد في اللغة، (القاهرة: منشورات دار الشرق للطباعة والتوزيع، ط 35، ومطبعة انتشارات، 1996م)، ص 813 .

6- بدوي احمد زكي، معجم مصطلحات: العلوم الاجتماعية، (بيروت: منشورات مكتبة لبنان، ط 1997م)، ص 384 .

7- د. فاروق عبده فليه، التربية والتنمية في الدول النامية، (بيروت: منشورات مكتبة زهراء الشرق، ط1، ط 1997م)، ص ص: 58-59 .

8- الطاهر عبدا لجليل ميزه، مسيرة المجتمع، (صيدا: دار المكتبة العصرية- لبنان، ط 1966م)، ص ص: 199- 200 .

9- موسوعة ويكيبيديا التنمية، شبكة المعلومات الدولية .

10- عبدا لمجيد راشد، في مفهوم التنمية الإنسانية، مجلة الحوار المتمددن، العدد 215، لسنة 2007م، شبكة المعلومات الدولية.

11- مركز المعلومات والبحوث المملكة الأردنية الهاشمية لعام 2000م .

12- http/boostan.arabbiogs.com/archivei914/2007.

13- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003م، النسخة الاكترونيه .

14- إبراهيم بايزو، واقع التنمية الانسانيه بالمغرب قراءه في المؤشرات الرئيسية : 2/1 شبكة المعلومات الدولية نت.

15- د. نصر عارف، في مفاهيم ومصطلحاتها، مجلة ديوان العرب، القاهرة، عدد حزيران، ط 2008م، شبكة المعلومات الدولية .

16- د نصر عارف، مرجع سبق ذكره .

17- سورة المائدة، (الآية 2) .

18- سورة البقرة، (الآية 275)

19- سورة الملك، (الآية 15).

الأمن القومي في ظل تحولات البيئة الدولية: المفهوم والإبعاد

د . محمد الهاشمي صقر

عضو هئية تدريس كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

جامعة طرابلس

المستخلص:

أصبح موضوع الأمن، ومن ثم الأمن القومي للدولة، موضوعاً مركزياً ضمن الأطر النظرية التي بحثت في ذلك سواء التقليدية أو المعاصرة، وكأحد المسائل المعقدة التي عكف دارسو السياسة الدولية على البحث في مدى إمكانية تحقيقه، فانقسمت الرؤى والاتجاهات بين عدة مدارس فكرية، بين الفكر المثالي، الذي ساد عقب فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى وتشكيل عصبة الأمم، رغم جذوره التاريخية الموصوف بها منذ زمن معاهدة وستفاليا 1648م، التي كرست الدولة الوطنية كوحدة تحليل قي العلاقات الدولية، لكونها الفاعل في النظام الدولي، وبين الفكر الواقعي المبني على تفسير حالة الصراع كسمة مطابقة وملازمة للعلاقات بين الوحدات السياسية، التي تتطلب التفسير الصحيح لضمان امن الدولة، فتنوعت الآراء من خلال هذا الفكر الواقعي، بين فكر تقليدي وفكر متجدد، معتنقاً التوجه الليبرالي في تفسير وتحقيق الأمن القومي للدولة بمختلف أبعاده، ومستوياته، ونطاقاته. الذي مثل إشكالية كبرى ضمن حقل العلاقات الدولية من حيث المعنى والتفسير، في ظل غياب التنظير في هذا الجانب، وتحولات البيئة الدولية من منطلق خصوصية السلوكيات السياسية الدولية وتعقيداتها، وخاصة لفترة ما بعد الحرب الباردة، التي اتسمت بملابسات سلوك الدولة داخلياً وخارجياً طلباً للقوة، ولضمان أمنها بجميع مستوياته، وكذلك في ظل تأثيرات ظاهرة العولمة، وتداعياتها، وانعكاساتها على مفهوم الأمن القومي للدولة، وهو ما تحاول الدراسة التعريف به.

- المقدمـة:

يعد مفهوم الأمن القومي للدولة من المواضيع المركزية في برامج بحث المدارس الفكرية التقليدية والمعاصرة، وأحد المسائل المعقدة التي عكف دارسو السياسة الدولية على البحث في مدى إمكانية تحقيقها، وتطورها، وخاصة في فترة مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية وما بعدهما، حيث بدأ أن عملية الوصول إلى إطار نظري يفسر قضية الأمن القومي للدولة، كميدان للسياسة الدولية مسألة صعبة، تفسر واقع الصراع بين الدول.

وعلى ذلك نجد إن مفهوم الأمن القومي، أخذ دفعة كبيرة منذ تسعينيات القرن الماضي، ضمن تحولات البيئة الدولية، والعملية الشاملة للعولمة السياسية بجميع معانيها، بحيث لم يعد من الممكن التعامل مع الأمن القومي للدولة بأبعاده المختلفة، إلا في سياق المفاهيم الأوسع، الأمن الإقليمي،

والأمن العالمي، نظراً لازدياد تأثير الأحداث الإقليمية والعالمية على الأمن القومي للدولة، والأمن العالمي بمفاهيمه الفضفاضة.

مشكلة الدراسة :

مفهوم الأمن مفهوم مركزي في الدراسات الإنسانية بصفة عامة وبخاصة في الدراسات السياسية، وهو مفهوم دينامي متطور ومتحول يتأثر ايجابياً بتحولات البيئة الدولية، التي تضفي على المفهوم أبعاداً جديدة تسترعي انتباه أي باحث جاد وتطرح أمامه العديد من التساؤلات البحثية التي تحتاج إلى دراسة وتفحص بطريقة علمية، وهو ما يسعى الباحث للكشف عنه عبر طرح تساؤلات بحثية محددة يمكن صياغتها في الشكل التالي: ما تفسير علاقة الأمن القومي بالدولة كظاهرة سياسية كلية وككيان سياسي وقانوني؟ وما هي طبيعة أبعاد ذلك المفهوم وتحولاته داخلياً وخارجياً ؟ وما هي الأبعاد المتطورة التي يستمدها المفهوم من تحولات البيئة الدولية ؟.

الفرضية الأساسية :

يمكن صياغة الفرضية الأساسية لهذا البحث وفق المنطوق التالي: "إن تحولات البيئة الدولية وضغوطها أدت إلى تحولات مماثلة في مفهوم الأمن وأبعاده المختلفة." وتتعامل هذه الفرضية مع البيئة الدولية كمتغير مستقل ومفهوم وأبعاد الأمن وتحولاته كمتغير تابع.

منهجية الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي لاختبار فرضية الدراسة وما شهده مفهوم الأمن من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعه وأمنية ..الخ .كما تستند هذه الدراسة إلى المدخل التاريخي بغية تتبع المراحل التاريخية والمفاهيمية التي شهدها مفهوم الأمن بأبعاده المختلفة. وتستفيد هذه الدراسة من جملة من المصادر المعلوماتية الأولية، كالوثائق والتقارير التي لها صلة بموضوع الدراسة، وتوظيف الدراسة المصادر المعلوماتية الثانوية المتمثلة في الدراسات السابقة من كتب ودوريات علمية في خدمة أهداف هذهالدراسة.

أهمية الدراسة :

يكتسب موضوع البحث أهمية من عدة اعتبارات منها:

1- إن مفهوم الأمن مفهوم محوري في أدبيات علم السياسة في شقها التقليدي والمعاصر، وانه مفهوم ليس مفهوماً معزولاً عن جملة من القضايا الدولية التي ترتبط معه بعلاقات بينية يؤثر فيها ويتأثر بها.

2- محاولة التتبع النظري لمفهوم الأمن والإسهام في إبراز أهم المنظورات الفكرية التي سعت إلى تفسير ظاهرة الأمن واستقراء مفاهيمها المتطورة .

3- الربط بين المفهوم النظري للأمن والبعد العملي الذي يشكله الموضوع بوصفه أحد أهم تجليات ومحركات السياسة الدولية .

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- التعريف بمفهوم الأمن لغة واصطلاحاً واستعراض مدى ونطاقات الأمن وتفريعاته.

2- استعراض التطور ألمفاهيمي لمفهوم الأمن وارتباطه بجملة من القضايا الدولية المحورية.

3-استعراض المقاربات التقليدية والمعاصرة لمفهوم الأمن وأثرها في الإضافات المفاهيمية للمفهوم.

4- التعرف على تحولات البيئة الدولية وانعكاساتها على مفهوم الأمن سلباً وإيجاباً، وما تضفيها على المفهوم من أبعاد جديدة.

5- الخروج بخلاصة عامة تحوصل تحولات مفهوم الأمن بوصفه مفهوم دينامي متطور ومتجدد.

تقسيمات الدراسة:

ومن حيث التقسيمات التي تضمنتها الدراسة فهي ممثلة في أربعة مباحث هي:-

المبحث الأول : مفهوم الأمن لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : مفهوم الأمن القومي.

المبحث الثالث : أبعاد الأمن القومي في ظل التحولات البيئة الدولية.

المبحث الرابع : نطاقات مفهوم الأمن القومي.

- المبحث الأول: مفهوم الأمن لغة واصطلاحاً.

إن مفهوم الأمن لغة، هو نقيض الخوف، فيقال اطمئن ولم يخف، فهو آمن، ويقال لك الأمان، والبلد اطمأن فيه أهله والشر منه سلم، ويقال توافر الأمن لمجتمع ما، أي استقرت فيه الأمور وتوافرت الطمأنينة لمن يعيشون فيه، وأحس كل فرد فيه بالحماية، وان حاجاته الأساسية توافرت له دون معاناة (مصطفى، 1960م، ص 27). بما يعني جميعاً أهمية الأمن الممثلة في أنه مطلب حيوي لا يستغنى عنه إنسان ولا ذي روح من الكائنات، وانه مطلب الشعوب كافة بلا استثناء، ويشتد الأمر خاصة في المجتمعات المسلمة، التي إذا آمنت أمنت، وإذا أمنت نمت، فانبثق عنها أمن وإيمان، إذ لا أمن بلا إيمان، ولا نماء بلا ضمانات واقعية ضد ما يعكر الصفو في أجواء الحيات اليومية.

أما اصطلاحا، فيعد مفهوم الأمن هو الأكثر إشكالية بين المفاهيم المقترنة بالصراع، ذلك لأنه مفهوم وصفي على نحو غير كافي، أي انه – كفكرة عامة – غامض في جوهره، ويختلف معناه اصطلاحاً باختلاف الظروف والزمان، حيث يستخدم اصطلاح الأمن في العديد من المجالات والمواقف، ابتداء من الإجراءات البسيطة بتأمين المواطنين داخل الدولة ضد الإخطار المحتملة التي تسهم في سلامتهم وحياتهم وحرياتهم وأموالهم- وانتهاء بالإجراءات الخاصة بتامين الدولة نفسها (علام، 2008م، ص 70).

وباستقراء ظاهرة الأمن تاريخياً، نجد اقترانه بالوجود الإنساني، ويتجلى ذلك بوضوح في اهتمامات الحضارات القديمة والشرائع السماوية به، والى اقترانه بنشأة الدولة القومية ككيان سياسي، وبتحقيق وحماية مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، منذ توقيع معاهدة وستفاليا عام 1648م.

ففي نظر الإسلام، يمثل الأمن أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو من النعم الجليلة، فجاء مفهوم الأمن عنده مفهوماً شمولياً، يأخذ بالأبعاد الأمنية الدينية في حماية عقيدة الإنسان من أي اعتداء، وحماية شعائره، وكذلك الجوانب النفسية،والجسدية، والعقلية فيه، ومال الإنسان من الاعتداء، والعرض وحرمة السكن، وأكدت الايآت القرآنية الكريمة مراراً على ضرورة الأمن وأولويته : فجاء على لسان إبراهيم "ع" في سورة إبراهيم (الآية 35) : " وإذ قال رب اجعل هذا بلداً آمناً "، وفي سورة البقرة (الآية 126) : وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا بلدا آمناً وأرزق أهله من الثمرات "، وفي سورة النحل (الآية 112) : " وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون "، وفي سورة قريش (الآيتان 3،4) : " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف " والمقصود به هنا ما يهدد المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وفكرياً، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمن أعظم مطلب للمسلم في هذه الحياة، وانه بحصوله كأن المسلم ظفر بما في الدنيا من ملذات ومشتهيات، وكل ما يريده في دائرة الحلال؛ فعن سلمه بن عبدالله بن محض الخطمي عن أبيه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا ". وقد اهتم الإسلام بتنمية الوعي الأمني بأمره بأخذ الحيطة والحذر ،وهو اكبر مفهوم للسلامة ومن ذلك الأخذ على يد الظالم، قال صلى الله عليه وسلم :" إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه "، ويعد تفادي الخطر والبعد عن المهالك من الواجبات الأساسية التي يحض عليها الدين الإسلامي، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار ". فالآمن في الإسلام ليس مجرد أمن الفرد من الفرد، بل هو أيضا أمن الفرد من الجماعة والسلطة، فالأمن متبادل، أمن الفرد في الجماعة وأمن الجماعة من الفرد، وهو أمن شامل على كل المستويات الأفقية والرأسية والمادية والمعنوية (الدعيج 1989م، ص103).

وقد عالجت الأفكار السياسية قديماً، ضرورة الأمن للإنسان والمجتمع، من خلال معالجتها لدواعي قيام المجتمع السياسي وشروط استقراره، ففي الحضارة اليونانية اشترط الفلاسفة اليونانيون لوجود مجتمع متحضر وآمن، ارتباطه بالإطار السياسي الذي يجعل منه (دولة المدينة)، ليكون الإنسان المجتمعي المتحضر الآمن، وهو وحده إنسان (دولة المدينة)، ومواطنها، فحين حدد أفلاطون الصورة الفاضلة لدولة المدينة وإنسانها، ربط أمنها أولا بتقسيم العمل وفقاً لقدرات الإنسان،

وثانياً في القدرة على حماية الأمن والدفاع عن المدينة، وعالج أرسطو مسألة الأمن من منظور مقارب لأفلاطون، حين ربط وجود الإنسان المتحضر بوجود المجتمع السياسي، الذي رأى أن مثاله الوحيد هو (دولة المدينة)، فربط أمن دولة المدينة باستقرارها واستمرارها بتقليل التفاوت الطبقي فيها، كأساس لنظام حكم وسطي متوازن ومستقر، تختلط فيه الخصائص الايجابية للنظامين الاوليجاركي (حكم الأغنياء) والديمقراطي (حكم الفقراء) (سباين، 2010م، ص ص: 94-95).

وفي الحضارة العربية الإسلامية، ارتبط الجانب الأساسي من مفهوم الأمن ومتطلباته وتصنيفاته بالدفاع عن العقيدة الدينية وحمايتها من أعدائها، من ناحية، وبقيام الدولة العربية الإسلامية في المدينة وتوسعها، ليعكس طابعاً عالمياً يناسب الطابع الإنساني العالمي . وينطبق ذلك أيضاً على مفاهيم الأمن في العالم الأوروبي بعد اعتناق مجتمعاته وأنظمتها الحاكمة المسيحية، بل انه كان المبرر الذي استندت إليه الحملات الصليبية وانطلقت منه (مسعود، مراد، 2006م، ص ص: 18- 19).

وتابع الفكر الإنساني في العصور الحديثة اهتماماته بالأمن ومفهومه وتطبيقاته، كان أبرزها أفكار ميكافيلي التي أكدت على ضرورة إتباع الحاكم أو الأمير لكل السبل، واستخدامه لكل الوسائل لضمان أمن نظامه ودولته (سباين،2010،ص 105).وفي نظرية العقد الاجتماعي، قدم توماس هوبز تصوره الذي ربط فيه بين حالة الطبيعة التي يعيش الناس فيها (حرب الكل ضد الكل) في ظل غياب السلطة الحاكمة، والحالة المدنية التي يسعى الإنسان فيها لإنهاء الحرب والعيش بآمان في ظل وجود السلطة الحاكمة، التي رأى بأن أول مسؤولياتها هي منع عدوان الناس على بعضهم، وإقامة العدل بينهم وضمان مصالحهم، حيث اعتبر الأمن احد أسباب نشأة الدولة، وان البحث عن الأمن دفع البشر إلى الانخراط في مجتمعات من خلال " عقد اجتماعي" تتخلى بموجبه عن حريتها لصالح سلطة مركزية مشتركة، ويعتقد هوبز أيضا أن هذه السلطة المركزية (الدولة) قد أنشئت من اجل حماية الشعب ضد العدوان الخارجي، وبذلك فان الإفراد أوكلوا للدولة مسألة حماية أمنهم (سباين، 2010م، ص190)، ولازال هذا التصور قائماً في عرف معظم الدول، لكونه مصدراً من مصادر شرعية السلطة وسبباً للولاء العام لها.

- المبحث الثاني: مفهوم الأمن القومي .

تشير معظم الدراسات العلمية الأكاديمية إلى أن مفهوم الأمن القومي للدولة يعتبر من المفاهيم العلمية الهامة والحديثة التي لا يزال يشوبها الغموض، فمن حيث الأهمية ينظر إليه في مدى تعلقه بحماية امن واستقلال واستقرار الفرد والدولة على حد سوى، ومن حيث الغموض فانه رغم الدراسات التي تناولت المفهوم بالدراسة والتحليل إلا انه لا يزل غير مكتمل، أي انه لم يصبح له ميداناً

متكاملاً من علم السياسة تنطبق عليه قواعد نظرية بمعاييرها المتعددة والمختلفة التي تحكم على ظاهرة الأمن القومي، ومن ناحية أخرى فإن من الأسباب الهامة للغموض تعود إلى حداثة الدراسات العلمية التي تناولت مفهوم الأمن القومي بالدراسة والتحليل .

- المطلب الأول: المفهوم التقليدي للأمن القومي:

يعد تاريخياً الحديث عن مكون الأمن القومي للدولة عقب نشأة الدولة القومية في أوروبا، وارتباطه بمصالحها الوطنية، مدعوماً بمعاهدة وستفاليا عام 1648م، التي أسست دعائم وجود الدولة الوطنية، وبذلك يرى بأن مفهوم الأمن القومي بدأ أوروبياً في القرن السابع عشر، وفق سياسات الأمن القومي للدول الأوروبية، على أساس المنافسة بين الدول الأوروبية الكبرى على جبهتين، جبهة المنافسة على زعامة القارة الأوروبية، وجبهة المنافسة على المستعمرات خارج تلك القارة (علوي، 2005م، ص12)، إذ قامت سياسات الأمن القومي للدول الأوروبية وخاصة الكبيرة (فرنسا، ألمانيا، انجلترا، روسيا، الإمبراطورية النمساوية المجرية) على تعبئة الموارد الوطنية المتاحة واستكمالها بالسيطرة على موارد مستعمراتها الواقعة خارج القارة، بالإضافة إلى إقامة تحالفات أوروبية، فكثرت التحالفات الثنائية والثلاثية المتغيرة وشبه الجماعية، فكان الحلف الأوروبي الجماعي المضاد للقوة الأوروبية التوسعية عندما استشعرت تلك الدول بما يهدد كيانها القومي، فكان الحلف الأوروبي العام ضد نابليون حتى كسر وهزم، ثم الحلف الأوروبي – الأمريكي – السوفييتي الذي تشكل أثناء الحرب العالمية الثانية ضد هتلر ودول المحور، الذي كان في الحالتين تعبيراً عن تحالف مصلحي مؤقت جمع بين الفرقاء لضرب عدو مشترك، ولحماية الأمن القومي لكل من الدول أعضاء ذلك الحلف وكما تفهمه كل دولة من هذه الدول، والدليل على ذلك أن تلك الأحلاف لم تستمر عقب نهاية الحرب التي تشكلت بسببها، وأن أقتضى الأمرأحياناأن تتضمن سياسات حماية ذلك الأمن خلق تحالفات جديدة أو الحديث عن مفاهيم جديدة لما يسمى بالأمن الدولي والآمن الإقليمي (علوي، 2005م، ص13).

- المطلب الثاني: المفهوم الحديث للأمن القومي:

على الرغم من أن الأمن كمفهوم وحركة يعتبر ظاهرة قديمة الجذور نسبياً، إلا إن الاهتمام به حديثاً كدراسة علمية بدأ بعد الحرب العالمية الثانية، تناولته الدراسات من حيث المفهوم لإيجاد تعريف شامل، فظهرت مدارس فكرية، إلا أنها لم تجمع على صيغة موحدة لتعريف الأمن القومي، فتباينت الآراءإلى اتجاهات عدة، منها ما يرتكز على القيم الإستراتيجية، ومنها ما طرح أهمية الدولة القومية، وآخرون للدفاع عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك من أعتمد على ظاهرة الإرهاب .

فالاتجاهات الفكرية عموماً التي حاولت تفسير مفهوم الأمن القومي، ترجح سيطرة الفكر الواقعي على الدراسات الأمنية ومفاهيمه بكل مراحلها، فكانت المدرسة الواقعية التقليدية، والمدرسة الواقعية الحديثة، والمدرسة الواقعية الجديدة، فجاءت التعريفات من واقع كل مرحلة، فاخذ الفكر السياسي ثلاث اتجاهات مختلفة في تعريف مفهوم الأمن القومي، أو كما يسمى في بعض الأدبيات بـ "الأمن الوطني" ، ففي صورته الأولى الذي يعبر عن توجهات المدرسة الواقعية التقليدية، وهو الاتجاه الذي يركز على الأمن القومي كقيمة مجردة مرتبطة بالاستقلال وسيادة الدولة الوطنية المطلقة، وغير خاضعة لضغوط خارجية مؤثرة في اتخاذ قراراتها السيادية، هذا الاتجاه تتزعمه –أكاديمياً– دائرة المعارف البريطانية التي ترى بان الأمن القومي يعني" حماية الدولة من خطر القوة الأجنبية"، الذي يقوم على النظرة الإستراتيجية، ويعتمد على القوة العسكرية، وعرفته دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية بأنه "قدرة الدولة على حماية قيمها الداخلية من التهديد الخارجي".

وتأتي محاولات أخرى تصب في نفس الاتجاه رغم اختلاف عباراتها وألفاظها، فمثلا، يعرف هنري كيسنجر (وزير الخارجية الأمريكي، ورئيس الأمن القومي الأمريكي) في سبعينات القرن الماضي، الأمن القومي على انه " تلك التصرفات التي يسعى المجتمع عن طريقها إلى حفظ حقه في الحياة "، وهو ما يعني ضرورة وجود قوة عسكرية لحماية المصالح (قدور ، 1994م، ص174)، ويعرف بيركواتزوبوك الأمن القومي بأنه : قابلية الدولة على حماية قيمها الداخلية من التهديدات الخارجية (نهارا 1993م، ص 4)، ويجعل صموئيل هنتنغتون مفهوم الأمن القومي من خلال تنوع تطبيقاته العملية، مرادفاً لبقاء الدولة وسلامة أركانها ومقوماتها، وحماية قيمها ومصالحها، وتحقيق أهدافها (ابوشهيوة، خلف، 1999م، ص89)، ويقدم التقرير الصادر عن البيت الأبيض الأمريكي في يناير 1988م تعريف الأمن القومي على أنه "الحماية من التهديدات الخارجية ، واستخدام القوات المسلحة لمنع التهديدات الخارجية(Reagan1988, P Iv). وبالنسبة للمفهوم الأمريكي هذا، نجد أنه توسع ليشمل بقاء الدولة دولة موحدة مستقلة حرة مع المحافظة على قيم شعبها وأمنه ووحدة أراضيه، وتحقيق الرفاه الاقتصادي[1] له، مع المحافظة على المصالح الأمريكية في المناطق المختلفة من العالم (Reagan1988, P Iv). كما اعتمد أرلوند ولفرز الاتجاه نفسه حين ربط مفهوم " الأمن" بقيم المجتمع، حيث يرى "إن الأمن من وجهة النظر الموضوعية، يعني عدم وجود تهديد للقيم المكتسبة، أما من وجهة النظر الذاتية، فينبغي عدم وجود مخاوف من تعرض هذه القيم للخطر " (بيليس، 2004م، ص 414).

ووفقاً لهذا الاتجاه تتجلى صورة التصور الاستراتيجي التي تنبع من متطلبات حماية المصالح الحيوية الأساسية لأي شعب، وتقديم الإجابات المدركة من التصورات المستمدة من التاريخ والجغرافيا لكل المعضلات التي تواجه الوجود الحي لأية امة من الأمم (خيري، 1983م، ص 18)، وعليه فقد توافق هذا الاتجاه مع تعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة لمفهوم " الأمن

القومي"، التي ترى فيها الدول انه ليس ثمة أي خطر في شن هجوم عسكري أو ممارسة ضغط سياسي، أو إكراه اقتصادي، بحيث تتمكن من المضي قدماً نحو العمل بحرية على تحقيق تنميتها الذاتية وتقدمها" (نافعة، 1996م، ص97).

لما تقدم، يتبين بأن المفهوم الكلاسيكي للأمن القومي يرى بأن مجال الأمن العسكري يمثل الإستراتيجية العليا للدولة، وينحصر ذلك في بناء قوة عسكرية، وتنوع مجالات المعرفة التكنولوجية العسكرية، والإنتاج العسكري، وحماية مصالح الدولة الوطنية من التهديدات الخارجية باستخدام القوة العسكرية لقطع مصادر التهديد الخارجية وضمان تحقيق تلك المصالح، وهذا لا يتحقق إلا بزيادة الإمكانات العسكرية التي تجعلها آمنة فيما يتعلق بعدم تهديد مصالحها . غير أن هذا الاتجاه تعرض إلى انتقادات من أهمها (نهارا، 1993م، ص 12):

أولاً: إن تعريف مفهوم الأمن القومي على أساس توفير الحماية العضوية للدولة يمنع التهديدات العسكرية الخارجية، لايعتبر مفهوماً ضيقاً فحسب، بل يمكن اعتباره خطأ،لأن التهديدات التي تواجه الدول متعددة ومتشعبة وكلها تتعلق بالأمن القومي .

ثانياً: النظرة للنظام الدولي من خلال تدرج هرمي، تكون الغاية منه الحفاظ عليه، من خلال تأكيد تبعية الأصغر للأكبر والأضعف للأقوى، وهو ما يعكس نتائج الصراعات في الدول النامية والمرتبطة أساسا بهيكل النظام الدولي .

ثالثاً: أنه يؤد إلى تعاظم القوة العسكرية، وتخصيص القدر الأعظم من الموارد الوطنية لمواجهة متطلبات الأمن بمفهومه العسكري، وبالتالي يهمل عنصر التوازن في النظام السياسي، والعدالة في النظام الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية، وبالتالي يعرض الأمن إلى الخطر .

وبالنتيجة، فان الاتجاه التقليدي لإستراتيجية الدولة الأمنية والذي ساد حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، اتسم بالضيق وهو استخدام القوة المسلحة من قبل الدول بغية منع التهديد الخارجي المحتمل من قبل دولة أو مجموعة من الدول، وبالتالي فهم يؤكدون على ثلاثية أساسية هي (بلال،2011م، ص14): إن الدولة هي الوحدة الأساسية للدراسات الأمنية في العلاقات الدولية، وتميز البيئة الدولية بالطبيعة الفوضوية، التي تسعى فيها الدول إلى حماية مصالحها القومية، وتبني البعد العسكري كبعد وحيد للأمن الدولي دون الأبعاد الأخرى. وقد تجلى ذلك في أن القوة كانت العنصر الأساسي في تفسير العلاقات الدولية في تلك الفترة .

ويمثل الاتجاه الثاني في فكر المدرسة الواقعية، التي يتمحور فكر أنصارها حول التركيز على الدولة كفاعل رئيسي في ما يتعلق بالأمن، حيث يعتقد منظرو هذا الاتجاه أن القضايا الأمنية والعسكرية هي قضايا السياسة العليا، وما عداها من القضايا الاجتماعية والثقافية هي موضوعات السياسة الدنيا. هذا الاتجاه لا يفترض الدولة كفاعل رئيسي فحسب، بل يعتبرها الفاعل الأكثر

أهمية، لكونها المؤسسة التي تعمل من خلالها جميع المنظمات الحكومية وغير حكومية، التي تنظم نهج هذه المنظمات، وتقرر الشروط التي يمكنها أن تتصرف من خلالها، حيث إن السلوك الخارجي للدولة يتصف بالعقلانية والتخطيط والإدراك في ظل بيئة فوضوية لا يوجد فيها حكومة عالمية ولا اتفاق أخلاقي، أو أي حس تضامني (ستيرن، 2004م، ص38).

وعليه، فان الدولة تلجأ إلى خيار الأمن الذاتي للدفاع عن مصالحها من خلال الاستحواذ على القوة واستخدامها، الذي يعد جوهر السياسة الأمنية للدول، فالقوة العسكرية هي العامل المحوري للقوة وأداتها الرئيسية، أما السلام فيبقى حالة مؤقتة، إذ لا يعني لديهم سوى غياب الحرب فوجود الأمن الحقيقي يكون في ظل علاقات الصراع والحرب، فالأمن هو امن الدولة الذي يتضمن امن الفرد والجماعة، الذي يهدف في محصلته النهائية إلى عمليات التكامل والاستقرار السياسي والتماسك الاجتماعي الداخلي، وان أي شيء يحمل اسم القانون الدولي أوالأخلاق لابد أن يكون شكلاً متخفياً من أشكال سياسة القوة (ستيرن، 2004م، ص 24)، تلك هي الأفكار والرؤى التي نادى بها "هانس مورغانثو "الذي أسس مع غيره ما يعرف بمدرسة الفكر الواقعية الحديثة، التي تعتمد في تعريف الأمن على البعد العسكري، واستنادها على مفهوم القوة (عبد القادر، 2007م، ص 58). حيث سيطرت تلك المدرسة على فكر الأمن ومفاهيمه خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حتى أواسط الثمانينيات من القرن الماضي، بما يعرف بمرحلة الحرب الباردة (الحربي، 2008م، ص16). التي مثلت الإطار والمناخ الذي تحركت فيه صياغة مقاربات نظرية واطر مؤسساتية وصولاً إلى استخدام تعبير" إستراتيجية الأمن الوطني"، التي سادت معها مصطلحات حقبة الحرب الباردة مثل: الاحتواء، الردع، التوازن، التعايش السلمي، كعناوين بارزة في هذه المقاربات، بهدف تحقيق الآمن والسلم، وتجنب الحروب المدمرة، التي طبعت النصف الأول من القرن العشرين (سليمان، 2006م، شبكة المعلومات الدولية).

وبفعل تغيرات عالمية متعددة، مثل دخول العديد من الدول النامية إلى عضوية النظام الدولي خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وما أثارته من قضايا واهتمامات وبروز دور المنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني، وغيرها من القضايا العالمية الأخرى، أدت جميعها إلى التأثير وبشكل رئيس في أطروحات الفكر الواقعي. هذا الطرح الفكري الواقعي، أدى إلى تغيراً في الفكر الذي اصطلح على تسميته بالواقعية الجديدة أو الواقعية البنيوية (مفهوم ما بعد الحرب الباردة)، الذي يمثل الاتجاه الثالث للمدرسة الواقعية (الذي يتبنى المفهوم الليبرالي للأمن القومي) رافضاً تحليلات التيار الواقعي القديم، باعتبار أن الأمن لا يقتصر على بعده العسكري فحسب، بل هناك أبعاد أخرى لا تقل أهمية عن مفهوم "الأمن القومي"، وعلى هذا النحو فقد ظهر كتاب روبرت مكنمارا " جوهر الأمن " في ستينيات القرن الماضي، ليؤكد الأبعادالأخربللأمن غير العسكري، وذلك بربط التنمية بالأمن، وفي ذلك يقول: " إن الأمن ليس هو المعدات العسكرية، وان كان

يتضمنها، والأمن ليس القوة العسكرية، وان كان يشملها، والأمن ليس النشاط العسكري التقليدي، وان كان ينطوي عليه، إن الأمن هو التنمية، والدول النامية التي لا تنمو في الواقع لا يمكن أن تظل آمنة" (مكنمارا، 1970م، ص125).

إذاً، فالأمن ضمن تعابير الفكر الليبرالي لم يعد مفهوماً أحادي الجانب يرتبط بالنواحي العسكرية فقط، وإنما ذو إبعاد متعددة هدفه تنمية قدرات الدولة بما تحتويه من أفراد ومؤسسات، فدعو إلى نشر المؤسسات الديمقراطية لحل مشاكل النظام العالمي وأمنه عبر الانسجام الطبيعي للمصالح، وللجو إلى الأمن الجماعي كحل بديل عن الأمن الذاتي، والدعوة إلى حرية التجارة عبر الاعتماد المتبادل، وحرية الاتصال بين الدول، وتسهيل تبادل التكنولوجيا والأفكار، وانسياب رؤوس الأموال والتنقل الحر للأفراد (الحربي، 2008م، ص 18).

فالنقاشات الواقعية/ الواقعية مهدت الطريق لظهور السمات الأولى نحو إعطاء مفهوم جديد موسع للأمن، يتماشى والتحولات الدولية التي مست دراسة العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة، وبذلك بدأ التغيير يمس الدراسات الأمنية حيث بادر "بادي بوزان "وغيره ممن رأى بان واقع العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة ليس كما كان في فترات سابقة، إلى تبني مفاهيم جديدة في مجال الدراسات الأمنية، وفي جانب أخر فان الدراسة التي قام بها تحت عنوان " الشعب، الدول، الخوف "والتي تدعو إلى تبني رؤيا عميقة للدراسات الأمنية تكون شاملة (سياسياً، اقتصاديا، بيئيا وحتى عسكرياً) (Buzan,1983,p 218).

وما عزز هذا الاتجاه، هو تلك الدراسات النقدية التي جعلت من الضرورة إعادة النظر في مفهوم الأمن على أساس نقدي، لذلك بنى النقديون افتراضاتهم حول سؤال جوهري ومركزي : لمن الأمن؟ هل الاهتمام بالقضايا الأمنية الخارجية للدول أولى من الاهتمام بالأفراد؟ وفي ذلك يقول كينيث بوث " إن طريقتي في التعامل مع هذا النقاش النقدي هو إننيأرحببأية مقاربة تمكننا من مواجهة المعايير المشئومة للدراسات الإستراتيجية للحرب الباردة للوصول في نهاية الأمرإلىإعادة النظر في مفهوم الأمن طالما انه نملك التزاماً بـ" الانعتاق" مقابل ترك موازين القوى كما هي (سميث، بابليس 2004م، ص375).

لذلك، أرتبط الاتجاه المعاصر في تحديد مفهوم الأمن أساسا بطبيعة التطورات التي مست بشكل جوهري النظام الدولي، والإفرازات التي نتجت عنها والتي تشكل دلالات جوهرية في الدراسات الأمنية من أهمها (المعمري، 2008م، ص19): صورة التحولات الدولية المباشرة (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية)، والتحديات والرهانات التي فرضتها هذه التحولات اقتصادياً وبيئياً وامنياً، والتطورات الرئيسية لمفهوم الأمن .

عليه، وان كان لكل الاتجاهات رؤى وأبعاد في وضع تعريف شامل للأمن القومي[2]، إلا أن الواقع يقدم تعريف غامض وغير دقيق، لأن درجة الأمن الذي تتمتع به أي دولة من الدول يعتبر نسبي، ويعتمد بالأساس أو يتمحور حول مثلث من السياسات المتكاملة والمتناسقة، إذا ما استطاعت الدول التعامل معها فان الحديث عن نسبية تحقيق الأمن تظل محصلة لذلك، وهذه السياسات هي داخلية، وخارجية، وعسكرية (الاسطل، 1999م، ص ص: 41-43).

نستخلص من ذلك، سيطرة الفكر الواقعي على الدراسات الأمنية ومفاهيمه، بكل مراحله رغم تعرض ذلك الفكر إلى التحدي بعد التغير في النظام الدولي، وبروز عمليات التكامل والاندماج الاقتصادي عبر صيغ تكتلات إقليمية، وفتح أفاق جديدة لحرية التجارة والاقتصاد، وإسهامات المعرفة في تغيير مفاهيم الأمن، وتقديم مفاهيم جديدة للحرب الفضائية وحروب الشبكات (رشيد 2003م، ص156)، وان كان في حقيقتها ما هي إلا مواقف غذت الفكر الليبرالي تجاه نظرية لمفهوم الأمن، ولعل في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م ما آسهمأيضا في تغييرات واسعة في مفهوم الأمن، وان رأى البعض بأنها مثلت إعادة جديدة للتعامل مع الفكر الواقعي التقليدي نحو الأمن وأبعاده بشكل كبير .

- المبحث الثالث: أبعاد الأمن القومي في ظل تحولات البيئة الدولية .

الأمن مفهوم شامل، لا يقتصر على جانب واحد بل يتضمن مجموعة وشبكة من الأبعاد بخصائصها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي لا يمكن حصرها، بعد أن كان الاهتمام النظري والعملي منصباً من قبل على البعد العسكري للأمن القومي، وفي سبيل ذلك الإيضاح، سنلقي فيما يلي الضوء على بعض أبعاد ومخاطر مفهوم الأمن القومي، الممثلة في:

1- البعد الاجتماعي:

ويمثله الأمن الاجتماعي، فمنذ ظهور علم الاجتماع في القرن التاسع عشر واهتماماته بدراسة المشكلات الاجتماعية والقضايا المرتبطة بعمليات التغير الاجتماعي السريع، نجد أن لمفهوم الأمن الاجتماعي صوره ومعانيه وكثرة التردد لدى علماء الاجتماع، والذي يقصد به التماسك الاجتماعي، والقوة الاجتماعية، والحالة التي يكون بها المجتمع متماسكاً، وخالياً من مظاهر التردي، ابتداء من السلبية، وانتهاء بالجريمة، مروراً بانحطاط القيم الروحية، والعزوف عن الأصالة في العادات، والتقاليد الأصيلة، وقتل الهمم، وانهيار العزيمة، وانتشار التناقضات الاجتماعية، وفقدان الهوية المميزة للأمة (عاطف وآخرون، 1985م، ص 280).

ومن هذا المنطلق، يفرض النسق الأمني نفسه على علم الاجتماع بوصفه المؤشر الدال على حفظ النظام الاجتماعي، وضبطه، ما يعني تنظيم الدولة تنظيماً وقائياً يكفل أمن المجتمع وسلامته

واستتباب النظام فيه، حيث الترابط والتناسق والتماسك والتوازن والاستقرار بين أفراد المجتمع دون صراع واستغلال. وبذلك أولت المجتمعات اهتماما خاصاً بهذه القضية، كل حسب مداركه، فشهدت المجتمعات المعارضة أنماط متنوعة من السلوك غير المرغوب فيه اجتماعياً، وامنياً، وظهرت جرائم لم تكن معروفة من قبل في الحياة الاجتماعية كافة، هذا التطور فرض الوظيفة الأمنية للدولة بأجهزتها المختلفة للوصول إلى توسيع نطاق الوقاية والحماية وتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي من ناحية، والقيام بالدراسة المكثفة وبصورة واقعية، وعلى أسس علمية للكشف عن أسباب هذه الظواهر وكيفية التصدي لها من ناحية أخرى(مسعود، مراد، 2006م، ص78).

فالمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مازالت تواجهها المجتمعات وخاصة دول العالم الثالث في مسيرتها نحو التنمية، قد أضفى على الأمن في هذه المجتمعات مفهوماً اجتماعياً جديداً، غايته طمأنة أفراد المجتمع والشعور بعدم الخوف على حاضره ومستقبله، بدءاً من شعوره بالاكتفاء المعيشي والاستقرار الاقتصادي إلى الاستقرار الشخصي في محيطه الأسري، فلا يشعر بالعوز والفقر والمرض، والتأكيد له بالانتماء الكامل إلى مجتمعه، يمارس فيه كل حقوقه كما يؤد واجباته (الديك، 2010م، ص107).

وفي هذا السياق، فقد حددت دراسة بحثية قام بها المركز الفنلندي للدراسات الروسية والأوروبية، خمسة أنواع من التهديدات للأمن القومي، تأتي تباعاً بشكل تصاعدي على النحو التالي(عرفات، 2004م، ص 222):-

1- المخاطر الفردية: مثل تعرض عدد محدد من الأفراد إلى تهديد الجرائم والأمراض.

2- المخاطر المجتمعية: مثل اتساع رقعة الضحايا لتشمل قطاعات أوسع داخل المجتمع الواحد، مثل انتشار الأوبئة في الدولة ذاتها .

3- تهديدات عابرة للحدود: مثل مشكلات الهجرة غير الشرعية واللاجئين.

4- الأزمات الزاحفة: اتساع نطاق الخطر ليصبح أزمة إقليمية تهدد الأفراد في عدة دول، مثل انتشار الأوبئة المعدية القاتلة.

5- الكوارث المحتملة: تحول الأزمات الزاحفة إلى نكبات تصاحبها خسائر فادحة تمتد إلى عدة أقاليم، مثل: الأعاصير والكوارث النووية، والمشاكل البيئية الكبرى.

وهذا يؤكد أن مفهوم الأمن الاجتماعي يجب أن يكون شاملاً جامعاً لجميع مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والمعنوية والبيئية، لايهتم بجانب دون الأخر، فاستتباب الأمن والنظام أصبح أمراً حيوياً للاستقرار الاجتماعي .

فالقيم والتوجهات الداخلية والخارجية غير الملائمة كثيرا ما لعبت دوراً رئيسياً في هدم المجتمعات، وانتكاسات، وكانت عاملاً من عوامل إعاقة التنمية والتقدم في عديد المجتمعات، فلا سبيل لتجنب

ذلك إلا بالمحافظة على القيم والمعتقدات والتوجهات التي تعبر عن ماضي وحاضر ومستقبل الأمة (مسعود،مراد ،2006، ص80).

2- البعد الاقتصادي.

الذي يمثله ارتباط الاقتصاد بالأمن القومي، بمعنى الأمن الاقتصادي الذي يعني : بناء اقتصاد قوي، وتنمية ناجحة تحقق الأمن القومي، واكتفاء ذاتي من الغذاء، وامن غذائي، والوصول إلى أعلى مستويات المعيشة، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية، وتوفير أسباب العيش الكريم وتلبية الاحتياجات الأساسية، ورفع مستوى الخدمات، وتحسين ظروف المعيشة، وإيجاد فرص عمل لمن هو في سن العمل، وفتح المجال لممارسة العمل الحر في إطار التشريعات والقوانين القادرة على مواكبة العصر ومتطلبات الحياة الراهنة.

ومن ناحية أخرى، يمثل الأمن الاقتصادي الدرجة المقبولة من الاستقلال الاقتصادي والاعتماد على النفس، والاعتماد المتبادل في حالة العلاقات الدولية، وليس التبعية الاقتصادية، التي يقابلها جميعاً القدرة على التحكم في أكبر عدد من أدوات السياسة في المجال الاقتصادي، على سبيل المثال (الخزرجي، 2012م، ص ص: 86-89): النمو الاقتصادي، وما يترتب عنه من نتائج على قدر كبير من الأهمية، التي تمتد إلى عدة محاور أساسية ذات العلاقة بصنع السياسة العامة، وبأهدافها، وصيانة عناصر الأمن القومي، والاستثمار الوطني في الموارد الطبيعية، ودرجة الاعتماد الاقتصادي الخارجي، التي تعبر عن فكرة مؤداها أن الدول وبسبب عدم قدرتها كلياً أو جزئياً على إشباع حاجاتها الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية المتزايدة، أصبحت لا تتوانى عن الدخول في تفاعلات تعاون طبيعية لهذا الغرض، والتي محصلتها التفاعل بين حاجات إحدى الدول وتطلعاتها، وبين إمكانيات غيرها (الرمضاني، 1981، ص324). والمديونية الخارجية، والتي تظهر معانيها في ما تواجهه اقتصاديات الدول من مشاكل ممثلة في بروز اصطلاحات مثل (خدمات الدين، وإعادة الجدولة، وشروط التسديد المفضلة) .

هذه جميعاً، صور يمكن أن تهدد الأمن الاقتصادي، من خلال سياسات اقتصادية غير رشيدة، تؤد باقتصاديات الدولة إلى حالة من التخلف والتبعية، فتجد الدولة نفسها مرتبطة باتفاقيات غير متكافئة، وعلاقات مشبوهة، أو معتمدة على مساعدات خارجية، كالهبات والقروض، وتبني اقتصادياتها على أساس التابع، سواء في مجال الإنتاج، أم التصنيع، أم في مجال التبادل التجاري، أم في مجال الاستثمارات ونقل التكنولوجيا (عبد الشفيع، 1981م، ص214).

3- البعد السياسي :

الذي يعني العمل على منع ما من شأنه إفساد العلاقة بين السلطة والشعب، أو تشويه صورة الدولة (نافع، 1995م، ص107)، وهذا يتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة، وحماية

المصالح العليا، واحترام الوطن، وممارسة التعبير وفق القوانين والأنظمة التي تكفل ذلك، وبالوسائل السلمية التي تأخذ في الحسبان أمن الوطن واستقراره، وحماية دستور الدولة واحترامه، واحترام أهداف النظام السياسي المبنية على شرعية النظام (الشرعية بهذا المعنى أوسع من التأييد والمعارضة)، بمعنى القبول والرضا، واحترام الوطن والمحافظة على الوحدة الوطنية (تعني في أوسع معانيها، قيام رابطة قوية بين مواطني الدولة، تقوم على عناصر واضحة يحس بها المجتمع ويؤمن بها، ويكونوا مستعدين للتضحية من أجل الدفاع عنها)، وفي مقابل ذلك تدور ظاهرة (عدم التكامل الوطني)، مؤداها إن داخل المجتمع الواحد قوى وتكوينات اجتماعية متعددة قوامها تعدد محاور الانقسام في المجتمع، هذه الانقسامات قد تكون سلالية،أو لغوية، أو دينية، أو طائفية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو جغرافية، قد تقود هذه الظواهر إلى عدم الإجماع حول هوية واحدة في المجتمع، والى تعدد الولاءات والانقسامات، التي تشكل تهديداً للكيان الاجتماعي السياسي. ويمكن استشعار ذلك من جملة من المؤشرات يتمثل أهمها في ما يلي (براهيم، 1992م، ص221): حجم التفاعلات الصراعية / التعاونية بين هذه الجماعات، وحجم العنف المتبادل بين النظام السياسي والأقليات، والتمثيل السياسي للجماعات المختلفة في النخبة الحاكمة، وخاصة انه مع اختفاء الصراع الأيدلوجي والسياسي والاستراتيجي العالمي، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، عادت إلى الظهور على السطح الصراعات الاثنية وغيرها ذات الطابع الاجتماعي، كأحد ملامح مرحلة ما بعد الحرب الباردة، خصت بها مجتمعات عديدة، صاحبها الفشل في التعامل معها، مثل حالة كل من الصومال، أزمة البوسنة، روندا وبوروندي، وليبيريا، وسيراليون..الخ، الذي يعد مؤشر على حالة من الأزمة في التعامل مع هذه الصراعات حتى لأكثر الدول قدرة من الناحية العسكرية عند التعامل مع تعقيدات تلك الطائفة من الصراعات (علوي، 2001م، ص86). وهذه نتيجتها جميعاً تآكل ظروف الاستقرار السياسي للأنظمة الحاكمة وتهديد الأمن القومي للدولة.

وأيضا، فان الغياب الكامل للديمقراطية وسيطرة الشمولية أو السلطوية لفترة طويلة من الزمن، يمكن أن يكون من العوامل الخالقة للازمات السياسية المجتمعية، التي قد تهدد بقاء النسيج الاجتماعي السياسي للدولة ذاتها، خاصة إن كان المجتمع لا يتمتع بوجود تاريخي طويل للدولة مفهوماً وظاهرة، بل إن ثمة اتجاهاً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة نحو ايلاء أهمية متزايدة للتهديدات الداخلية للأمن القومي في مقابل انخفاض نسبي في أهمية مصادر التهديد الخارجي، وتشير تجارب دول العالم الثالث إلى أن المواجهات بين الأنظمة السياسية وبين تيارات وجماعات سياسية دينية رافضة للإطار العام للنظام هي أحد أهم واخطر مصادر التهديد الداخلية للأمن القومي (علوي،2001م، ص85).

4- البعد الثقافي :

الذي يمثله الأمن الثقافي، الذي تعددت معه المفاهيم، فيعرف بأنه كل ما يرتبط بالمعتقدات الدينية، وبالمبادئ الوطنية التي تشكل العمود الفقري للمجتمع وللدولة في آن واحد، ويعرف بأنه الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة، أو الأجنبية المشبوهة، وهو بهذا يعني حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج، ويعني الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي وصيانة المؤسسات الثقافية من الداخل من الانحراف.

وبذلك، يعتبر الأمن الثقافي، أو كما يسميه البعض "الآمن الفكري" من القضايا الهامة التي تحتل مكانة مهمة في أولويات المجتمع الذي تتكاثف فيه وتتآزر جهود أجهزته الحكومية والمتخصصة لتحقيق ذلك الأمن، تجنباً لتشتيت الشعور الوطني، أو تغلغل التيارات الفكرية الضالة، وفي ذلك يقول الدكتور عبد الرحمن السديس في أحد خطبه" ومع أن الأمن بمفهومه الشامل مطلب رئيس لكل أمة، إذ هو ركيزة استقرارها وأساس أمنها واطمئنانها، إلا أن هناك نوعاً يعد أهم أنواعه وأخطرها، فهو بمثابة الرأس من الجسد لما له من الصلة الوثيقة بهوية الأمة وشخصيتها الحضارية، حيث لا غنى لها منه، ولا قيمة للحياة بدونه، فهو لب الأمن وركيزته الكبرى، ذلكم هو الأمن الفكري، فان اطمئن الناس على ما عندهم من قيم ومثل ومبادئ فقد تحقق لهم الأمن في أسمى صوره واجل معانيه وأميل مراميه (السديس، شبكة المعلومات الدولية).

وأهمية الآمن الثقافي تنبع من الحفاظ على هوية المجتمع، وحماية العقول من الغزو الفكري والتطرف الديني، وحماية المكتسبات، والاستلاب الثقافي، والوقوف بحزم ضد كل ما يود إلى الإخلال بالأمن القومي. بالإضافة إلى ذلك، يتحقق الأمن الثقافي والفكري عندما يتم التوافق بين ما تؤمن به الجماعة وما تطالب بتأديته، وعندما تنسجم السياسات التنموية مع الثوابت، وعندما لا تكون تلك السياسات التنموية (بحكم كونها طريقة تفكير وأسلوب حياة) موضع قلق للشرعية التي يستمد منها الكيان الاجتماعي أو السياسي، وعندما يطمئن المجتمع على مبادئه وقيمه وفكره وثقافته الأصيلة، ويأمن على ذلك من ملوثات المبادئ الوافدة وعوامل الانحراف الفكرية المستوردة، من خلال التحصين الوقائي المستمر ومن خلال الحوار الهادف والبناء الذي يبعد كل التأثيرات السيئة للثقافة الوافدة، والاستفادة من الثقافات الأخرى بما تحمله من ايجابيات (آفاق إستراتيجية،2010م، ص87). فالاعتزاز بالذات الثقافية للمجتمع تمثل الاعتزاز بالقيم والمبادئ العامة لخصائص المجتمع التي لا يمكن حمايتها بالوسائل الأمنية أو بحزمة الممنوعات في ظل عالم الاتصالات والسماوات المفتوحة.

وتعددت الأسباب والعوامل التي أدت إلى تقويض بناء الأمن الثقافي وزعزعة أركانه، ولعل أخطر تلك الأسباب: التقصير في جوانب العقيدة وتطبيق الشريعة والقنوات الفضائية وما تبثه من مواد إعلامية، وما تروج له من أكاذيب وادعاءات باطلة، الهدف منها النيل من الثوابت الوطنية

وزعزعة الأمن والاستقرار، وشبكات الانترنت التي أخذت تشوش على أفكار الناشئة والدعوة للتطرف .

بهذا يبرز البعد الثقافي والفكري للأمن الوطني الذي يهدف إلى حفظ الفكر السليم والمعتقدات والقيم، طالما أن ثقافة المجتمع ما هي إلا تعبيراً عن المعتقد الديني، والعرف المقبول دينياً، والأنماط المختلفة من العادات والتقاليد (شمبش، 1982م، ص 55).

5- البعد البيئي :

الذي يمثله الأمن البيئي[3] للدولة بمعانيه الشاملة داخلياً، الممثلة في حماية البيئة من الإخطار التي تهددها، كتلوث الهواء، والإضرار بعناصر البيئة الأخرى من نبات، ومياه، ومكافحة التلوث البحري، وإصدار التشريعات المتعلقة بحماية البيئة، والإجراءات الصادرة لحد من مصادر التلوث، أما خارجياً، فان معالجة مشكلات البيئة، مثل ثقب الأوزون، وارتفاع حرارة الأرض، والحفاظ على التنوع البيئي، التي تعد مشكلات ذات طابع عابر للحدود، يقتضي استعداد الدولة للتعامل مع تلك القضايا من خلال المنظمات الدولية، والدول الأخرى، من اجل استمرار للبيئة والموارد، وأفضل ظروف لإزالة التهديدات المحتملة على الأمن القومي الناتجة عن تلك التهديدات البيئية المشتركة.

وهناك أربعة أسباب واضحة، لإيجاد صلة نظرية وعملية، بين الأمن والتغيرات التي تطرأ على البيئة، جراء النشاط الإنساني (علام، 2008م، ص93): التدهور البيئي الحاصل وتهديده للأمن الإنساني، ولكل الحياة على الأرض، والاحتمالات التي تقوم عليها حالة التدهور البيئي، التي سببها سوء الاهتمام بالموارد المتصلة بالبيئة، ونشوء الصراعات الداخلية في بعض البلدان، وتواجد بعض الظروف المعينة التي من شأنها خلق حالة من التدهور البيئي، الذي يتعذر معها إصلاحه، أو إجراء تغيير جذري في الأنظمة البيئية، وترسخ الصلة بين البيئة والأمن، إلى حد أن أصبح مشروعاً سياسياً في عرف القاسم الأعظم من السياسيين، رغم أن الأمن البيئي ربما لا يزال شعاراً جذاباً من الناحية السياسية، إلا انه في الواقع أصبح جزءاً من نطاق السياسة العليا في العديد من الدول ، وخاصة الغربية.

1- البعد الإنساني :

الذي يمثله الأمن الإنساني، في منظوره الحديث، الذي يعني صون الكرامة البشرية، وصون كرامة الإنسان الفرد، وتلبية احتياجاته المعنوية والمادية، وتخليصه من كافة ما يهدد أمنه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وذلك انطلاقاً من أن الدولة لم تعد ضامناً أو كفيلاً بتحقيق أمن الأفراد، هذه المفاهيم الجديدة جاءت تطوراً لممارسات كانت مستقرة لفترات سابقة على المستوى العالمي، حيث كان تأمين حياة الناس غاية نظرية لكل أنظمة الحكم فيه تعمل ضد أمن الناس واستمرارهم، برز ذلك من خلال اتخاذ الدول وتلك الأنظمة الحاكمة سياسات على الأصعدة الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية، تهدد امن مواطنيها بشكل مباشر أو غير مباشر، تحت شعار المحافظة على أمن الدولة ومصالحها العليا (آفاق إستراتيجية، 2010م، ص114).

وبذلك حدث تغير جذري في أجندة العلاقات الدولية، الذي أعطى معنى جديد للأمن الإنساني، والأمن الدولي، دون اعتبار لمهية الحدود الجغرافية، وبه تمايز مفهوم الأمن الإنساني، حيث اتخاذ الفرد وحدة للتحليل بديلة عن الدولة، انطلاقاً من أن الدولة رغم أهميتها، لم تعد ضامناً أو كفيلاً بتحقيق امن الإفراد، باعتبار أن الفرد يعد النقطة المركزية في الأمن الذي يساعد في ثبات الأمن القومي، والإقليمي، والدولي، بذلك أصبحت الرؤيا للأمن الإنساني الجديد وتحقيقه إلا من خلال الإصلاح المؤسسي، وإتباع سياسات تنموية رشيدة، وتحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية، وضمان حياته العامة، والحكم الرشيد، وسيادة القانون، بما يعني تحقيق أمن الإفراد بمفهومه الشامل إلى جانب امن الدولة (غلو، شبكة المعلومات الدولية). بالإضافة إلى ارتباط هذا المفهوم (الأمن الإنساني) مؤخراً بعملية العولمة وتداعياتها سلباً وإيجابا، التي يمكن أن تكون لها تأثيرها على قضايا حقوق الإنسان، والبيئة والاستقرار السياسي، ففي عام 1999م تضمن تقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة بعنوان" عولمة ذات وجه إنساني " أكد على انه بالرغم مما تقدمه العولمة من فرص هائلة للتقدم البشري في المجالات كافة، فإنها في المقابل تفرض مخاطر هائلة على الأمن البشري في القرن الحادي والعشرين، في الدول الغنية والفقيرة على حد سواء، كما حدد التقرير سبعة تحديات أساسية تهدد الأمن الإنساني في عصر العولمة هي: غياب الأمن الصحي، غياب الأمن الثقافي، غياب الأمن الشخصي، غياب الأمن البيئي، غياب الأمن السياسي والمجتمعي، ، غياب الأمن الوظيفي، عدم الاستقرار المالي.

كما يبين تقرير التنمية البشرية لعام 1994م الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، (UNDP) في فصله الثاني ولأول مرة، الإبعاد الجديدة للأمن الإنساني، متضمناً التقرير القول: إنه بعد خمسة عقود من ناغازاكي وهيروشيما، فإننا نحتاج إلى انتقال عميق في التفكير من الأمن النووي إلى الإنساني، فمفهوم الأمن الذي كان يعني أمن تراب الدول ضد العدوان الخارجي، أو حماية مصالحها القومية، أدى إلى إهمال الانشغالات المشروعة والضرورية للناس العاديين الذين يعني أمنهم الحماية من تهديد الأوبئة، والمجاعة، والبطالة والجريمة، والصراع الاجتماعي، والقمع السياسي، والإخطار البيئية، والشعور بفقدان الأمن، وغيرها من الهموم اليومية لأغلب الناس، أكثر من خشيتهم من الحروب والصراعات، وعليه فالأمن الإنساني لا يتعلق بالأسلحة، وإنما بحياة الإنسان وكرامته.

ورغم ذلك، فان الاعتقاد السائد اليوم لدى الكثير من المهتمين بمسائل الأمن الإنساني في العالم، يرون أن بروز مفهوم الأمن الإنساني، جاء في ظل بيئة دولية وأمنية غير ملائمة، منها: هيمنة قطب دولي واحد، وسيطرة مفاهيم جديدة مثل، التدخل الدولي الإنساني، والحرب الاستباقية،

والهيمنة على الدول الأخرى، بالإضافة إلى تهميش دور الأمم المتحدة، والانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان تحت ادعاءات إنسانية.

7- البعد العسكري :

ويمثله الأمن العسكري، حيث يعتبر الأمن العسكري الأكثر وضوحاً لمفهوم الأمن القومي، والمفهوم المرادف له، والمعبر عنه لفترة طويلة، إذ يرى الكثيرون انه العامل الرئيسي في تحقيق الأمن القومي (هويدي، 1991م، ص 145)، إذ يرتبط هذا المتغير بالقدرة العسكرية للدولة، ومدى إمكانية نظامها السياسي من توظيف القوات المسلحة المتاحة كماً ونوعاً لضمان الأمن القومي وصيانته من التهديدات القائمة والمحتملة، ولتحقيق الأهداف والمصالح الوطنية، فالنظرة السائدة بان الأمن العسكري لا يتحقق إلا بتوفر محصلة عوامل أساسية تظهر من خلال إستراتيجية واضحة ومحددة، ممثلة في ثلاثة مطالب أساسية هي (الخزرجى، 2006م، ص90):- الحاجة إلى إستراتيجية وطنية متماسكة، مبنية على الدمج الملائم لجميع العوامل الوثيقة الصلة بالموضوع، والحاجة إلى تنسيق على مستوى عال للمخططات العسكرية والصناعية والتعبئة العامة المدنية، والحاجة إلى الوصول إلى كفاءة عالية في أداء عمليات الخدمات العسكرية.

فلا يكفي توافر أعداد كبيرة من أفراد القوات المسلحة، ولا كميات كبيرة وأنواع كثيرة ومتقدمة من الأسلحة إلا بوجود إستراتيجية عسكرية، وبصفة عامة لا يتحقق الأمن العسكري، ألا إذا توفرت العديد من المعطيات بقدر مقبول من أهمها إمكانية تصنيع السلاح، والقدرة على استخدامه بالاعتماد على النفس، وبناء مؤسسة عسكرية تستوعب احدث التطورات التقنية، والأخذ بأسباب العلم العسكري في قيادة الجيوش، والتدريب والتسليح، وأساليب القتال، إذ لا يكفي امتلاك الجيش للسلاح فقط، وإنما أيضا كيفية استخدامه، وهو ما يتطلب إعداد خطط عسكرية لأغراض الدفاع والردع في حالة التعرض الدول إلى ما يهدد مصالحها، وأمنها القومي، وقدرة نظامها السياسي على اتخاذ القرار بما يخدم مصالحها الوطنية والقومية(الخزرجى، 2006م، ص92).

ورغم إن استخدام القوة العسكرية أصبح مكلفاً جداً، فان الدول ماتزال تخصص موارد ضخمة للقدرات العسكرية مقارنة بغيرها من أدوات التأثير الأخرى، فالولايات المتحدة الأمريكية لديها 20 ألف دبلوماسي، مقابل 2 مليون عسكري، وميزانية للدفاع تفوق 290 مليار دولار للقوات المسلحة (العلوي، 2001م، ص 89). والتي بلغت قيمتها في العام 2015م حوالي 580 مليار دولار، رغم إن المنفعة العامة للقوات المسلحة في العلاقات الدولية في انخفاض، فانه ليس ثمة بديل للقوة العسكرية من اجل صد هجوم عسكري على الدولة.

ورغم التغيير الذي دخل على حجم القوات المسلحة وهيكلها في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بالاتجاه نحو حجم اصغر، ووحدات عسكرية اقل عدداً واخف تسليحاً، وأسرع حركة للتعامل مع

أزمات وصراعات المرحلة، لم يؤد في ذاته بالضرورة إلى تخفيض ملموس في الإنفاق العسكري، لان الحجم الأصغر يقترن بنوعية أفضل من التسليح والاستعداد (الخزرجى، 2006م، ص95).

ورغم ذلك، فالدول لا تتوقف بمجرد تحقيق التوازن فحسب، وإنما تسعى دائماً إلى تحقيق التفوق نتيجة الشعور بالخوف وانعدام الثقة في العلاقات الدولية، الأمر الذي يدخلها في دائرة مغلقة نحو زيادة القوة العسكرية وتلك العملية المتصاعدة من خلال انعدام الأمن يطلق عليها مصطلح " المعضلة الأمنية"، بمعنى شعور الدولة بعدم اليقين والاطمئنان عما إذا كانت الاستعدادات العسكرية لدولة أخرى مجرد استعدادات دفاعية بحثه لدعم أمنها أم إنها ذات طابع هجومي، تهدف من ورائه إلى تغيير الوضع الراهن لمصلحتها (الحربي، 2008م، ص11).

8- البعد الجيوبولوتيكي :

شكل هذا البعد مفهوم استغلال الحقائق الجغرافية، من منظور سياسي، مع مراعاة مصالح الآخرين، المشاركين في الأهداف نفسها، والمتأثرين من الاستغلال السياسي للوضع الجغرافي، إذ تكمن أهمية هذا المفهوم في عنصرين (علام، 2008م، 95): ما توضحه الدراسات الجغرافية من حقائق للأقاليم الجغرافية، من حيث المزايا والعيوب، واكتشاف نقطة التصادم مع الآخرين، مكانياً وزمنياً، بما يساعد على الإعداد لها مسبقاً على ضوء ما وضح من مزايا وعيوب للحصول على أفضل النتائج، التي تحقق الأمن الوطني للدولة.

9- البعد (مخاطر العولمة):

تباينت المواقف، وانقسمت الآراء إزاء العولمة، وتعريفاتها، فسرته جملة التغيرات النوعية المتلاحقة التي شهدها العالم في مستويات الاقتصاد، والاجتماع، والثقافة، والسياسة، التي تجاوزت حدود الدول والأقاليم، أخذة في التأثير في حياة الشعوب بغض النظر عن الجغرافيا، أو العرق، أو اللغة، هذه التجليات في المظاهر وألابعاد تجسدت في أربعة صور، اقتصادية، وسياسية، وثقافية، واتصالية (ياسين، 1998م، ص ص: 9-12).

ولو تعمقنا كثيرا في هذه المظاهر، فسنجد أن كثيرا منها أوهام يريد الغرب أن يروج لها، فهو يدعو لها، ولا يلتزم بها، وهو يلوح بثماره للدول المتخلفة، وهو يسعى إلى جني هذه الثمار قبل أن تسقط في حجر العالم النامي، وان اخطر ما في العولمة بالمفهوم الأمريكي أنها انتهازية، تريد انتهاز الوضع الدولي الحالي لاقتياد العالم صوب مصالحها، وتريد فرض قيمها عليه، فالعولمة الأمريكية في محاولتها لتنميط العالم وفرض الأمركة، أي القيم الأمريكية، تلك القيم القائمة على مبدأ حرية الفرد المطلقة أو" الفردانية" ،التي باتت تهدد المجتمع الأمريكي نفسه من الداخل، وتؤد إلى تفككه، وتحويله إلى جحيم اجتماعي متصارع ومتصادم، كما يشير إلى ذلك العنف والإجرام المتنامي في هذا المجتمع (فليفل، 1999م، ص5). كل ذلك يدل على أن العولمة وما صاحبها

من إجراءات ليس سوى استمرار للهجمة الرأسمالية على الأمم والطبقات الكادحة، في ظروف ثورة الاتصالات والمعلومات، وانحسار حركة الثورة العالمية، وإتاحة المجال للرأسمال العالمي للحد من نزعة انخفاض معدل الربح، ولخلق شروط أفضل لاستغلال الأمم والطبقات الكادحة (غصيب، 2000م، ص ص 25-26).

وما يترتب على العولمة من آثار على الأمن الوطني عديدة منها (مجلة آفاق إستراتيجية، 2010م، ص 100): التأثير على قدرة الدولة في الدفاع عن مصالحها، وتغييب الهوية الثقافية، وتعميم ثقافة الاستهلاك، المبنية على مظاهر التطلع إلى الجديد في الأسواق بغض النظر إلى الحاجة إليه، وحدوث التفاوت الكبير في الثروة والدخل داخل البلد الواحد، وبين البلدان، الأمر الذي يهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي، الذي أدى إلى الثورات والهجرة، وظهور النزاعات العرقية، وبروز العداوات القديمة، ونشر الأفكار الغربية التي لا مكان لها في الشريعة الإسلامية، مثل: فرض العلمانية، والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، والترويج للائحة حقوق الإنسان الغربية المصدر، والثقافة الداعية إلى حرية المرأة، والترويج للحرية الجنسية، ولزواج الجنس المماثل، والتحرر من كل التزام أخلاقي وعائلي، واخترق حرمة البيوت بالحاسوب والنقال والفضائيات، وتعرض العادات والتقاليد للخطر. ولنجاح منظومة الأمن القومي، يجب الالتزام من قبل الجميع بقواعد العمل الجماعي التي تضمن آلاتي (مجلة آفاق إستراتيجية، 2010م، ص 100): الاتفاق عل وحدة المصالح والأهداف، وتوحيد وجهات النظر بخصوص تحديد التهديدات والتحديات التي تواجه المجتمع، والتفريق بين الخلاف في الرأي وبين الخصام والعداوة، وتوزيع الأدوار لخدمة الغرض الواحد، والوعي الكامل بإدارة الأزمات الإقليمية في إطار النظم العالمية المتطورة، والالتزام بما يتفق عليه من قرارات لصالح الجماعة ، والأيمان الكامل بالمصلحة الوطنية .

ففي ذكر مثل هذه الأبعاد ومخاطرها على سبيل المثال لا الحصر، فان في غياب الأمن القومي للدولة، يعني تهديد الوجود، وتعرض أركانه ومقومات استمراره للخطر، مع اكتساب هذه التهديدات والمخاطر مضامين إضافية، اجتماعية وسياسية كلية وشاملة، التي تجعل منها المشكلة الأخطر والقضية الأهم والأجدر بالانشغال بها والاستجابة لمتطلباتها وتقديمها على كل مشكلة وقضية أخرى.

ويبقى للأمن القومي خصائص ومرتكزات يقوم عليها، ولا يمكن بدونها وعدم توافرها القيام بمقتضياته الرئيسية الكاملة من أهمها (العمر،2005م، ص88):-

1- وجود مجتمع قائم ومتحد وشعب متجانس بحيث يشكل البيئة الاجتماعية للدولة أو الشعب .

2- وجود الإطار السياسي لذلك المجتمع، والذي يتمثل في الدولة أو النظام الحاكم الذي يسير مقاليد الأمور في الدولة، ويتولى إدارة شئونها على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية

والاقتصادية، وتحقيق التطلعات المشتركة التي تضمن حداً أدنى من العمل الاجتماعي المشترك، الذي يحفظ أمن الوطن الداخلي والخارجي، ويقلل من مواطن الفرقة والاختلاف بين أفراد الشعب.

3- أن يكون لدى المواطن اقتناع حقيقي بالضامن القومي، ووعي كامل بدوافعه الحقيقية والمخاطر التي تواجه الدولة .

4- قيام الدولة بتحديد أولوياتها الأمنية وشرح أبعاد التهديدات والتحديات التي تواجهها، لأن العمل الذي يكتنفه الغموض يؤد إلى الريبة والشك في نوايا الدولة وأجهزتها .

- المبحث الرابع: نطاقات الأمن القومي.

حرصت الدول دائماً على تحقيق أمنها الوطني، باعتباره هدفها الأول دون منازع، ولكن مع التعقد التدريجي للصراعات السياسية بين الدول على المستوى الإقليمي، ثم الدولي، وإدراك الدول مع تطور الخبرة السياسية، إن أمنها القومي لا يقف عند حدودها السياسية، بل يتعداها إلى حدود الإقليم الذي تنتمي إليه، وربما إلى مناطق أخرى، نظراً لازدياد تأثير الأحداث الإقليمية العالمية على الأمن القومي لبعض الدول، لذلك شهدت الدراسات المهتمة بشؤون الأمن تداول مفاهيم متعددة، ذات دلالات متباينة ونطاقات أوسع ومضامين اصطلاحية خاصة مثل: الأمن الإقليمي، والأمن الدولي، والأمن العالمي .

1- الأمن الإقليمي :

إن الأمن الإقليمي في ابسط معانيه، هو ما يتعلق بأمن مجموعة من الدول المرتبطة ببعضها ببعض، والذي يتعذر تحقيق أمن أي عضو فيه خارج إطار النظام الإقليمي (مطر، هلال، 1999م، ص269)، وهو مفهوم أمني ذو مضمون جغرافي وسياسي في آن واحد، جغرافي لأنه يهتم بقضايا الأمن المتعلقة بإقليم جغرافي محدد الخصائص والعناصر، وسياسي لأنه يهتم بقضايا الآمن المتعلقة بهذا الإقليم من زاوية الدول الموجودة فيه (مسعود، مراد، 2004م، ص 50)، وبذلك فان مظاهر التأثير لهذا النطاق الأمني بالنسبة للدولة، يتمثل في كل ما يحدث في إقليم الدولة من مؤثرات وقلاقل واضطرابات، التي قد تتطور معها الأمور إلى إحداث زعزعة في أمنها، نتيجة لما تفرزه تطورات الإحداث ألإقليمية، ولنا أن نتصور حالة الاستنفار التي تقوم بها دولة من الدول تحسباً لما يمكن أن تسفرعنه نتائج انقلاب عسكري أو حرب أهلية أو صراع تكون جارة من جاراتها طرفاً فيه (شكري، 1987م، ص ص: 11-12).

وتأتي ضمن أدبيات العلاقات الدولية مجموعة من الركائز والمقومات التي يقوم عليها نظام الأمن الإقليمي، حيث يمكن حصر بعض منها في الأتي (الحربي، 2008م، ص 22): العمل على زيادة التفاعلات بين الدول على الصعد كافة، مع تشجيع التعاون والتكامل، ووضع حلول عملية وحاسمة لصراعات والنزاعات في الإقليم وحلها بالطرق السلمية، والتفاهم المشترك لضمان

الاستقرار لدول الإقليم، وتخلي الدول عن استخدام القوة العسكرية، والابتعاد عن التدخل في الشؤون الداخلية، ونبذ استخدام القوة أو التهديد بها، واحترام حقوق الإنسان والحريات العامة، واشتراك ألمجتمع المدني في النشاطات السياسية والاقتصادية والأمنية، واعتبار الأمن الإقليمي جزءاً لا يتجزأ من الأمن الدولي .

وبذلك، يكون الهدف الرئيسي لأي نظام أمني إقليمي هو تحقيق الاستقرار في منطقة الإقليم، عبر تطبيق قاعدة الأمن المتبادل، التي تقوم على أساس التعاون بين وحدات النظام الدولي ، ولمصلحة الإقليم ككل.

2- الأمن الدولي :

لم يعرف العالم الحديث مفهوماً للأمن الدولي سوى ابتداء من التجربة الفاشلة لعصبة الأمم عام 1919م، وفي نشأة الأمم المتحدة عام 1945م، التي تضمن ميثاقها نصوصاً مفصلة لنظام الأمن الجماعي الدولي، وهو الذي تتولاه الأمم المتحدة ممثلة في مجلس الأمن ودوره في حفظ السلم والأمن الدوليين. وهو مفهوم امني ذو دلالتين سياسيتين، تشير الأولى إلى أمن كل الوحدات السياسية في النظام الدولي، والثانية، في الصورة التي ظهر عليها الأمن الدولي من خلال الأنظمة ذات الطبيعة الشاملة المتسعة، كالأنظمة الإمبراطورية التي تسيطر على أقاليم متعددة ومتباعدة من واقع تحديات أعاقت تحقيق هذا المطلب تمثلت في (علوي، 2005م، ص ص:27- 30): انتهاك مبدأ الاختصاص الداخلي للدولة، ومباشرتها لسيادتها الوطنية، وذلك بفعل تدخلات العولمة في سياسات الأمن، ومواجهة مبدأ عدم استخدام القوة في العلاقات الدولية تحدياً خطيراً بفعل ما تروج له الإدارة الأمريكية من مبادئ مثل "الضربات الاجهاضية" في الحرب العادلة، وتعاملها مع العالم، وانتهاك مبدأ السيادة الوطنية والاعتراف الدولي، بفعل عقيدة مبدأ " تغير النظام" بالقوة، وبدون الحصول على موافقة من الأمم المتحدة، وغياب مبدأ توافق الدول الخمس دائمة العضوية بمجلس الأمن في كثير من المواقف، وخاصة عند التعامل مع أزمات الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية (العراق 2003م)، وتطبيق مبدأ "النزع القسري الانتقائي للسلاح"، بمعنى تطبيق تدابير وإجراءات قسرية لنزع السلاح معين من دولة أو دول بعينها، رغم انه يعد من الحقوق المستقرة للدول (في العرف الدولي على الأقل) الحق في امتلاك أو حيازة أنظمة التسلح التي تعتبرها ضرورية للدفاع عن أمنها ونفسها، بالإضافة إلى إعادة الولايات المتحدة الأمريكية سياساتها للأمن العسكري اعتباره، وذلك من خلال زيادة معدلات استخدام القوة العسكرية لتحقيق أهدافها، وتدشينها لمنظومات جديدة ومتطورة للتسليح ولأنظمة القيادة والسيطرة ، وتمددها في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وهذا يتضح مع السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وفي إحياء وتمجيد لمقولات المدرسة الواقعية التقليدية.

3- الأمن العالمي:

وهو احدث مفاهيم الأمن وأكثرها قرباً من مفهوم الأمن الدولي، حيث يقوم أيضاً على حالة الأمن المرتبطة بكل وحدات النظام الدولي، فلا يقتصر على الوحدات السياسية الاجتماعية (الدول)، بل تمتد حدوده ليضم إلى جانبها كل الوحدات الجديدة التي بدأت بالظهور في النظام الدولي، من بدايات القرن العشرين، مثل المنظمات الإقليمية والدولية، العامة والمتخصصة، المجتمعية، والحكومية، والشركات، والمصالح الاقتصادية العابرة للحدود أو القوميات .

وبذلك، فقضايا الأمن العالمي لم تعد ذات طبيعة سياسية فحسب، بل أصبحت أيضاً قضايا مجتمعية، كالديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومكافحة الإرهاب، والتلوث والتصحر، والمخدرات، وغسيل الأموال، والنظام ألمعلوماتي، فاتسع مفهوم الأمن العالمي ليشمل بنطاقه مفهوم الأمن الدولي، الذي أعطى في ظل هذا النطاق من الأمن (الأمن العالمي) بعض من تلك المشكلات ذات التأثير الخطير على الأمن القومي للدول، الأمر الذي اقتضى ليس الجهد الوطني، بل الإقليمي والدولي في المواجهة ضمن إطار الاتفاقيات الدولية والتشريعات الداخلية لخطورة الآثار السلبية لهذه المشكلات على الأمن القومي للدول (صبري، 2001م، ص113).

وبذلك جميعاً، فان مفهوم الدولة للأمن القومي وتطبيقاته ومشكلاته ونطاقاته، ترتبط بطبيعة هذه الدول، وتنشأ عن ظروفها وخصائصها واحتياجاتها وأهدافها، سواء كان ذلك على المستوى الإقليمي أو الدولي أو العالمي.

- الخاتمـة:

أوضحت محتويات الدراسة، أن مفهوم الأمن، ومن ثم الأمن القومي للدولة، هو المحور الذي تدور حوله وتستند إليه كل الأهداف والأنشطة الإنسانية في كل زمان ومكان، وان تعددت مفاهيمه وأبعاده المتنوعة (الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي، العسكري، البيئي، الثقافي، الإنساني،..الخ)، فإن مضمونه الأساسي في النهاية مضموناً واحداً، تفرضها المستجدات الموضوعية، تتداخل مستوياته للوصول إلى صيغة محددة لحمايته.

فالذي حاولت الدراسة تلمسه، لم يراد به إيجاد تعريف محدد للأمن القومي، بقدر ما هي محاولة للتعريف بأثر التحولات البيئية الدولية على هذا المطلب وبالمقاربات الفكرية التي تواجدت لغاية التحديد الدقيق لمعنى الأمن القومي، وركائزه، للوصول إلى مستوياته وأبعاده المتعددة . فكل الاتجاهات الفكرية التي بحثت في سبيل تحقيق الأمن القومي، ما كانت إلا تعبيراً عن أولويات وافضليات تختلف باختلاف حاجات وظروف الدول، المتطورة، والدول الأقل تطوراً، وان تلك الاختلافات هي من قادت إلى تعدد مفاهيم الأمن وتطور أبعاده. والذي أمكن استخلاصه من الدراسة، وإذا ما تجاوزنا الدخول في تفاصيل الدراسات المطلع عليها التي تتعلق بالأمن القومي، فإننا نجدها تعالج الموضوع من عدة جوانب، قسم منها تناول الحديث عن نشأة مفهوم الأمن القومي وتطوره، وآخر تناول الحديث عن مصدر التهديد الخارجي التي تؤثر على الأمن القومي للدول

بصفة عامة، وقسم آخر تناول سياسات الأمن القومي للدول والتنظيم القانوني له، أما الذي يكاد يجمع عليه الكثير من الكتاب هو افتراضهم أن الأمن القومي له معنى، وهذا المعنى يتعلق بالتهديدات المتصلة بالقيم القومية، وتأمين الحماية للإفراد والدولة معاً، وباختلاف تلك التهديدات من بلد إلى آخر، من حيث الظروف والإمكانيات ومصادر التهديد.

- الهوامش:

1- تعد من ضمن الأفكار التي اعتمدت عليها المدرسة الاقتصادية الإستراتيجية ضمن تعريفها لمفهوم الأمن القومي وفقا للمفهوم الغربي، التي يندرج تحت هذه المدرسة، إسهامات كل من: روبرت مكنمار، في كتابه " جوهر الأمن" الصادر عام 1968م، وفكرته بان الأمن يعني التنمية الشاملة، ولورنسو كروز، وجوزيف ناي ،اللذان يعرفان الآمن الاقتصادي بأنه " غياب التهديد بالحرمان الشديد من الرفاهية الاقتصادية" . وفي هذا الصدد يقول وزير الدفاع الأمريكي رونالد رامسفيلد في اجتماع لوزراء الدفاع في الأمريكيتين بتاريخ 17. 11. 2004 إن الأمن هو الأساس الجوهري لمزيد من التقدم والرفاهية. وللمزيد ، انظر في ذلك :اشرف علام، مشروع قناة البحرين والأمن العربي، (القاهرة : مجموعة النيل العربية، 2008) ص ص 82 – 83.

2- استخدم مصطلح الأمن القومي لأول مرة عام 1948، حيث أنشئ مجلس الآمن القومي الأمريكي، بعد توقيع الرئيس الأمريكي " هاري ترومان على قانون الأمن الوطني في سنة 1947م، وكان الهدف من إنشاء هذا المجلس، هو التنسيق بين السياستين الخارجية والدفاعية للولايات المتحدة الأمريكية لأنهما الجهتان الرئيسيتان اللتان تعملان من أجل تحقيق المصالح الوطنية ألأمريكية في المجال الخارجي، وذلك من خلال خلق مؤسسة مركزية لتنسيق سياسة الأمن الوطني، وتكون تابعة مباشرة للإدارة التنفيذية في الحكومة، وكانت الدول قد جرت على استخدام مصطلح : "المصلحة القومية" للتعبير عن كل ما يتعلق باستقرار وسيادة الدولة بما في ذلك أمنها القومي.للمزيد حول هذا المصطلح، انظر: شبكة المعلومات الدولية .http:// mogatel Com/openshare/Behot.

3- بدأ مفهوم " الأمن البيئي" يتداول بكثرة في السبعينيات من القرن الماضي في المنظمات الدولية، وعلى رأسها الأمم المتحدة، حيث عقد أول مؤتمر دولي لبحث شامل المسألة البيئية عام 1972، في ستوكهولم، وإنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNVEP) ، وبرز مصطلح "الأمن البيئي " كحقل دراسي ، مع منتصف ثمانينات القرن العشرين، كمرادف لمساعي التحرر من التهديد المتصاعد الذي تمثله على حياة البشر الضغوط والانتهاكات التي تتعرض لها البيئة، وتؤثر فيها، وتعمل على استنزاف مواردها الطبيعية. للمزيد انظر في ذلك: هشام حمدان، الضوابط البيئية وأثرها في التنمية الوطنية، المستقبل العربي، بيروت ، العدد 185، يونيو1994، ص ص 49 66.

- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: التقارير:

1- تقرير التنمية البشرية (نيويورك : الأمم المتحدة 1999)

ثانياً: الكتب :

1- إبراهيم، حسنين توفيق ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992).

2- اسباين، جورج ، تطور الفكر السياسي، الكتاب الأول، ترجمة: حسن جلال، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010).

3- اسباين، جورج ، تطور الفكر السياسي، الكتاب الثالث ، ترجمة: راشد البراوي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010)

4- العمر، فاروق عمر ، دول القوة ودول الضعف، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2005).

5- الدعيج، فهد، الأمن والأعلام في الدولة الإسلامية، (الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، 1989).

6- الاسطل، كمال ، نحو صياغة نظرية لأمن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، (ابوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1999).

7- الخزرجي، كمال محمد ، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة، (عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2012).

8- الرمضاني، مازن إسماعيل ، السياسة الخارجية- دراسة نظرية، (بغداد: كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1981).

9- بيلس، جون ، سميث، ستيف ، عولمة السياسة العالمية، ابوظبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004).

10- رشيد، سليمان ، البعد الاستراتيجي للمعرفة، (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2003).

11- جون بيليس، الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، ترجمة : مركز الخليج للأبحاث، 2004).

12- خيري، سمير ، الأمن القومي العربي، (بغداد: دار القادسية للطباعة، 1983).

13- ستيرن، جفري ، تركيبة المجتمع الدولي: مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004

14- شمبش، علي محمد ، العلوم السياسية، (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1982).

15- صبري، نجدت ، الإطار القانوني للآمن القومي: دراسة تحليلية، (عمان: دار دجلة، 20011).

16- علام، اشرف ، مشروع قناة البحرين والأمن القومي، (القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2008).

17- عبدالشفيع، محمد ، قضية التصنيع في إطار النظام الاقتصادي العالمي الجديد، (بيروت: دار الوحدة،1981).

18- عاطف، محمد غيث، وآخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985).

19- قدور، عمر احمد ، شكل الدولة وأثره في تنظيم مرافق الدولة، (القاهرة: منشورات مكتبة مدبولي، 1994).

20- مصطفى، إبراهيم ، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، (القاهرة : د.ن ،1960).

21- مطر، جميل ، هلال، علي الدين ، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999).

22- مسعود، عبدالله ، مراد، علي ، الأمن والأمن القومي، (طرابلس: المركز العالمي للدراسات، 2006).

23- مكنمارا، روبرت ، جوهر الأمن، ترجمة: يونس شاهين،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970).

24- نافع، عبد المجيد ، الآمن القومي، (القاهرة: الدار المصرية للكتاب، 1995).

25- نهارا ،غازي صالح ، الأمن القومي العربي، (عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع 1993).

26- هويدي، أمين ، أزمة الأمن العربي فيمواجهة الأمنالإسرائيلي، (بيروت: دار الطليعة، 1975).

27- هنتنغتون، صموئيل ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك ابوشهيوة، ، محمود خلف،(مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1999).

ثالثاً: الدوريات والندوات :

1- الحربي، سليمان عبدالله ، مفهوم الأمن : مستوياته وصيغه وتهديداته، دراسة نظرية في المفاهيم، المجلة العربية للعلوم السياسية، (بيروت: الجمعية العربية للعلوم السياسية)، العدد 19، الصيف 2008.

2- الديك، أسامة الهادي ، الأمن الاجتماعي قضية محورية قديما وحديثاً، مجلة آفاق إستراتيجية، (طرابلس: مركز الدراسات الإستراتيجية المستقبلية، العدد الأول، يناير 2010).

3- شكري، محمد عزيز ، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 7، يوليو 1978.

4- عبدالقادر، داليا ، البعد الثقافي – الحضاري للأمن القومي المصري، السياسة الدولية، (القاهرة : مؤسسة الأهرام، العدد 167، يناير 2007.

5- علوي، مصطفى، الأمن الإقليمي بين الأمن الوطني والأمن العالمي، (القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، سلسلة مفاهيم، العدد 4، ابريل 2005.

6- علوي، مصطفى ، الأمن والتنمية في النظرية والتطبيق، مجلة النهضة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد 6، يناير 2001.

7- عرفات، إبراهيم ، الأمن في المناطق الرخوة: حالة آسيا الوسطى" في: هدى ميتكينس، وليد عابدين (محرران)، قضايا الأمن في آسيا، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،، مركز الدراساتالأسيوية، 2004).

8- غصيب، هشام، العولمة والهوية القومية، مجلة الطريق ،العدد4، بيروت 2000

9- فليفل، السيد ، نعم للعولمة الموضوعية..ولا للهيمنة، صحيفة الأهرام، 1999.5.21.

10- نافعة، حسن ، دور الأمم المتحدة في تحقيق السلم والأمن الدوليين في ظل التحولات العالمية الراهنة، في الأمم المتحدة: ضرورات الإصلاح بعد نصف قرن، وجهة نظر عربية، تحرير: جميل مطر وعلي الدين هلال، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996).

16- ياسين، السيد ، في مفهوم العولمة، المستقبل العربي، العدد 228، بيروت، 1998.

17- مجلة آفاق إستراتيجية، (طرابلس: مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية)، العدد الأول، يناير 2010م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

1- ألمعمري، خالد ، التنظير في الدراساتالأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمريكي بعد 11 سبتمبر، رسالة ماجستير منشورة، الجزائر ، جامعةباتنة، كلية الحقوق ، قسم العلوم السياسية، 2008م.

2- بلال، قريب ، السياسات الأمنية للاتحاد الأوروبي من منظور أقطابه- والتحديات والرهانات، رسالة ماجستير منشورة، الجزائر ، جامعة باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية،2011.

خامساً: شبكة المعلومات الدولية:

1- السديس، عبدالرحمن ،تعزيز الأمن الوطني عند الطلاب، http:// drmosad. Com/ in dex 307.htm.18.1.2011

2- سليمان، منذر ، دولة الأمن الوطني وصناعة القرار الأمريكي، تفسيرات ومفاهيم ، موقع الحوار الديمقراطي،06-03-16/http:// mormik. Club.fr

3- عرفة، خديجة احمد، تحولات مفهوم الأمن ..الإنسان أولا.http:// Islam on line

4- غلو، احمد ،البشرية في القرن الحادي والعشرين، http:// lebarmy.gov.lb

سادساً: المراجع الأجنبية :

1-Barry Buzan ,Is International Security Possible, in Ken Booth . (ed), New Thinking About Strategy and International Security (London: Harpers Collins, 1991),31

2- R,Reagan: National Security Strategy of The USA, white House Report,January 1988.

التوافق وعلاقته بالمشاركة السياسية لدى طلاب الجامعة

د . علي محمد المحروق

محاضر إدارة تعليمية

كلية التربية يفرن / جامعة الجبل الغربي

مقدمة :

تعد المشاركة السياسية أحد الأبعاد المهمة لتحديد السلوك السياسي للأفراد، كما أنها أحد المحاور الأساسية في مجال اهتمام علم السياسة والعلوم الاجتماعية وعلم النفس السياسي، وتتفق الدراسات والآراء على تأكيد الدور الإيجابي للفرد في الحياة السياسية من خلال حق الترشيح أو التصويت في الانتخابات، أو الاهتمام بالقضايا والأمور السياسية ومناقشتها مع الآخرين، أو العضوية في المنظمات ..... إلخ ، فهي محاولة للتأثير على متخذي القرار ، والمشاركة عملية إرادية واعية وتأكيد للحق الديمقراطي لأفراد المجتمع، وهي ركيزة أساسية من ركائز الديمقراطية، لأنها تعني ممارسة الشعب لحقه في حكم نفسه بنفسه (عزيزة السيد ،1994: 29).

والمشاركة السياسية لا تعني مشاركة كل المواطنين في كل الأنشطة والمجالات السياسية المختلفة في كل الأوقات بقدر فحسب بل تعنى مشاركة أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع في أكبر عدد ممكن من هذه الأنشطة والمجالات، بقدر ما تسمح به استعدادات هؤلاء الأفراد وقدراتهم وميولهم(محمد عتران،1991: 2).

ومع ذلك فإنه يكاد يكون هناك شبه إجماع بين الباحثين على بعض صيغ المشاركة السياسية التي تمكننا من دراستها وتحديد كافة العوامل السياسية والنفسية والاجتماعية والتاريخية التي تسهم فيها ، كالتصويت في الانتخابات والانتماء الحزبي وعضوية المنظمات السياسية، وهذه الصيغ من المشاركة ترتبط بآليات العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني وطبيعة الممارسة السياسية السائدة، وهذا يضفي طابعاً مؤسساتياً على المشاركة، الأمر الذي يجعل دور الدولة أساسياً في التشجيع أو عدم التشجيع على المشاركة، إلا إذا حدثت طفرات وتمردا سياسياً تجعل المشاركة فرضاً(أماني قنديل،1992 : 7).

وتتوقف ممارسة الفرد لسلوك المشاركة السياسية – كعملية مكتسبة – على توافر القدرة والدافع والاختيار لدى الفرد، والفرص التي يتيحها المجتمع بتقاليده وأيديولوجياته، وكذا الظروف التي تحددها طبيعة المناخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع، ومن هنا تبرز أهمية التنشئة ودورها في خلق سلوك المشاركة وتكوينه، إذ أنها تزود الفرد بالمثيرات التي يستقبل من خلالها قيم المشاركة، وكلما كثرت هذه القيم ازداد احتمال مشاركة الفرد في الأنشطة والمجالات المختلفة وازداد عمق هذه المشاركة(محمد عتران ، 1991 : 5) .

وتختلف المشاركة أو الممارسة السياسية لكل من المرأة والرجل تبعاً لمستوى الإمكانيات والوسائل المادية والاجتماعية المتاحة في المجتمع، كذلك تبعاً لوضع المرأة وتبعاً لنوع العمل سواءً كان هذا العمل خارج المنزل أو داخله، ولا يمكن تفسير العلاقة بين عمالة المرأة والمشاركة أو الممارسة السياسية دون الرجوع للخلفية التاريخية والثقافية التي أهلت المرأة في الوقت الحاضر لهذه المشاركة(سامية خضر،1989 : 125). هذا ويستخدم مصطلح " المشاركة " ليشير غالباً إلى المساندة الشعبية للقيادات الحكومية المؤثرة في مجال قيادتها وإدارتها للعمل السياسي ، كما تعني المشاركة أيضاً مطالب شعبية ترتبط عادة بهذه المساندة ، وتشير المشاركة بهذا المعنى إلى فكرة الشرعية الشعبية التي يستمدها العمل السياسي من المساندة الجماهيرية ، والتي تتصل بعمليات اختيار القيادات السياسية ، ووضع السياسات ووضع الخطط وتنفيذ البرامج والمشروعات سواءً علي المستوى الخدمي أو علي المستوى الإنتاجي، وكذلك علي المستوى المحلى أو المستوى القومي ، كما تتضمن المشاركة أيضا فكرة إعطاء الحق للمواطنين لحجب تأييدهم ومساندتهم إذا تطلب الموقف ذلك ، وفكرة تقديم مطالب عامة لهم في بعض المواقف الأخرى، وترى إحدى مدارس الفكر الديمقراطي أن "التمثيل" الذي يتم بواسطة الانتخابات هو الشكل المناسب الذي يمكن أن يتحقق من خلاله المشاركة على أوسع نطاق في المجتمعات الحديثة، حيث يكون من الصعب علي ملايين المواطنين الاشتراك في الحكم وصياغة القرارات السياسية(سعد جمعة، 1984: 2).

الاطار النظري :

تعريفات المشاركة السياسية:

ويعرف سعد جمعة (1984 : 34) المشاركة السياسية بأنها:"سلوكً تطوعي، وهي عملية مكتسبة يتعلمها الشخص خلال حياته وأثناء تفاعله مع العديد من الجماعات المرجعية، ابتداءً من الأسرة وتدرجاً مع جماعة الفصل وجماعة النادي وجماعة الأصدقاء، وجماعة العمل ، كما تتوقف ممارسة الفرد للمشاركة السياسية باعتبارها عملية مكتسبة على مدى توافر المقدرة والدافعية، والفرص

التي يتيحها المجتمع وتقاليده السياسية والأيدلوجية والظروف التي تحدد طبيعة المناخ السياسي السائد في المجتمع" .

كما يعرف ماكريدس وبراون Mercedes & Brown (1986 : 314) " المشاركة السياسية بأنها:"تلك الأنشطة الإرادية المشروعة التي يقوم بها المواطنون بهدف التأثير بشكل مباشر أو غير مباشر في عملية اختيار الحكام أو التأثير في القرارات السياسية التي يتخذونها" .

ويعرف رش Rush (1992: 110) المشاركة السياسية بأنها:" مشاركة الفرد في مستويات مختلفة من النشاط في النظام السياسي، وهي تتراوح بين عدم المشاركة وبين شغل منصب سياسي".

وتعرف ناهد صالح وآخرون (1994 : 55) المشاركة السياسية بأنها:" هي القيام بدور ما في العملية السياسية، أو يدخل في هذا الإطار ما من شأنه أن يؤثر في علاقات القوة في المجتمع، وتتعدد صور المشاركة وتختلف باختلاف كل مجتمع حسب درجة تطوره السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولذلك تتعدد صور المشاركة وتختلف تبعاً لتقدم المجتمع، كما تختلف في المجتمع الواحد من فترة إلى أخرى" .

ويعرف طارق حمزة (1995 : 90) المشاركة السياسية بأنها:" حرص الفرد – بناءً على ما لديه من خصائص نفسية معينة – على أن يؤدي دوراً في عملية صنع القرار، وينعكس هذا الحرص على سلوك الفرد السياسي من خلال مزاولته لحق التصويت أو الترشيح لأي هيئة سياسية، كما ينعكس على اهتماماته التي تتمثل في مراقبة القرار السياسي، وتناوله بالنقد والتقييم والمناقشة مع الآخرين، وينعكس أيضاً على معرفته بما يدور حوله من أمور تتعلق بالسياسة، والمشاركة في النهاية هي محصلة لهذا الثالوث" النشاط– الاهتمام–المعرفة" .

أما محمد توفيق (1996 : 60) فيعرف المشاركة السياسية بأنها:" العملية التي يلعب الفرد من خلالها دوراً في الحياة السياسية للمجتمع، وهي عملية تطوعية واختيارية، وعن طريقها يحصل الفرد على بطاقة انتخابه للترشيح، أو الإدلاء بصوته لاختيار حكامه وممثلين في المؤسسات التشريعية والنقابية والأهلية، والاشتراك والمساهمة في المناقشة لكافة الموضوعات المطروحة، وفي الأنشطة المختلفة للدولة، وذلك عن طريق انتمائه لحزب أو هيئة حكومية أو أهلية أو نقابية، ولا تتحقق المشاركة السياسية إلا بإعطاء الحق الديمقراطي الدستوري لكافة أفراد المجتمع البالغين العاقلين في الاشتراك بصورة منظمة في صنع القرارات السياسية لممارسة الحقوق الدستورية في إطار الشعور بحرية الفكر والعمل وحرية التعبير عن الرأي بقصد تحقيق التنمية الشاملة والأهداف العامة للمجتمع" .

ويعرف شعبان الحداد (2006 : 12) المشاركة السياسية بأنها:" العملية التي يلعب الفرد من خلالها دوراً في الحياة السياسية للمجتمع، بناءً على ما لديه من خصائص نفسية معينة، وهي عملية تطوعية واختيارية، يسعى الفرد من خلالها إلى التأثير على القرار السياسي، من خلال القيام بالأنشطة السياسية المختلفة مثل التصويت في الانتخابات لاختيار حكامه وممثليه في المؤسسات التشريعية والأهلية والنقابية، أو الترشيح إلى منصب سياسي، أو المشاركة في المهرجانات السياسية والمسيرات والإعتصامات.... إلخ ، ومتابعة ما يدور حوله من أمور قد تؤثر في حياة مجتمعة السياسية" .

اشكال المشاركة السياسية :

ويميز رايت Wright (1994 : 166) بين ثلاثة أشكال للمشاركة السياسية، هي: المشاركة الحرة أو الاختيارية، والمشاركة لصالح النظام أو المقيدة بالنظام، والمشاركة كوسيلة استخدام شخصي، ويرى أن المشاركة الحرة هي القاعدة في الديمقراطيات الليبرالية،حيث يستطيع الأفراد أن يختاروا ما إذا كانوا سيشاركون أم لا، وكيفية مشاركتهم والاستثناء الرئيس للطبيعة الاختيارية في هذا النوع من المشاركة هو التصويت الإجباري والمطبق في قليل من الدول مثل أستراليا وبلجيكا وهولندا حتى عام 1970، أما في العالم الثالث فإن الشكل التقليدي للمشاركة هو علاقة السيد/التابع، حيث يقدم الأشخاص ذوو المكانة المنخفضة دعمهم السياسي للسادة " أصحاب الأعمال– الرؤساء– القادة الدينيون.... إلخ "،وذلك في مقابل نوع من الحماية، وهذه المجاملات قد تتضمن الوعد بالحصول على عمل أو بعض المزايا، وهذا النمط من المشاركة هو مقايضة شخصية بين أفراد ذوي موارد شديدة التفاوت والاختلاف وبالتالي فهي شكل من أشكال الاستخدام.

ويميل بعض الباحثين إلى تقسيم المشاركة بناءً على درجة الشدة إلى مشاركة منخفضة في القرار السياسي، أو مشاركة مرتفعة في القرار السياسي، أما الأنماط المنخفضة من المشاركة فتتمثل في طاعة القوانين، والالتزام بالأخلاق الحميدة، والدفاع عن الوطن، والتصويت، بينما تتمثل الأنماط المرتفعة من المشاركة في الاشتراك في:الحملات الانتخابية، و كتابة خطابات لأعضاء المجالس النيابية، والاشتراك في المظاهر السياسية، وسيادة نمط معين للمشاركة يتوقف على الثقافة السياسية السائدة، فهي التي تحدد الإطار العام للمشاركة.(طارق حمزة ،1995 : 25).

ويرى "كسفير Kasfir (1989 : 6) أن مدى المشاركة السياسية وحجمها يتعلق بأثرها على السياسات أو القرارات التي تتخذ، وهذا البعد هو أكثر جوانب المشاركة تعقيداً ويتضمن دراسة عدة تمييزات ، ويمكن تقسيم المشاركة إلى مشاركة رمزية ، ومشاركة مادية ، تبعاً لما إذا كانت المشاركة شرفية ، أو ما إذا كان يقصد بها التأثير على عملية صنع القرار مباشرة ، والانتخابات

التي تتحدد نتيجتها مقدماً ، أو اللجان التي لا سلطة لها ، أو اللجان المحترمة التي تضم أعضاء جماعات الأقلية،تعد أمثلة للمشاركة الرمزية ، وتستخدم الحكومات أحياناً المشاركة الرمزية للتغطية على انخفاض فرص المشاركة المادية .

الاغتراب السياسي :

كثيراً ما نجد لدى بعض الأشخاص بمشكلات من قبيل اللامبالاة السياسية التي تنعكس فى صورة اغتراب وعزلة سياسية ، وفقدان الثقة السياسية .

والاغتراب السياسي يقصد به كما يشير سعد جمعة (1984 : 40) هو تلك الحالة من التناقض القائم بين ذات الفرد وبين مؤسسات النظام السياسي والقائمين على زمام السلطة، بل العملية السياسية ذاتها ونتائجها ، أما العزلة السياسية يقصد بها رفض قواعد السلوك والأهداف السياسية التي يدين بها كثير من أعضاء المجتمع (سعد جمعة ، 1984: 43)، ويشير كنستون "Kinston" أن رفض القيم السائدة والأدوار والأنظمة يعتبر مؤشراً عاماً بين المغتربين، ويشير أيضا إلى أنَّ إحساس العزلة السياسية يظهر بين الأفراد الذين لا ينتمون للثقافة الأصلية ويحملون ثقافة مضادة تتعارض مع الثقافة الأصلية ، ويشير ملبرات "Milbrath" (1980 : 66) إلى أن الأفراد المغتربين سياسيا هم أقل احتمالا للمشاركة السياسية ، أما "سيلز Sills" (1990 : 55) فيري أن أحاسيس الاغتراب عند الفرد تكون مرتبطة بقوة مع اللامبالاة السياسية، والتي تعنى عدم اهتمام الفرد بالأفراد أو الظواهر أو المواقف في المجتمع بصفة عامة، وبالتالي، يؤدى الاغتراب لعدم المشاركة .

ويؤيد "سعد جمعة" تلك الآراء عندما يشير إلي أن الآثار المترتبة على الاغتراب السياسي يمكن عرضها بإيجاز في النقاط التالية: (سعد جمعة، 1984: 43).

–يؤدي الاغتراب إلى الإحجام عن المشاركة فى عملية التصويت، ولعل ما ينطبق على التصويت ينطبق على أشكال المشاركة الأخرى.

– يؤدي الاغتراب إلى ازدياد نزعة المعارضة أو التصويت السلبي.

–أن العلاقة بين المشاركة والاغتراب علاقة عكسية، بمعني أنه كلما زاد اغتراب الفرد كلما قل نشاطه السياسي.

وينتج الشك السياسي من خلال عدم الثقة في أحوال وأقوال الآخرين في المجتمع وخاصة قياداته والشعور بأن العمل السياسي عمل رديء،وأن الثقة في رجال العمل السياسي أمر مستحيل (عبد الهادي الجوهري، 1984: 18).

ويشير نوتشيان Noachian (1980 : 321) إلى أن الشك هو إحساس الفرد أن شاغلي الأدوار السياسية ينتهكون حرمة المعايير السياسية عند التعامل مع الشعب، وأن الإحساس بالظلم والحرمان تكون عوامل دافعة تقود للريبة والشك واللجوء إلي نماذج الاغتراب السياسي. ويضيف جامسون Gamson أن الشك وعدم الثقة يعتبران جزءاً جوهرياً من ديناميات الثورة، وأن الأفراد عديمي الثقة يميلون إلى الانغماس في النماذج غير الشرعية للمشاركة السياسية .

إن المشاركة السياسية في النظم التقليدية تحكمها مصالح الأعضاء الشخصية والاعتبارات الحزبية، وما كثرة الاضطرابات والمظاهرات من جانب فئات المجتمع المختلفة إلا دليل على أن المشاركة الصحيحة لا تقوم إلا في ظل الديمقراطية الصحيحة (شعبان الأسود،1999 : 179).

أهمية المشاركة السياسية:

من خلال المشاركة يمكن أن يقوم الفرد بدور في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمعه، بقصد تحقيق أهداف التنمية الشاملة، على أن تتاح الفرصة لكل مواطن كي يسهم فى وضع هذه الأهداف وتحديدها، والتعرف إلى أفضل الأساليب والوسائل لتحقيقها، وعلى أن يكون اشتراك المواطنين في تلك الجهود بناءً على رغبة منهم في القيام بهذا الدور دون ضغط أو إجبار من جانب السلطات، وفي هذه الحالة يمكن القول، بأن هذه المشاركة تترجم شعور المواطنين بالمسئولية الاجتماعية تجاه مجتمعهم، والمشكلات المشتركة التي تواجههم والرغبة في تحويل الأهداف التي يريدون بلوغها إلى واقع ملموس(محمد عتران،1991 : 20).

فالمشاركة مبدأ أساسي من مبادئ تنمية المجتمع، فالتنمية الحقيقية الناجحة لا تتم بدون مشاركة، كما أن المشاركة تعد أفضل وسيلة لتدعيم الشخصية الديمقراطية وتنميتها على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع (عبد الهادي الجوهري،1988 : 9) ، وفى الوقت نفسه تعد المشاركة السياسية من أيسر حقوق المواطن، وهي أساس يجب أن يتمتع به كل مواطن يعيش في مجتمع، فمن حقه أن يختار حكامه، وأن يختار نوابه الذين يقومون بالرقابة على الحكام، وتوجيههم لما فيه مصلحة الشعب. (محمد حسني ، 2001 : 99) ويرى ألكو Elcho (2000 : 66) أن أهمية المشاركة السياسية تعود إلى أنها من أهم خصائص المواطن الصالح في مجتمع ديمقراطي، وهذه الخصائص تتضمن ما يلي :

– يجب أن يعرف كمية معينة من المعلومات حول السياسة، وأن يدرك أن هذه المعرفة لها أهميتها بالنسبة له

– يجب أن يعتقد أن له بعض التأثير على مسار الأحداث السياسية.
– يجب أن يعتقد أنه سوف يحصل على معاملة عادلة معقولة في كل من صنع السياسات والاتصالات الفردية مع ممثلي الحكومة.

– يجب أن يكون له رأي خاص تجاه المؤسسات السياسية وممثليها.
وعندما تكون المشاركة السياسية فعالة يكون لها علاقة جوهرية بكل الأهداف الاجتماعية والسياسية الأخرى، والمشاركة تمثل عملية تحديد الأهداف واختيار الوسائل بالنسبة لكل أنواع القضايا الاجتماعية، ويفترض من خلال المشاركة أن تتحدد أهداف المجتمع بشكل يؤدي إلى مضاعفة توزيع المزايا في المجتمع لمواجهة حاجات السكان ورغباتهم، والمشاركة لا ترتبط بالأهداف الاجتماعية ولكنها أسلوب لتحديد الأهداف واختيار الأولويات وتقرير الموارد التي تستخدم لتحقيق الأهداف، والمشاركة لا تعمل فقط على توصيل احتياجات المواطن ورغباته إلى الحكومة، ولكن لها مزايا مباشرة أخرى، فهي تعد مصدراً أساسياً للرضا عن دور الفرد، علاوة على ذلك فقد تم النظر إلى المشاركة السياسية كوسيلة تعليمية يمكن من خلالها تعلم الفرد القيم الدينية، وكما أوضح جون ستيوارت ميل – وهو من أشهر مؤيدي هذه النظرة– أنه من بين المزايا الكبرى للحكومة الحرة هو أنها تنمي الذكاء والوجدانيات لجميع أفراد المجتمع عندما يدعون للمشاركة في أعمال تؤثر مباشرة على المصالح العظمى للبلد، كما أنه من خلال المشاركة يتسنى للفرد تعلم المسئولية، وبهذا المعنى يكون للمشاركة أكثر من قيمة وظيفية، فهي غاية في حد ذاتها، وفي واقع الأمر نستطيع القول: بأنه في ظروف المعايير الديمقراطية يتحطم الاتزان الانفعالي للفرد إذا لم يشارك في القرارات التي تؤثر في حياته (Verba, 2005 :8) .

ويعد التوافق مصطلحاً مرادفا لمصطلحي السوية ، والصحة النفسية ، طالما أن الشخص المتوافق سوى وينعم بالصحة النفسية .

والتوافق فى أصله مصطلح بيولوجي على نحو ما حدده (دارون)، فالتوافق لديه يعنى قدرة الكائن على التلاؤم مع ظروف البيئة وما يطرأ عليها من تغيرات ، بحيث تتحقق المحافظة على الحياة ، فهذا التلاؤم ليس غير لا فتة تخفى ورائها خفض التوتر واستعادة للاتزان بأكثر منه قدرة خلاقة تتيح مواجهة ما يطرأ على البيئة من ظروف جديدة (صلاح مخيمر ، 1984 : 9) .

ومازال هذا التعريف يترك بصماته على التعريفات السابقة للتوافق التي وردت عند بعض علماء النفس والمعاجم والموسوعات النفسية حيث تقيم التوافق على التلاؤم والتناغم بين الفرد والبيئة بهدف خفض التوتر إلى أقصى حد فعندما لا يكون هناك توتر " إن كان ذلك ممكناً " تكون الحالة المثلى للتوافق .

ومن هنا كان Goldstein من أوائل الذين احتجوا على ذلك عندما رفض أن تكون وظيفة السلوك مجرد خفض التوترات التي تهدد اتزان الكائن ، ولذا أصر على أن يضيف تحقيق الإمكانيات كأعظم خاصية تخص الإنسان البشرى الناضج (محمد درويش ، 1985 : 19) .

أما يونج (Young , 1960) فقد ألح على أهمية المرونة بكل ما تنطوي عليه الكلمة من قابلية للتوافق ، وقدرة على مواجهة المواقف الجديدة ، فالتوافق فى رأيه ينحصر فى تلك المرونة التي يشكل بها الكائن الحي اتجاهاته وسلوكه لمواجهة مواقف جديدة بحيث يكون هناك تكامل بين تعبير الكائن عن طموحاته وتوقعاته ، ومتطلبات المجتمع (عبد الفتاح نجله ، 1993 : 11) .

وكذلك مخيمر (1978) الذى أكد على أن التوافق لا يمكن أن يكون معياره هو خفض التوتر طالما أن خفض التوتر فى صورته المثلى ينتمي إلى غرائز الموت ، بينما يكون التوتر واشتهاء الاستثارة هو المبدأ الحق الذى ينتمي إليه غرائز الحياة ، وبذلك جاء تعريف مخيمر للتوافق بأنه هو الرضا بالواقع الذى يبدو هنا والآن مستحيلاً على التغير ، ولكن فى سعى دائب لا يتوقف لتخطى الواقع الذى ينفتح للتغير مضيا به قدماً فقدماً على طريق التقدم والصيرورة (صلاح عبد القادر ووليد القفاص ، 2000 : 32) .

وعليه يمكن النظر إلى التوافق على إنه قابلية التطبيق العملي للمشاركة السياسية المنتجة كوسط فاضل بين قيمة الحرية والمساواة على انه شيء جديد وإحداث توازن بالنسبة للفرد بحيث يشمل هذا التوازن ، توازن الفرد مع نفسه ، وتوازن الفرد مع متطلبات العالم الخارجي ، على أن يكون هذا التوازن سواء أكان قصير – أم طويل المدى مشتملا على التوافق الممتد داخل البيئة ، تشكيل السلوك الممتد داخل البيئة ، والنجاح فى اختيار بيئة جديدة .

ومما سبق يتضح ، أن المشاركة فى معناها الحقيقي هي طريقة حياة style of life تتخلل كل نسيج المجتمع لتتيح لكل مواطن أن يشترك فى صنع القرارات التي تؤثر فى حياته دون تمييز بين المواطنين على أساس النوع أو العرق أو الديانة أو العمر أو الطبقة ، والمشاركة السياسية الحقيقية هي حق ومسئولية ، وفى الوقت نفسه هي أيضا هدف ووسيلة فى آن واحد ، ومع ذلك فالمشاركة السياسية تتطلب وعيا ورغبة وقدرات ومهارات تنظيمية كما تتطلب بيئة تمكن لها النمو ، كما تتطلب إدراكا من جانب سلطات الدولة لقيمة مشاركة المواطن ، وأنه كلما اتسعت فرص

المشاركة السياسية كلما أدى ذلك إلى القضاء على عمليات الشعور بالعزلة والاغتراب لدى الجماهير، وكلما تحققت قيم المساواة والحرية فإن هذا يؤدي إلى الاستقرار السياسي العام للمجتمع، وبالتالي يساعد على تحقيق الشروط الاجتماعية والنفسية والثقافية والسياسية لنجاح خطط التنمية المختلفة .

ومن ثم ، رأى الباحثان أن يقوم بهذه المحاولة البحثية لدراسة العلاقة بين التوافق والمشاركة السياسية لدى عينة من طلبة الجامعة ، علها تساعد فى تقديم خدمات إرشادية ونفسية تساعد طلاب الجامعة على التوافق النفسي والسياسي .

مشكلة الدراسة :

يمكن صياغة مشكلة الدراسة الحالية فى التساؤلات التالية :

1- هل توجد علاقة ارتباطيه بين التوافق والمشاركة السياسية لدى طلاب الجامعة ؟

2- هل توجد فروق فى المشاركة السياسية تبعا للتوافق (منخفض – مرتفع) ؟

3- هل توجد فروق فى المشاركة السياسية تبعا لجنس الطلبة (ذكور – إناث) ؟

4- هل توجد فروق فى التوافق تبعا لجنس الطلبة (ذكور – إناث) ؟

5- هل توجد فروق فى المشاركة السياسية تبعا للمستوى الاقتصادي (منخفض – متوسط – مرتفع) ؟

أهداف الدراسة :

1. التعرف على طبيعة العلاقة بين التوافق والمشاركة السياسية لدى طلاب الجامعة .

2 . التعرف على الفروق بين الجنسين (ذكور . إناث) فى التوافق والمشاركة السياسية .

أهمية الدراسة :

ترجع أهمية الدراسة الحالية إلى ما يلي :

1 أن قيمة كل شخص في مجتمعه تتحدد من خلال احترامه لرأيه وإسهامه في تسيير أمور مجتمعه، التي يمكن أن تواجههم وقد تسبب لهم الكثير من الضغوط الأكاديمية والنفسية والاجتماعية ، وشريحة طلا ب الجامعة مهمة في المجتمع ،وعليه فأهمية الدراسة تكمن في كونها تتصدى لقطاع هام من قطاعات المجتمع ألا وهو طلاب الجامعة.

2- قد تفيد فى عملية الإرشاد والتوجيه النفسي لهذه الفئة فى المجتمع من أجل تحقيق توافق نفسي وسياسي أفضل .

مصطلحات الدراسة:

1- التوافق: Adjustment:

هو الرضا بجنبات الواقع التي تنغلق على التغير ولكن فى سعى دائب لا يتوقف لتخطى جنبات الواقع التي تنفتح للتغير مضيا بها قدماً على طريق التقدم والصيرورة (صلاح مخيمر ، 1981 : 45) .

ويعرف إجرائيا فى هذه الدراسة بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس التوافق ، من إعداد : صلاح عبد القادر ووليد القفاص (2000) .

2- المشاركة السياسية: Political Participation:

هي العملية التي يلعب الفرد من خلالها دوراً في الحياة السياسية للمجتمع، بناءً على ما لديه من خصائص نفسية معينة، وهي عملية تطوعية واختيارية، يسعى الفرد من خلالها إلى التأثير على القرار السياسي، من خلال القيام بالأنشطة السياسية المختلفة مثل التصويت في الانتخابات لاختيار حكامه وممثليه في المؤسسات التشريعية والأهلية والنقابية، أو الترشيح إلى منصب سياسي، أو المشاركة في المهرجانات السياسية والمسيرات والإعتصامات.... إلخ ، ومتابعة ما يدور حوله من أمور قد تؤثر في حياة مجتمعة السياسية (شعبان الحداد ، 2006 : 12) .

وتعرف إجرائيا فى هذه الدراسة بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس المشاركة السياسية ، من إعداد : الباحث .

حدود الدراسة :

تتحدد هذه الدراسة بما يلي :

البعد الموضوعي: يقتصر البحث على دراسة التوافق وعلاقته بالمشاركة السياسية لدى عينة من طلاب الجامعة.

البعد المكاني: اقتصار هذه الدراسة على طلاب الجامعة بكلية الآداب / بمدينة يفرن.

البعد الزمني: تم تطبيق الدراسة خلال العام الدراسي 2012 – 2013.

البعد الإجرائي : الأداة المستخدمة فى الدراسة الحالية هي : استمارة جمع بيانات أولية ، من إعداد: الباحث ، استمارة المستوى الاقتصادي والاجتماعي، من إعداد : الباحث ، مقياس

التوافق ، من إعداد : صلاح عبد القادر ووليد القفاص (1999) ، مقياس المشاركة السياسية ، من إعداد : الباحث.

دراسات سابقة:

يرى " فاند دالين " إن استعراض البحوث والدراسات السابقة يزود الباحث بالعون اللازم لكي يضع أساسا سليماً لبحثه ، فاستعراض هذه البحوث والدراسات يؤدى إلى إثراء فكرة الباحث واستثارته ، فيلاحظ الثغرات فى المعرفة والنتائج المتضاربة ، كذلك فإن أعمال غيره من الباحثين توقفه على طريق التصدي لمشكلته وعلى زيادة كفاية عمله وتحسين نوعيته (فان دالين ، 1990 : 149) ، ومن هنا سيكون اهتمامنا الأكبر بتناول الدراسات التي تناولت المشاركة السياسية وذات العلاقة.

دراسة عبد الوهاب (1999) عن محاولة التعرف على بعض الخصائص النفسية للمشاركين سياسيا والتي تميزهم عن نظرائهم من غير المشاركين ، وحدد الباحث الخصائص النفسية التالية : الاغتراب السياسي، الاتجاه نحو السلطة ، التوجه الديني ، الدوجماتية ، وتكونت عينة الدراسة من (422) مبحوثا من الذكور والإناث من طلبة الجامعات والموظفين وأعضاء هيئة التدريس والإعلاميين ، أوضحت النتائج أن المشاركين سياسيا اقل اغترابا سياسيا وأكثر خضوعا للسلطة وأكثر فى التوجه الديني وأكثر انبساطية واقل عصابية وأكثر كذبا وأكثر ارتفاعا فى المستوى الاقتصادي والاجتماعي من غير المشاركين سياسيا .

دراسة موسى (2001) حول المشاركة السياسية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعة ، حيث تكونت عينة الدراسة من (200) طالب وطالبة من كليات التربية والدراسات الإنسانية فى جامعة الأزهر بالقاهرة ، وهدفت الدراسة إلى التعرف على الفروق فى متغيرات : العدوان والتوكيدية والمسئولية الاجتماعية والسيطرة والضبط الداخلي – الخارجي والجمود الفكري وتحمل الغموض وقوة الأنا بين الأفراد مرتفعي ومنخفضي المشاركة السياسية والكشف عن عامل عام بين تلك المتغيرات المذكورة سلفاً والمشاركة السياسية ، وأظهرت النتائج انه يجب أن يتوفر عدد من المتغيرات النفسية لدى الفرد سواء أكان ذكرا أم أنثى حتى يكون مشاركا سياسيا فعالا ، ومن هذه المتغيرات أن يكون لديه قدرا من العدوانية والتوكيدية والمسئولية الاجتماعية والسيطرة والضبط الداخلي – الخارجي والجمود الفكري وتحمل الغموض وقوة الأنا ، بينما لم تتحقق الفرضية القائلة بوجود عامل عام بين تلك المتغيرات المذكورة والمشاركة السياسية ، أيضا تشير الدراسة إلى ضرورة أن تستفيد الأحزاب السياسية من مجال الإرشاد والتوجيه النفسي فى تصميم برامج إرشادية من اجل تنمية مستوى المشاركة السياسية لدى الشباب .

دراسة عليوة (2003) عن الفروق بين الجنسين فى سلوك المخاطرة وعلاقته ببعض أشكال المشاركة السياسية ، وهدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم سلوك المخاطرة وطبيعته لدى الأفراد من الجنسين ، وبيان مدى العلاقة أو الارتباط بين سلوك المخاطرة والمشاركة السياسية لهؤلاء الأفراد فى مجال السلوك الانتخابي والانتماء الحزبي ، تكونت عينة الدراسة من (100) ذكور ، و (60) من الإناث ، طلاب وطالبات وموظفين وموظفات ،طبق على العينة ، مقياس تفضيل المخاطرة : من إعداد الباحث ، ومقياس الاتجاه نحو المشاركة السياسية : من إعداد الباحث .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعتي الطلاب والطالبات على متغيرات الدراسة.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة لمجموعات الدراسة سواء الموظفين أو الموظفات أو الطلاب والطالبات بالنسبة للموافقين على المشاركة السياسية بوجه عام، والمحجمين عن المشاركة بوجه عام وخاصة فيما يتعلق بالسلوى الانتخابي.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات الدراسة على مقياس الاتجاه نحو المشاركة السياسية، باستثناء عينة الطلاب حيث الاتجاه اقرب للدلالة لمتغير المحجمين عن المشاركة السياسية.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات الدراسة للذكور والإناث بالنسبة للموافقين على الانتماء الحزبي، وغير الموافقين على الانتماء الحزبي، ومجموع المحجمين عن المشاركة السياسية.

دراسة عفاف (2004) وهى بعنوان : دراسة نفسية لعينات من المشاركين سياسياً فى بناء القرار بدولة الكويت – دراسة ميدانية ، وهدفت الدراسة إلى محاولة الكشف عن بعض أبعاد الشخصية لعينة من صانعي القرار السياسي بدولة الكويت ، تراوحت أعمارهم ما بين (37 – 58) سنة ، وقد استخدمت الباحثة المقابلة المباشرة .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

التفضيل الأعلى للشخصيات الدينية والسياسية بينما كان التفضيل الأقل للشخصيات التاريخية والاجتماعية.

اتجاه أفراد العينة نحو العمل السياسي تمثل فى تفضيل الغالبية منهم لهذا النوع من المشاركة.

دراسة عزيزة (2006) وهى بعنوان : البناء النفسي للنشيطين سياسياً ، وهدفت الدراسة إلى معرفة الجوانب النفسية المكونة للذين يمارسون العمل السياسي لدى ثلاث أحزاب مصرية ، تكونت عينة الدراسة من (75) ذكور وإناث ، وهم ممارسون للعمل الحزبي فى ثلاثة أحزاب مصرية ، وطبق على العينة ، مقياس تقدير الذات : من إعداد الباحثة ، ومقياس الاتجاه نحو المشاركة السياسية : من إعداد الباحثة .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

عدم وجو علاقة بين التقدير المنخفض للذات والمشاركة السياسية .

هناك اتجاهات سياسية إيجابية لدى أفراد العينة نحو مجال المشاركة السياسية.

دراسة الشرقاوي (2007) وهى بعنوان : الأبعاد النفسية للمشاركة الشعبية – دراسة فى مجالات الانتخابات ، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن الصعوبات التي قد تحول دون مشاركة الأفراد مشاركة شعبية وفعالة فى تنمية مجتمعهم ، وتكونت عينة الدراسة من (150) فرداً ، وطبق على العينة ، استبانه : من إعداد الباحث ، المقابلات الشخصية .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

إن الأسباب خلف عدم المشاركة تتلخص فى الشك فى نزاهة الانتخابات وما يشوب هذه العملية من تزوير .

عدم الاهتمام الشخصي بالأمور السياسية ، والافتقار الشخصي للمعلومات السياسية .

دراسة جمعة (2009) وهى بعنوان : الشباب والمشاركة السياسية ، هدفت الدراسة إلى التعرف على الواقع المتاح حاليا بالنسبة لمشاركة الشباب المصري فى العمل السياسي ، وطبيعة هذه المشاركة ونوعيتها ، وأثر المتغيرات الأسرية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على الشباب ومدى مشاركتهم السياسية ، تكونت عينة الدراسة من (500) طالب وطالبة من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، طبق على العينة ، المسح الاجتماعي عن طريق العينة الطبقية العشوائية ، تحليل المضمون التي اعتمدت على ملاحظة الطلبة في العام الجامعي (2007/2006) فيما يتعلق بمشاركتهم في العمل السياسي ، تحليل التقارير التي كان يكتبها الباحث متضمنة ملحوظاته ، استمارة استبيان عن مشاركة الطلاب في صنع القرار: من إعداد الباحث .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

هناك شبة اتفاق على أن التنشئة الاجتماعية تعتبر متغيراً رئيسياً في المشاركة السياسية للشباب ، وان الأسرة لها دورها المهم فى هذا الشأن .

وجود علاقة ارتباطيه بين المستوى التعليمي للطلبة ومشاركتهم في النشاط السياسي .

إن الطلاب الذين ينتمون إلى طبقات ثرية أكثر مشاركة سياسية وانتماء إلى أحزاب سياسية من غيرهم.

تعليق عام على الدراسات السابقة :

من العرض السابق للدراسات السابقة يمكن ملاحظة ما يلي :

1- إن التنشئة الاجتماعية تلعب دوراً مهماً في المشاركة السياسية .
2- إن المناخ السياسي يلعب دوراً محورياً فى المشاركة السياسية .
3- وجود علاقة ارتباطيه بين المستوى التعليمي والمشاركة السياسية .
4- عدم وجود علاقة بين التقدير المنخفض للذات والمشاركة السياسية .
5- إن المشاركين سياسياً أكثر ارتفاعاً فى المستوى الاقتصادي والاجتماعي من غير المشاركين سياسياً .
6- إن المنتمين إلى أحزاب سياسية لديهم أولوية ذاتية للمشاركة السياسية.
7- إن ندرة الدراسات السابقة فى مجال الدراسة – فى حدود علم الباحث– سواء على المستويين العربي أو الأجنبي هي التي دفعت الباحث إلى القيام بالدراسة الحالية .

فروض الدراسة :

وبعد مناقشة وتحليل نتائج الدراسات السابقة والتي تشير فى مجملها إلى أهمية دراساتنا هذه ، واعتماداً على نتائج الدراسات السابقة وللإجابة على أسئلة مشكلة الدراسة ولتحقيق أهدافها نسوق فيما يلي الفروض التالية :

1- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المشاركة السياسية والتوافق لدى طلاب الجامعة.

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس المشاركة السياسية إزاء متغير التوافق (منخفض – مرتفع).

3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس المشاركة السياسية إزاء متغير الجنس (ذكور – إناث).

4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس التوافق إزاء متغير الجنس (ذكور – إناث).

5- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس المشاركة السياسية إزاء متغير المستوى الاقتصادي

(منخفض – متوسط – مرتفع).

منهج وإجراءات الدراسة :

أولاً: منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي الارتباطى لملائمته لموضوع الدراسة ، فالمنهج الوصفي يهتم بوصف وتفسير ما هو كائن ، وهو من أكثر المناهج استخداما فى الدراسات الإنسانية ، لكونه يركز على تصنيف المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها كما وكيفا ، مما يسهل فهم العلاقات بين مكونات الظاهرة المراد دراستها ، أما كونه ارتباطي فالهدف معرفة ما إذا كان هناك علاقة بين متغيرين أم لا ، ومعرفة مقدار هذه العلاقة (سالبة أم موجبة) ، والتنبؤ بتأثير متغير على متغير آخر ، حيث يرى عبد الرحمن عبيد (2000) أنه يعنى بالكشف عن العلاقات بين متغيرين أو أكثر لمعرفة مدى الارتباط بين هذه المتغيرات والتعبير عنها بصورة رقمية (عبد الرحمن عبيد ، 2000 : 290) .

ثانياً : إجراءات الدراسة :

أ- عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة فى صورتها النهائية من (72) طالب وطالبة، من كلية الآداب / يفرن ، جامعة الجبل الغربي، السنة الثانية (علم نفس، خدمة اجتماعية، اجتماع، لغة عربية، لغة إنجليزية، جغرافيا)، متوسط أعمارهم (17,6) سنة، بانحراف معياري قدرة (1,33)، يعيشون مع أسرهم، ولهم آباء وأمهات لا تقل مؤهلاتهم العلمية عن التعليم الثانوي أو المهني ولا تزيد على التعليم الجامعي.

ب- أدوات الدراسة :

1- استمارة جمع بيانات أولية: إعداد: الباحث.

وتشمل على بيانات: الاسم، الجنس، السن، الكلية، القسم، السنة الدراسية، محل الإقامة، معيشة الطالب، مستوى تعليم الأب والآم.

2- مقياس التوافق:

أعد هذا المقياس صلاح عبد القادر ووليد القفاص (2000) بهدف التعرف على مستوى التوافق النفسي لدى الأطفال والراشدين ، ويتكون المقياس من (60) عبارة ، وقد تم حساب صدق المقياس بطريقتي الصدق الظاهري والصدق العاملى ، حيث كانت الأبعاد الثمانية للمقياس تتشبع على عامل واحد يستوعب (78,9 من التباين) ، مما يدل على إن درجة صدق المقياس مرتفعة .

وتم حساب ثبات المقياس بطريقة " ألفا كرونباخ " ، والتجزئة النصفية وتصحيحها بمعادلة " سبيرمان / براون " ، وكانت معاملات ثبات المقياس تتراوح ما بين (0,71 – 0,86) على التوالي ، وكلها معاملات ثبات مرتفعة تدل على تمتع المقياس بدرجة جيدة من الثبات .

3- مقياس المشاركة السياسية: إعداد: الباحثان.

يتكون المقياس من 55 فقرة موزعة على 3 أبعاد أو مكونات رئيسية للمشاركة وهى كما يلي :

البعد المعرفي: 18 فقرة، وتتم الاستجابة على السؤال الأول (هل سمعت عن مفهوم المشاركة السياسية) إما نعم وتصحح 5 درجات أو لا وتصحح درجة ، وإذا كانت الإجابة نعم يجيب المفحوص على السؤال الثاني (ماذا يعنى لك مفهوم المشاركة السياسية) ويحصل على 5 درجات إذا اختار الخيار الأخير (جميع العبارات السابقة) أما إذا اختار أي خيار آخر فيحصل على درجة واحدة ، وتتم الاستجابة على بقية أسئلة البعد المعرفي (16) ، باختيار الإجابة الصحيحة من بين أربع إجابات ، وتأخذ الإجابة الصحيحة 5 درجات وتأخذ أي إجابة أخرى درجة واحدة .

البعد الوجداني 17 فقرة ، والبعد السلوكي 20 فقرة ، وتتم الاستجابة على فقرات هذين البعدين وفقاً لتدرج خماسي على طريقة ليكرت (نعم – غالباً – إلى حد ما – نادراً – لا) وتصحح على التوالي بالدرجات (5 – 4 – 3 – 2 – 1) ، ويتم احتساب درجة المفحوص على المقياس بجمع درجاته على كل بعد وجمع درجاته على جميع الأبعاد لحساب الدرجة الكلية نحو المشاركة السياسية وتتراوح الدرجة على المقياس ككل بين (55 – 275 درجة) وتعبر الدرجة المنخفضة عن ضعف المشاركة السياسية فيما تعبر الدرجة المرتفعة عن مشاركة سياسية مرتفعة لدى أفراد العينة .

هذا ، وقد تم حساب صدق الاختبار بطريقة الصدق العاملى، حيث تشبعت أبعاد الاختبار على عامل واحد يستوعب (80,02 من التباين)، وهو صدق مرتفع، كما تم حساب ثبات الاختبار

بطريقة إعادة التطبيق، وكان معامل الارتباط بين درجات العينة فى التطبيقين(0,82)وبطريقة القسمة النصفية بلغ (0,80) وبذلك يكون للمقياس ثبات مقبول.

4- استمارة المستوى الاقتصادي الاجتماعي – الثقافي: إعداد: الباحث.

أعدت هذه الاستمارة بهدف القياس الكمي للمستوى الاقتصادي الاجتماعي – الثقافي لأفراد عينة البحث ، وتقوم على استخدام المحكات الأربعة التالية :

- المستوى الأسرى الاقتصادي (دخل + كثافة).
- المستوى الأسرى الثقافي (اللغات الأجنبية – التعليم – مهنة الأب).
- الأدوات والأجهزة لدى الأسرة (وتشمل السيارة – كمبيوتر – تلفزيون ملون – جهاز تكييف – فيديو – ثلاجة – مكنسة كهربائية – غسالة – بوتاجاز).
- الممارسات داخل الأسرة والهوايات (وتشمل الجرائد اليومية – المجلات – المكتبة فى الأسرة – الهوايات المختلفة التي تمارس بهدف ثقافي أو اجتماعي أو ديني) .

ويتم إعطاء درجة لكل جانب من جوانب أبعاد الاستمارة حسب أهمية هذا الجانب ، فالمستوى الاقتصادي الثقافي (5 – 15 درجة) ، والأدوات والأجهزة (2 – 18 درجة) ، والممارسات داخل الأسرة والهوايات (2 – 16 درجة) ، وتحسب الدرجة الكلية بجمع الدرجات الكلية لجميع الأبعاد لتعبر عن المستوى الاقتصادي الاجتماعي – الثقافي .

ثالثاً: موقف التطبيق:

1- تم تطبيق كل من استمارة البيانات الأولية واستمارة المستوى الاقتصادي الاجتماعي – الثقافي على (89) طالبا وطالبة بكلية الآداب، يفرن بأقسام (علم النفس ، خدمة اجتماعية ، اجتماع ، لغة عربية ، لغة انجليزية ، جغرافيا) ، وبعد تصحيح الاستمارات تم استبعاد (10) طالبا لم يستكملوا الإجابة ، و (4) طلاب غائبين ، و (3) طالبات رفضن التطبيق .
2- تطبيق مقياس التوافق على أفراد العينة المتبقية (72) طالبا وطالبة .
3- تطبيق مقياس المشاركة السياسية على أفراد العينة المتبقية (72) طالبا وطالبة .
4- حساب الارتباط للعينة الكلية (ن = 72) بين التوافق والمشاركة السياسية .
5- قام الباحثان باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لاستخلاص النتائج، ثم تفسيرها.

رابعاً : الأسلوب الإحصائي المستخدم فى الدراسة :

1- استخدمت الدراسة معاملات الارتباط لبيرسون بهدف معرفة نوع العلاقة الارتباطية بين المشاركة السياسية والتوافق لدى أفراد العينة .

2- استخدام اختبار " ت " لحساب دلالة الفروق بين المتوسطات.

3- استخدمت الدراسة تحليل التباين الأحادي (ANOVA) للكشف عن الدلالة الإحصائية للفروق بين متوسطات درجات المشاركة السياسية لدى أفراد العينة تبعا لمتغيري الجنس والمستوى الاقتصادي الاجتماعي – الثقافي.

4- استخدمت الدراسة اختبار شيفيه (Sshefe) للكشف عن اتجاه الفروق بين المتوسطات الحسابية لأفراد العينة.

نتائج الدراسة :

ينص الفرض الأول من فروض الدراسة على انه: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المشاركة السياسية والتوافق لدى طلاب الجامعة.

وللتحقق من صحة هذا الفرض ، تم استخدام معامل ارتباط لبيرسون، ويتضح ذلك فى الجدول التالي:

جدول (1)

يوضح العلاقة الارتباطية بين التوافق والمشاركة السياسية لدى الطلاب الذكور (ن=32) والإناث (ن= 40)، والعينة الكلية (ن= 72)

المقياس	التوافق
المشاركة السياسية	0,012

قيمة (ر) الجدولية عند مستوى دلالة 0,05 = 0,121 ، وعند مستوى دلالة 0,01 = 0,151

يتضح من الجدول (1) انه لا توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين التوافق والمشاركة السياسية لدى أفراد عينة الدراسة ، أي أن التوافق لدى أفراد العينة لا يرتبط بمستوى المشاركة السياسية لديهم كما أن المشاركة السياسية لا ترتبط بمستوى التوافق لأفراد العينة وهذا يؤيد صحة الفرض الأول .

ينص الفرض الثاني من فروض الدراسة على انه : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس المشاركة السياسية إزاء متغير التوافق (مرتفع – منخفض) .

وللتحقق من صحة هذا الفرض ، تم استخدام دلالة الفروق بين المجموعتين مرتفعي التوافق ، ومنخفضي التوافق ، عن طريق النسبة التائية، ويتضح ذلك فى الجدول التالي:

جدول (2)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لدلالة الفروق بين درجات منخفضي التوافق

ومرتفعي التوافق فى المشاركة السياسية

المقياس	منخفضي التوافق (ن= 31)		مرتفعي التوافق (ن= 41)		قيمة (ت) ومستوى الدلالة
	م	ع	م	ع	
المشاركة السياسية	28,55	8,4	29,9	9,2	,26

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة 0,05 = 1,98 , وعند مستوى دلالة 0,01= 1,26

يتضح من الجدول (2) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات منخفضي التوافق ومرتفعي التوافق فى المشاركة السياسية ، وهذا يؤيد صحة الفرض الثاني .

ينص الفرض الثالث من فروض الدراسة على انه : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس المشاركة السياسية إزاء متغير الجنس (ذكور – إناث) .

وللتحقق من صحة هذا الفرض ، تم استخدام دلالة الفروق بين المجموعتين ، مجموعة الذكور ومجموعة الإناث ، عن طريق النسبة التائية، ويتضح ذلك فى الجدول التالي:

جدول (3)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لدلالة الفروق بين درجات مجموعة الذكور

ومجموعة الإناث فى المشاركة السياسية

المقياس	مجموعة الذكور (ن= 32)		مجموعة الإناث (ن= 40)		قيمة (ت) ومستوى الدلالة
	م	ع	م	ع	
المشاركة السياسية	23,3	32,7	21,6	26,1	3,22**

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة 0,05 = 1,96 , وعند مستوى دلالة 0,01 = 2.57

يتضح من الجدول (3) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات مجموعة الذكور ومجموعة الإناث فى المشاركة السياسية عند مستوى دلالة 0,01 ، وذلك لصالح مجموعة الذكور، وهذا يدحض صحة الفرض الثالث.

ينص الفرض الرابع من فروض الدراسة على انه : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس التوافق إزاء متغير الجنس (ذكور – إناث).

وللتحقق من صحة هذا الفرض ، تم استخدام دلالة الفروق بين المجموعتين ، مجموعة الذكور ومجموعة الإناث ، عن طريق النسبة التائية، ويتضح ذلك فى الجدول التالي:

جدول (4)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لدلالة الفروق بين درجات مجموعة الذكور

ومجموعة الإناث فى التوافق

المقياس	مجموعة الذكور (ن= 32)		مجموعة الإناث (ن= 40)		قيمة (ت) ومستوى الدلالة
	م	ع	م	ع	
التوافق	19,9	4,13	20,7	4,15	,222

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة 0,05 = 1,96 , وعند مستوى دلالة 0,01 = 2.57

يتضح من الجدول (4) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات مجموعة الذكور ومجموعة الإناث فى التوافق عند مستوى دلالة 0,01 ، وهذا يؤيد صحة الفرض الرابع.

ينص الفرض الخامس من فروض الدراسة على انه : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مقياس المشاركة السياسية إزاء متغير المستوى الاقتصادي (منخفض – متوسط – مرتفع) .

وللتحقق من صحة هذا الفرض ، تم استخدام تحليل التباين الأحادي (ANOVA) ، ويتضح ذلك فى الجدول التالي :

جدول (5)

يوضح تحليل التباين الأحادي للفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة فى المشاركة السياسية

تبعا للمستوى الاقتصادي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة " ف " ومستوى الدلالة
بين المجموعات	116,032	2	58,016	3,293*
داخل المجموعات	3963,968	225	17,618	
المجموع الكلى	4080,000	227		

قيمة (ف) الجدولية عند مستوى دلالة 0,05 = 3,00 ، وعند مستوى دلالة 0,01 = 4,61

يتضح من الجدول (5) انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة فى المشاركة السياسية تبعا للمستوى الاقتصادي ، حيث بلغت قيمة " ف " المحسوبة (3,293) ، وهذا يدحض صحة الفرض الخامس .

ولمعرفة اتجاه الفروق بين متوسطات درجات المشاركة السياسية لدى الطلاب تبعا للمستوى الاقتصادي ، ولصالح أي مستوى من المستويات الثلاث ، تم إجراء المقارنات البعدية ، حيث تم استخدام اختبار شيفيه (Scheffe) للمقارنات البعدية ، ويتضح ذلك فى الجدول التالي :

جدول (6)

يوضح المقارنات البعدية لدرجات المشاركة السياسية لدى الطلاب تبعا للمستوى الاقتصادي

المستوى الاقتصادي	مرتفع	متوسط	منخفض
مرتفع	–	* 15,26	* 32,30
متوسط	–	–	* 20,04
منخفض	–	–	–

*دال عند مستوى (0,01)

يتضح من الجدول (6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,01) ، لصالح الطلاب ذوى المستوى الاقتصادي المرتفع على الطلاب ذوى المستوى الاقتصادي المتوسط ، وكذلك على الطلاب منخفضي المستوى الاقتصادي .

تفسير النتائج ومناقشتها :

أسفرت نتائج الدراسة الحالية عن أنه لا توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائياً بين المشاركة السياسية والتوافق لدى أفراد عينة الدراسة من طلبة الجامعة ، أي أن التوافق لدى أفراد العينة لا يرتبط بمستوى المشاركة السياسية لديهم ، كما أوضحت دراسة عزيزة (2006) فى دراسة البناء النفسي للنشيطين سياسياً ، والتي أظهرت عدم وجود علاقة بين تقدير الذات والمشاركة السياسية ، وأنه ليس بالضروري أن يكون المشاركين سياسياً يمتازون بتقدير الذات المرتفع ، وكذلك ليس من الضروري أن أصحاب تقدير الذات المرتفع هم من المشاركين السياسيين الفعالين فى المجتمع ، ومن الملاحظ هنا ، أن المجتمع الليبي فى غالبيته يهتم بالقضايا السياسية حتى وان لم يكن مشاركاً سياسياً .

ومن ناحية أخرى ، فقد كشفت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات كل من مجموعة الطلاب والطالبات مرتفعي التوافق ومجموعة الطلاب والطالبات منخفضي التوافق على متغير المشاركة السياسية .

ويرجع ذلك إلى أن الأشخاص الذين يعانون من مشكلات نفسية وسلوكية مرتفعة يكونون أكثر ميلا للمشاركة السياسية من الأفراد ذوى التوافق المرتفع ، حيث أن إشراك الشخص فى السياسة يعوضه عن الإحساس بعدم الكفاءة وذلك بإظهار أهميته .

هذا وتؤكد دراسة كل من عبد الوهاب (1999) و موسى (2001) على أن السياسي الناجح يحتاج دائماً إلى شخصية متوازنة ، أي أن المشاركة السياسية تقترن بالشخصيات السوية ذات القدرة المرتفعة على التوافق مع الظروف الجديدة ، فضلاً عن الشعور بالأمان والكفاءة الشخصية وإشباع الحاجات الشخصية ، فكلما كان الشخص أكثر كفاءة وثقة وصحة كلما زادت مساهمته فى السياسة ، ويرى الباحث أن ذلك يرجع للوضع النفسي العام الذى يواجهه أبناء الشعب الليبي حيث أن الضغوطات النفسية بنفس المستوى على جميع أفراد العينة ، ومشاركتهم السياسية غير مقترنة بارتفاع أو انخفاض مستوى التوافق .

كذلك كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات مجموعة الذكور ومجموعة الإناث فى المشاركة السياسية ، وكانت الفروق لصالح مجموعة الذكور، أي أن الذكور من أفراد عينة الدراسة أكثر مشاركة سياسية من الإناث ،حيث تتفق مع دراسة (طارق حمزة 1995) والتي لم يرد ذكرها فى الدراسات السابقة ، وذلك يعود للتقاليد الموروثة حيث تنعكس بطريقة سلبية علي استقلالية النساء وحريتهن في الحياة السياسية. بالإضافة إلى أن النظام السياسي الليبي القائم يتطلب منه وضع آليات لرفع مكانة النساء في المجتمع الليبي. كذلك نجد أن الفعاليات السياسية يقوم بها الذكور أكثر من الإناث.بالإضافة إلى أن الرجل في المجتمع الليبي هو الأكثر فعالية من

المرأة في العمل الميداني والثقافي وكافة المجالات، بمعنى أن المرأة الليبية دورها محدود في المجتمع ولا يقع على كاهلها مسؤوليات مثل الرجال.

أيضا كشفت النتائج عن عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات مجموعة الذكور ومجموعة الإناث فى التوافق ، أي أن أصحاب التوافق المرتفع والمنخفض لهم نفس المستوى من المشاركة السياسية، ويرى الباحث أن ذلك يعود للوضع النفسي العام الذي يواجهه أبناء الشعب الليبي حيث إن الضغوطات النفسية بنفس المستوى على جميع أفراد العينة ، ومشاركتهم السياسية غير مقترنة بارتفاع أو انخفاض مستوى التوافق لديهم .

وأخيرا كشفت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات مجموعات الطلبة الثلاث(منخفض– متوسط– مرتفع) تبعاً للمستوى الاقتصادي في المشاركة السياسية ، كذلك كانت الفروق في المشاركة السياسية ذات دلالة بين متوسطي درجات مجموعتي المستوى الاقتصادي المتوسط والمرتفع، لصالح الطلبة ذوي المستوى الاقتصادي المرتفع. أي أنهم أكثر مشاركة سياسية من ذوي المستوى الاقتصادي المتوسط ، كما كانت الفروق في المشاركة السياسية ذات دلالة بين متوسطي درجات مجموعتي المستوى الاقتصادي المنخفض والمرتفع، لصالح الطلبة ذوي المستوى الاقتصادي المرتفع. فهم أيضاً أكثر مشاركة سياسياً من ذوي المستوى الاقتصادي المنخفض .

معنى ذلك ، أن الطلاب الذين ينتمون إلى طبقات غنية أكثر مشاركة سياسيا وانتماء إلى أحزاب سياسية من غيرهم لما يعنيهم من الاستقرار السياسي بالدرجة الأولى على أوضاعهم الاجتماعية والمادية وتقربهم من السلطة لمصالحهم الشخصية ، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (جمعة 2009) .

واستنادا إلى نتائج الدراسة الحالية ، نقدم مجموعة من التوصيات التربوية على النحو التالي :

1– زيادة وعى الطلبة بالقضايا السياسية وبمفهوم المشاركة السياسية

2– عقد الندوات السياسية داخل حرم الجامعات ليتسنى للطلبة للاستفادة بقدر اكبر من المواضيع السياسية.

3– العمل على زيادة مؤسسات النسوة وعقد الندوات السياسية لتفعيل دور المرأة وزيادة مشاركتها السياسية في المجتمع حيث أن المرأة نصف المجتمع .

4– تفعيل دور الأحزاب والتنظيمات السياسية بزيادة نشاطها لتشمل اكبر قدر ممكن من المجتمع والحد من اللامبالاة والعزلة السياسية .

5- العمل على رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لرفع درجة المشاركة السياسية لدى المواطنين .

بحوث مقترحة :

إن من أهم مميزات البحث العلمي أنه يفتح الأبواب للمزيد من الدراسات العلمية المهمة والخاصة في العديد من المجالات ، وفى ضوء ذلك يجب التركيز على الدراسات المرتبطة بدراسة المشاركة السياسية، وذلك على النحو التالي :

1- دور المرأة الليبية في المشاركة السياسية .

2- التدين وعلاقته بالمشاركة السياسية .

3- التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالمشاركة السياسية .

4- التفكير الابداعى وعلاقته بالمشاركة السياسية .

5- الشباب والمشاركة السياسية .

6- التعصب وعلاقته بالمشاركة السياسية .

المراجع :

1- الشرقاوي مصطفى (2007) . البعاد النفسية للمشاركة الشعبية – دراسة فى مجالات الانتخابات والدعوة لتنظيم الأسرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب .

2- أماني قنديل (1992) . المشاركة السياسية وتقويم الممارسات الحزبية لدى عينة من أعضاء الجماعات المهنية ، المجلة الاجتماعية القومية ، مجلد (29) ، العدد الأول ، ص 5 – 21 .

3- جمعة محمد (2009) دراسة السلوك الانتخابي مع الإشارة للسلوك الانتخابي للمرأة المصرية حقيقة التعددية السياسية فى مصر – دراسات فى التحول الرأسمالي والمشاركة السياسية ، مركز البحوث العربية ، مكتبة : مدبولى .

4- سامية خضر (1989) . التنشئة السياسية للنشء – دراسة تطبيقية على تلاميذ الصف الثاني الإعدادي ، القاهرة ، مكتبة : دار العدد لخدمات الطباعة .

5- سعد جمعة (1984) . الشباب والمشاركة السياسية ، القاهرة ، مكتبة : دار الثقافة للنشر والتوزيع.

6- شعبان الأسود (1999) . علم الاجتماع السياسي ، القاهرة ، مكتبة : درا النهضة المصرية .

7- شعبان الحداد (2006) . دراسة نفسية مقارنة بين عينات من الفلسطينيين المشاركين وغير المشاركين سياسيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة غزه ، كلية الآداب .

8- صلاح الدين محمود (2005) . الأساليب الإحصائية الاستدلالية فى تحليل بيانات البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة : دار الفكر العربي .

9- صلاح عبد القادر ووليد القفاص (2000) . مقياس التوافق النفسي ، كراسة التعليمات ، القاهرة ، مكتبة : دار النهضة المصرية .

10- صلاح مخيمر (1981) . مفهوم جديد للتوافق ، القاهرة ، مكتبة : الانجلو المصرية .

11- صلاح مخيمر (1984) . الإيجابية كمعيار وحيد وأكيد لتشخيص التوافق عند الراشدين ، القاهرة ، مكتبة : الانجلو المصرية .

12- طارق حمزة (1995) . سيكولوجية المشاركة السياسية – دراسة نفسية مقارنة بين المشاركين وغير المشاركين سياسيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب .

13- عبد الرحمن عبيد (2000) . البحث العلمي مفهومه – أدواته – أساليبه ، الرياض ، مكتبة : دار أسامة للنشر والتوزيع .

14- عبد الفتاح نجله (1993) . دراسة أثر الموسيقى على التوافق النفسي لدى أطفال المرحلة الابتدائية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية التربية .

15- عبد الهادي الجوهري (1984) . المشاركة الشعبية – دراسة فى علم الاجتماع السياسي ، القاهرة ، مكتبة : النهضة المصرية .

16- عبد الوهاب طارق (1999) . سيكولوجية المشاركة السياسية مع دراسة فى علم النفس السياسي فى البيئة العربية ، القاهرة ، مكتبة : دار غريب .

17- عفاف عمر (2004) . دراسة لعينات من المشاركين سياسيا فى صنع القرار بدولة الكويت – دراسة ميدانية – رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب .

18- عزيزة السيد (1994) . السلوك السياسي – النظرية والواقع – ط4 ، القاهرة ، مكتبة : دار المعارف.

19- فادالين ديوبولد . ب . (1990) . مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ترجمة : محمد نوفل وآخرون ، ط4 ، القاهرة ، مكتبة : الانجلو المصرية .

20- محمد حسنى (2001) . المشاركة السياسية فى العصر الإسلامي الحديث – دراسة مقارنة – رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب .

21- محمد توفيق (1996) . الفروق بين الجنسين فى سلوك المخاطرة وعلاقته ببعض أشكال المشاركة السياسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب .

22- محمد درويش (1985) . علاقة اختلاف السن والإقامة بمستوى التوافق لدى المدرسين المسنين المتقاعدين عن العمل فى كل من العاصمة والأقاليم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية التربية .

23- محمد عتران (1991) . دور الاتصال فى عملية المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية – دراسة تطبيقية على قريتين مصريتين – رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الإعلام .

24- موسى رشاد (2001) . علم النفس السياسي ، المشاركة السياسية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعة ، القاهرة ، مكتبة : دار الفكر العربي .

25- ناهد صالح وآخرون (1994) . قياس الرأي العام ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .

26- Elcho, H (2000). Political Behavior, Methuen & clotted.

27- Kasfis, N (1989). The Shrinking Political arena, Participation ethnicity in Africa Politics, with access, study of viand, University of California press.

28- Madrid's, R & Brown, B (1989). Comparative Politics, Notes and Reading, 6 th United States the Dorsey press.

29- Milbralh, L (1980). Political Participation, New York, Mc Nally College Publishing Company.

30- Noachian, A (1980) . Politics Case Study on Urban Adolescents in different neighborhoods of Ankara, Turkey, Educational Research and Evaluation Journal Citation : V11, N4 . p 320 - 341 .

31- Rush, M (1992) .Politics and Society, an Introduction to Political Sociology, New York, Prentice Hall .

32- Sills, L . D (1990) .International Encyclopedia of Social Sciences, Vol (12) , the Macmillan Co. the Free Press, New York .

33- Verba, S (2005) . American Citizen Participation Study , Internet Source, Comment Stathelp & Yale University Social Science, Statistical Laboratory, Web Site : http, UNCAT.

34- Wright, V (1994) . Comparative Government and Politics an introduction, 3 rd edition N, Y, Prentice Hall

حقوق الإنسان السياسية المفهوم والإطار النظري

د.عارف التير

جامعة الزيتونة – ليبيا

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ببني وليد

- توطئة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين سيدنا وحبيبنا محمد المرسل رحمة للعالمين.

من المسلم به تقاطع الدراسات المتعلقة بحقوق الإنسان مع العديد من الدراسات الأخرى مثل الفقهية والفلسفية والتاريخية والقانونية والسياسية ودراسة العلاقات الدولية والنظام الدولي، مما يتطلب الأمر مضاعفة جهد الباحث ومحاولة الإلمام ولو بالجزء اليسير بجميع هذه الجوانب في تعلقها بحقوق الإنسان.

وإذ كان الموضوع يجمع هذا الكمّ من فروع العلوم والدراسات فإنه بالتأكيد يعكس أهمية الإنسان في حد ذاته باعتباره المخلوق الوحيد الذي أسبغ الله عليه نعم ظاهرة وباطنه، وأخلفه على الأرض ليعمرها وكرمه وأعلى من شأنه دون سائر الكائنات بقوله تعالى:[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا][1]، وهذه العمارة والإصلاح لا تكونان إلا من إنسان عاقل يتمتع بكامل حقوقه.

لقد ظهرت مسألة الحقوق عندما اجتمع الإنسان مع بني جنسه مكوناً مجتمعه الذي يشعر فيه بالطمأنينة والأمان بسبب عجزه منفرداً عن توفير متطلبات معيشته، مما أفرز بعض الحقوق البدائية كحق المأكل وحق الملبس وحق المأوى للحفاظ على بقاء نوعه وجنسه، ومع تقدم التفكير الإنساني برزت ظاهرة السلطة وظهرت فكرة الأمر والطاعة، وتكون ما يعرف بالمجتمع السياسي، أي انقسام الناس إلى حاكم ومحكوم وآمر ومطيع، وهذا تطلب وجود تنظيم وإطار يحدد العلاقة بينهما، فمن هنا بدأت الحقوق السياسية في النشأة، وبدأ الصراع بين الإنسان المجرد من السلطة وبين إنسان لديه السلطة، فأرسل الله الرسل بالرسالات السماوية، وقدم الفلاسفة والمفكرون أفكارهم حول حرية الإنسان وكيفية تحريره من نير الاستعباد وعسف الظالمين وطغيان هذه السلطة، فتم الاعتراف بأن حقوقه مولودة معه ولا يجوز لأي سلطة أن تحرمه منها.

1 – إشكالية الدراسة :

إن الإشكالية الرئيسية التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها هي ما هي طبيعة الحقوق السياسية؟ وكيف ارتبط الحق بالسياسة ؟ وما هي الخصائص المميزة للحقوق السياسية عن غيرها من الحقوق؟

2 – فرضية الدراسة :

إن مفهوم الحقوق السياسية ارتبط إلى حد كبير بطبيعة الفلسفة السياسة للمجتمع، ومدى طبيعة الأفكار السياسية المتجذرة والمترسخة والمرتبطة بثقافة الناس السياسية ، والقيم التي يعتنقوها اتجاه الحكم والسياسة بصفة عامة.

كما أن هذه الحقوق ترتبط ممارستها بالحكم والإدارة ومن أهم شروط ممارستها الانتماء إلى مجتمع أو مجموعة من الناس أو جماعة سياسية لها رؤية وقواسم مشتركة ولها نظام سياسي مهما كان شكله، كما أن ارتباط الحق بالسياسة جعل لهذه الحقوق مميزات وخصائص تميزها عن غيرها من الحقوق.

3– أهداف الدراسة :

- أهم أهداف الدراسة تتمثل في محاولة توضيح وتبيان الماهية النظرية للحقوق السياسية، وإيجاد وتأطير هذا المفهوم.
- إيجاد نقطة تلاقي بين الحق والسياسة ، وتوضيح مفهوم الحق وما قدمه فقهاء القانون حول الاتجاهات التي يستند عليها إقرار الحق بصفة عامة.
- الوصول إلى إطار معرفي نظري قادر على تبيينها وتوضيحها لاختلافها عن الحقوق الأخرى من حيث كيفية ممارستها، ودرجة الاستحقاق لها، وطبيعة اكتسابها.

4– منهجية الدراسة :

سوف يقوم الباحث بإتباع المنهج التحليلي الاستنباطي الذي يعتمد على محاولة تحليل المعلومات التي تم جمعها من الكتب والدوريات والمنشورات التي تتعلق بمفهوم الحقوق السياسية وكذلك التي تناولت الحق والسياسة كمفهومين منفصلين .

5 – تقسيمات البحث :

المبحث الأول : مفهوم الحق لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : ماهية السياسة .

المبحث الثالث : ارتباط الحق بالسياسة.

المبحث الأول

مفهوم الحق لغة واصطلاحاً

أولاً– مفهوم الحق لغةً :

جاء في لسان العرب إن الحق يطلق على معان منها :النصيب والواجب واليقين، وحقوق العقار ومرافقه، والحق يدل على إحكام الشيء صحته فالحق نقيض الباطل ويقال حق الشيء وجب[ii]والحق له في اللغة إطلاقات عديدة : فهو اسم من أسماء الله قال تعالى: [وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ][iii]، وقد يطلق صفة لله قال تعالى :[ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ][iv]، وقد يكون الحق هو القرآن قال تعالى: [وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ][v]، وقد يكون الأمر المقضي من عند الله، قال تعالى: [مَا نُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ][vi]، ويشير إلى العدل قال تعالى: [وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ][vii]، و قد يعني الإسلام قال تعالى : [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا][viii]، وقد يشير إلى الصدق قال تعالى: [قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ][ix]، وقد يراد به الموت قال تعالى : [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ][x]، وقد يكون بمعنى الواجب قال تعالى: [وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ][xi].

أما في السنة النبوية؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:بينما أنا رديف النبي – ρ – ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال يا معاذ قلت:لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة وقال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة وقال:يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال:هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت:الله ورسوله أعلم، قال:حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركون به شيئاً، ثم سار ساعة وقال:يا معاذ بن جبل هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه، قلت الله ورسوله أعلم، قال حق العباد على الله أن لا يعذبهم [xii]، فهنا بين الرسول – ρ – أن حق الله على عباده عدم الإشراك به وعبادته دون غيره، وهذا الحق يرتب التزامات وواجبات على الأفراد بموجب هذه العبادة، أما حق العباد على الله فأن لا يعذبهم ويمنحهم الجنة مكافأة لهم.

ولقد وردت كلمة الحق ومشتقاتها، في القرآن الكريم مائتين وسبعة وثمانين مرة، بدلالات وصيغ ومعان مختلفة ومتعددة، ووردت في أقوال النبي – ρ – وأحاديثه الشريفة، فيما يزيد على مائتين وخمسين حديثا[xiii].

ثانياً – مفهوم الحق اصطلاحاً:

لا بد من التنويه إلى أن فقهاء الشريعة الإسلامية وعلماء المسلمين الأوائل مع كثرة استعمالهم للفظ الحق، إلا أنهم لم يحددوا تعريفا دقيقا له، ولم يتطرقوا إليه بالشكل وبالأهمية التي عليها الآن، حيث رأوا أنه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى شرح وتفسير وتعريف، بل اكتفوا بتوضيح معناه

اللغوي ودلالته ووفائه بجميع استعمالاته في اللغة والعلوم ومخاطبة الناس، ولهذا أطلق الفقهاء الحق على كل ما هو ثابت ثبوتاً شرعيا، أي بحكم الشارع وإقراره وكان له سبب حمايته، سواء أُثبِتَ هذا الحق لشخص من الأشخاص أم لعين من الأعيان، بل إن استعمالاتهم له انصرفت إلى عدة معانٍ، حسب ما يقتضيه الإطلاق اللغوي، فقد ارتبط تعريف الحق من خلال حق الملك، وهو قدرة يثبتها الشارع ابتداءً على التصرف [xiv]، وفي كتاب (التعريفات) للشريف الجرجاني: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره [xv]، ويأتي الحق بمعنيين الأول: هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الأقوال، والعقائد، والأديان ويقابله الباطل، أما المعنى الثاني : بمعنى الواجب الثابت، وهو قسمان: حق الله وحق العباد، فأما حق الله فقد عرفه بعض الفقهاء بأنه ما يتعلق به النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد، فينسب إلى الله تعالى [xvi]، أو كما قال ابن قيم الجوزية: حق الله ما لا مدخل للصلح، فيه كالحدود والزكاوات والكفارات وغيرها [xvii]، وأما حق العباد فهو ما يتعلق به مصلحة خاصة له، كحرمة ماله أو دمه أو مسكنه[xviii]، وهذا ما ذكره الدكتور عبد الرزاق السنهوري في كتابه (مصادر الحق في الفقه الإسلامي) من أن فقهاء الشريعة الإسلامية يستعملون مفهوم الحق ويقصدون به جميع الحقوق المالية وغير المالية التي تثبت لشخص وهي تنقسم إلى قسمين حقوق خالصة لله تعالي وهي ما تعلق بها النفع العام من غير اختصاص؛ فتنسب إلى الله تعالى لعظم خطرها وشمول نفعها فلا يختص بها أحد دون الآخر، وحقوق للعباد وهي ما تعلق بها مصلحة خاصة للأفراد كحق الملكية وحق الانتفاع وحق الإيجار وغيرها[xix].

غير أن فقهاء القانون العرب المعاصرين حاولوا إيجاد تعريف قانوني للحق، تلازماً مع الفقهاء والمفكرين الغربيين الذين حاولوا توضيح مفهوم الحق؛ خاصة في القوانين البلجيكية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية، والتي بدأت مع محاولة (نابليون بونابرت) تطبيق القوانين الفرنسية في مصر، ولهذا انقسم فقهاء القانون حول مفهوم الحق إلى أربعة اتجاهات:

1- الاتجاه الشخصي : فالحق هو قدرة أو سلطة إرادية يخولها القانون لشخص معين في نطاق محدود، ومن هذا الاتجاه يُفهم أن الحق نطاق تسود فيه إرادة مستقلة، وارتبط هذا التعريف بالمذهب الفردي وما يتفرع منه من مبدأ سلطان الإرادة، تلك الإرادة التي تملك أن تنشئ الحقوق كما تملك تغييرها أو إنهائها[xx].

إلا أنه يؤخذ على هذا الاتجاه عدم تمييزه بين الحق في ذاته وبين شروط مباشرة الحق، حيث إن الإرادة ليست هي جوهر الحق، وإنما هناك حقوق تثبت لعديمي الإرادة كالمجنون، والسفيه والقاصر والغائب.

2- الاتجاه الموضوعي : الحق مصلحة ثابتة للفرد أو للمجتمع أو لهما معاً يقررها المشرع الحكيم[xxi]، أو هو مصلحة يحميها القانون، وهذه المصلحة هي جوهر الحق سواء كانت مصلحة

مادية أو مصلحة معنوية، ووفقاً لهذا الاتجاه فإن الحق يجب أن تضفي عليه الناحية الشرعية وذلك عن طريق الحماية القانونية مما يسهل الطريق إلى تحقيقه واحترامه[xxii].

إلا أنه يؤخذ على هذا الاتجاه نظرته إلى الحق من جانب المصلحة، فالمصلحة في حد ذاتها غاية وهدف، ولا يمكن تعريف الشيء من خلال غايته وأهدافه، إضافة إلى أن عنصر الحماية القانونية التي أوردها هذا الاتجاه ليست جوهر الحق، وإنما هي صفة تلحق به بعد وجوده وهي ليست إلا وسيلة لحمايته [xxiii].

3- الحق إرادة ومصلحة : بمعنى أن هناك تزاوجاً في مفهوم الحق يجمع بين المصلحة والإرادة، فوفقا لهذا الاتجاه فإن الحق يعرف بأنه سلطه موضوعية في خدمة مصالح ذات طابع اجتماعي تمارسها إرادة مستقلة، أو هو قدرة إرادية يعترف بها القانون ويحميها تجد محلها في مال أو مصلحة[xxiv]، أو هو سلطة إرادية تثبت للشخص لتحقيق مصلحة يحميها القانون، أو هو مصلحة يحميها القانون عن طريق الاعتراف لإرادة معينة بسلطة مباشرته والدفاع عنه[xxv]، ورغم التزاوج الذي يقوم عليه هذا الاتجاه وجمعه بين الإرادة والمصلحة لمفهوم الحق فإن هذا الاتجاه لم يجانبه الصواب من حيث إنه إذا كان لا يمكن اعتبار الحق مصلحة ولا يمكن اعتباره إرادة؛ وإنما يعتبر مركباً منهما معاَ فلا يجوز أن يتكون من النفيين إثبات، بعبارة أخرى إن هذا الاتجاه يقول إن الحق لا يمكن أن يكون مصلحة، ولا يمكن أن يكون هو الإرادة وإنما هو مركب منهما معا، فكيف يتكون الحق من شيئين تم نفي وجود تكوينهما [xxvi].

4- الحق هو الاستئثار: يعرف هذا الاتجاه الحق بأنه تلك الرابطة القانونية، التي بمقتضاها يخول القانون شخصاً من الأشخاص على سبيل الانفراد والاستئثار والتسلط على شيء أو اقتضاء أداء معين من شخص آخر xxvii، والمقصود بالاستئثار هو الاختصاص والانفراد بموضوع الحق دون الكافة، فيراد به الملكية والتملك لا مجرد الاستفادة أو التمتع أو الانتفاع، ولذلك فالتملك هو المعني لكل حق وفق هذا الاتجاه، فالحق لديهم ليس المقصود به المصلحة في حد ذاتها، حتى وإن كانت محمية بالقانون، ولكن الاستئثار بهذه المصلحة هو الحق في حد ذاته، والتسلط المقصود في هذا التعريف هو السلطة، بمعنى أن الشخص يتملك الشيء وبعد ذلك تكون له سلطة عليه، وفسر بعض الفقهاء التسلط بأنه حرية التصرف، وقد أخذ بهذا الاتجاه القانون المصريxxviii، والاختصاص لدى أصحاب هذا الاتجاه هو جوهر الحق، ومعناه الانفراد والاستئثار، وهو عبارة عن علاقة أو رابطة بين شخص وشيء أو بين شخص وشخص، تمنح صاحبها استئثاراً على موضوعها، لهذا قد يكون المختص بهذه العلاقة هو الله سبحانه وتعالى، وقد يكون موضوع العلاقة مالياً كاستحقاق الدين، وقد يكون غير مالي كممارسة الولي ولايته والوكيل وكالتهxxix، إلا أن هذا الاتجاه تعرض كذلك لبعض الانتقادات، والتي من بينها أن عنصر الاستئثار أثر للحق وليس هو

الحق بعينه, فاختصاص شخص بحق معين وتسلطه على محله يفترض وجود الحق أولا بكافة أركانه لأنه يرتبط بنشوئه، فمثلا القصاص والدية وقيم المتلفات وثمن المشتريات هذه حقوق للعباد، ولكن اختصاص الولي بتنفيذها واستحقاقها وتسلطه ليس هو عين القصاص أو الدية، وإنما هو أثر شرعي يوجد عند وجود الحق [xxx].

ومن خلال الاتجاهات السابقة لمفهوم الحق، وتعدد التعريفات والتفسيرات لمفهوم الحق فإن هذه الدراسة لا أريد لها أن تدخل في الجدل الفقهي والقانوني، لتحديد مفهوم الحق سواء كان عند فقهاء القانون أو فقهاء الشريعة الإسلامية، ولكن ما يجب الانتباه إليه أن هذه الدراسة سوف تتناول الحق كمفهوم يتعلق بالدلالة على ما لشخص أو ما ينبغي أن يكون له في المجال السياسي من حقوق، و ما يجب عليه بالمقابل من التزام اتجاه السلطة السياسية، لأن اكتساب الحق السياسي يترتب عليه أفعال ونشاطات تُمارس يقوم بها الأفراد أقرتها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والمعاهدات والوثائق الدولية.

المبحث الثاني

ماهية السياسة

أولاً– مفهوم السياسة لغةً:

جاء في لسان العرب: "السياسة مصدر من ساسه يسوس سياسة، والسَّوس الرياسة، ويقال ساسوه سوساً إذا رأسوه قيل سوسوه و أساسوه، وساس الأمر سياسة قام به، وساسه القوم جعلوه يسوسهم أي: يقودهم، و فلان مجرب قد ساس و سيس عليه أي: أَمَرَ وأُمِرَ عليه "[xxxi]، ولهذا فقد استعمل العرب كلمة السياسة وحملوها بكثير من الدلالات والإرشادات والمضامين، تدور جميعها حول قيادة وتوجيه شؤون الناس، بوسائل متعددة من الإرشاد والتوجيه والتأديب والتهذيب والأمر والنهي، فكل ما هو قابل للتدبير عند العرب يعد موضوعاً للسياسة، ولهذا يقول الشاعر:

سادة قادة لكل جمع ساسة للرجال يوم القتال

ويقول الشاعر الحطيئة:

لقد سوّست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين

تعني السياسة معنى الصلاح والإصلاح، وهذا ما نستشفه من كلام العرب حين قولهم :سست أهلي، أو قولهم: سست سيفي أي:أصلحته وقومته، فهي صلاح حال المساس وتقويمه[xxxii]، ويروى أن أهل الكوفة كتبوا إلى عمر بن الخطاب – τ – :أن عماراً ليس بأمير ولا يحتمل ما هو فيه،

فكتب إلى عمار وأهل الكوفة بالقدوم عليه، وبعد اختباره لعمار سألهم : ما تعرفون عن أميركم؟ فقال جرير بن عبد الله الثقفي: هو والله غير كفء ولا مجز ولا عالم بالسياسة[xxxiii].

ويذكر أن الوليد بن عبد الملك سأل أباه: يا أبتي ما السياسة ؟قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع [xxxiv].

ثانياً– مفهوم السياسة اصطلاحاً:

عند محاولة البحث في تحديد مفهوم السياسة، فإن الباحث سيجد نفسه أمام الكثير من التعريفات والتأويلات والتفسيرات، بعضها يضرب بجذوره في أعماق التاريخ منذ أن ساهم اليونان بأفكارهم حول العدالة والفضيلة والسيادة والحكومة، من خلال كتابات أرسطو وأفلاطون وسقراط، وبعضها نستشفه من خلال معايشتنا اليومية، للأحداث والحوادث سواء على المستوي القطري، أو على المستوى الدولي، أو حتى على المستوي المعيشي داخل الأسرة أو العائلة أو القبيلة .

– ورغم أن كلمة سياسة يجري تداولها ببساطة على جميع ألسنة الناس، حتى يظن بعضهم أنها واضحة وضوحاً لا تحتاج إلى تحديد، إلا أن هناك اختلافاً بيّناً بين علماء السياسة, وأن الجهود التي بذلت ولا زالت تبذل لتوضيح هذا المصطلح لم تحظ بالاتفاق، ويرجع ذلك إلى اختلاف زوايا التنظير من باحث إلى آخر، وتباين الرؤى من مفكر إلى غيره، وأن النسق ألعقيديِ والخلفية الفكرية والبيئة المحيطة، تلعب دوراً كبيراً في إطلاق المفكرين والباحثين لتصوراتهم حول الظواهر بصفة عامة، وحول محاولة تحديد المفاهيم بصفة خاصة.

فكلمة سياسة باللغة الإنجليزية politic مشتقة من الكلمة اللاتينية polis، وهي تعني الدولة أي: دولة المدينة التي كانت معروفة عند اليونان، وعندما يذكر لفظ سياسي أو سياسة يفهم منه أن له شأنا بالدولة، حيث الدولة هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي لها السلطة النهائية على كافة الأفراد الذين يقيمون داخل حدود محددة.

– تُعرِفها موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن (جامعة الكويت) بأنها : فن إدارة المجتمعات الإنسانية وهي تتعلَّق بالحكم والإدارة في المجتمع المدني.

– و تشير السياسة إلى أفعال البشر التي تتَّصل بنشوب الصراع أو حسمه حول الصالح العام، وهي تتضمن في أصولها فن إدارة الشؤون العامة[xxxv].

– أو هي تلك العمليات الصادرة عن السلوك الإنساني والتي يتجلى فيها الصراع حول الخير العام من جهة،ومصالح الجماعات من جهة أخرى، ويظهر فيها استخدام القوة بصورة أو بأخرى لإنهاء هذا الصراع أو التخفيف منه أو استمراره [xxxvi].

– وقد تفيد بأنها تلك العمليات التي تدخل في نطاق الدولة، وأن جوهرها هو الصراع حول طبيعة الحياة الخيرة والعلاقة بين مصالح الجماعات،ولهذا فإن الصراع والقوة السياسية، والسياسة العامة، هي العناصر التحليلية الرئيسية في تعريف السياسة [xxxvii].

– وقد عرفها الدكتور كمال المنوفي أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، بأنها فن إدارة المجتمعات الإنسانية، أو هي الأفعال الإنسانية التي تتعلق بحدوث الصراع حول الصالح العام والهادف إلى مصلحة الجماعات، والذي يتضمن استخدام القوة، أو هو علم الحكومة وأصول الحكم وإدارة الشئون العامة [xxxviii].

– ويمكن أن يفهم من السياسية بأنها تدبير أمور الدولة وتشمل كل جماعة تضم حكاماً ومحكومين مهما كانت بدائية، كالأسرة والقبيلة والهيئات الدينية والاجتماعية، أي: توّفر سلطة عامة آمرة ملزمة [xxxix].

ولم يرد ذكر كلمة السياسة في القرآن الكريم، ولا أي لفظ مشتقاً منها لا وصفاً ولا فعلاً، وهذا لا يعني أن القرآن لم يهتم بالسياسة بل وردت الكثير من الآيات التي تحمل في جوهرها مفهوم السياسة مثل كلمة الحكم قال تعالى :[إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً][xl]، وفي قوله تعالى:[وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ][xli]، وقوله تعالى: [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ][xlii]، وفي قوله تعالى :[وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ][xliii]، وقوله تعالى: [وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ][xliv]، وقوله تعالى: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ][xlv]، وقد تأتى في القرآن بمعنى كلمة المُلك الذي يفيد قيادة الناس وحكمهم كما في قصة قتل داوود لجالوت بقوله تعالى:[وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ][xlvi]، وقوله تعالى: [فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً][xlvii]، أما في السنة النبوية الشريفة فقد وردت كلمة سياسة في حديث الرسول – ρ – المتفق عليه عن أبي هريرة – τ – عن الرسول – ρ – قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا :فما تأمرنا؟ قال: فُو ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم الذي جعل الله لهم، فإن الله سائلهم عمّا استرعاهم"[xlviii].

كما ورد مفهوم السياسة ضمناً في أقوال الرسول – ρ – منها : " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " وقوله – ρ –: "ما من عبد يسترعيه

الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة" [xlix]، وهذا يدل على أن أحكام الإسلام إنما جاءت ليساس بها أمر الرعية ولتعالج بها شؤون الحياة.

ويبدو واضحاً من خلال التعريفات السابقة أن مهمة تعريف السياسة وتحديد نطاقها ليست بالمهمة اليسيرة، وفي الوقت نفسه ليست بالمستحيلة، إلا أنني سوف أحاول أن أشق طريقاً وسطاً بين هذه التعريفات لتوضيح معنى السياسة، يعتمد على الاتجاه العلمي العملي البرغماتي، الذي يستند على خبراتنا المباشرة في الحياة باعتبارنا أعضاء في جماعة على صلة بالهيئات والتنظيمات التي تمارس أنشطة مختلفة، وعلى ما ذكر سابقاً من تعريفات لمفهوم السياسة.

فسواء شئنا أم لم نَشَأ فلا يوجد أحد بقادر على أن ينأى بنفسه عن الوقوع في دائرة التأثير لنظام سياسي ما، سواء كان هذا النظام ملكي أو جمهوري أو عشائري أو قبلي أو أميري [l]، فالمواطن يتعامل مع السياسة عند تصريف أمور الدولة والمدينة والمدرسة والجامعة، والشركة والنقابة والنادي والجمعيات التطوعية والجمعيات الخيرية، وغير ذلك كثير من المؤسسات والهيئات والتنظيمات الأخرى.

فالسياسة هي حقيقة من حقائق الوجود الإنساني لا يمكن تجنبها، فكل فرد يجد نفسه مشتركاً بطريقة ما، في لحظة ما، في شكل ما، من أشكال النظم السياسية وإذا كان المرء لا يمكنه تجنب السياسة، فإنه بالضرورة لا يمكنه تجنب النواتج المتولدة عنها، لأنها تتعلق بوضع الإنسان من جميع الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمهنية، والمعيشية،.... الخ، وأحيانا حتى مصير الجنس البشري هل يكون إلى دمار وفناء أو إلى بقاء ونماء [li].

وجميعنا نتحدث عن السياسة ولا يكاد يخلو مجلس من التطرق فيه إلى السياسة الداخلية أي ما يعرف بالسياسات العامة مثل الصحة والتعليم والزراعة والاقتصاد، أو السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، ولا يمكن إنكار أن البشر في عمومهم يشعرون بحاجة قوية إلى فهم العالم الذي يعيشون فيه، وواقع الأمر أن أي فرد يستطيع أن يفهم السياسة بقدر، فإذا سألت أي مواطن لديه نسبة من التعليم سيقول لكَ السياسة شيء سهل، فمن خلال متابعة القنوات الإخبارية يمكن أن أفهم السياسة، أو الاستماع إلى نشرة الأخبار أستطيع أن أحيط بالسياسة، ولكن السياسة موضوع في غاية التعقيد، بل ربما هي من أكثر المواضيع التي يواجهها الإنسان تعقيداً ودقةً وحساسيةً وغموضاً، وتكمن الخطورة في حقيقة أنه مع افتقاد الخبرة اللازمة للتعامل مع تعقيدات السياسة، فإن المرء ينزع إلى تبسيطها بصورة مخلة[lii].

فالسياسة متأصلة مع الوجود البشري نتيجة للاحتكاك بين الجماعات البشرية فيما بينها سواء بين الدول في علاقاتها الدولية، أو داخل الدولة بين الأفراد أو حتى داخل الأسرة الواحدة، فالأب

يجب أن تكون لديه سياسة مع أبنائه، والأم لديها سياسة مع بناتها، والزوج مع زوجته، والإخوة فيما بينهم، والإنسان كفرد لابد من أن يرسم لنفسه سياسة تحقق أهدافه في الحياة.

وهي قد تعني القوة والقدرة على الحكم، أو قد تنصرف إلى فن إدارة الدولة، أو فن الحوار والنقاش والإقناع، أو هي التوفيق بين الآراء والمصالح المتعارضة، سواء بين الأفراد فيما بينهم أو بين الدول والأمم، أو هي وضع سياسات عامة رشيدة يستفيد منها المواطن، أو هي كيفية استثمار أموال وميزانيات الدولة، بما يعود بالنفع على المجتمع وبما يلمسه الموطن من خدمات مختلفة صحية وتعليمية وضمان اجتماعي أو ما يعرف بالرفاه الاجتماعي، وقد تعني تعزيز القدرات المؤسسية للدولة بما يساهم في عمليات التنمية، وقد تعني إدارة القطاع العام بطريقة تحقق أهداف الدولة العامة بعيداً عن انتشار الفساد المالي والإداري.

وقد تكون السياسة رشيدة أو غير رشيدة، فالرشيدة ترتبط بالحكمة وحسن التصرف سواء على المستوى الفردي أو العائلي أو القبلي أو الوطني أو الدولي، وهي مقترنة بالخير الكثير ولهذا يقول الله تعالى في سورة البقرة : [يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ][liii]، كذلك في سورة الإسراء بقوله تعالى: [ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا][liv].

وفي سورة لقمان بقوله تعالى:[وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ][lv]، وقوله تعالى في السورة نفسها:[وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ][lvi]، أما إذا كانت غير رشيدة فهي كثيراً ما تؤدي إلى الهلاك والخراب والدمار وتكون نتائجها وخيمة.

المبحث الثالث

ارتباط الحق بالسياسة

بداية يجب أن نُقر أَنّ الحقوق السياسية هي أحد أنواع حقوق الإنسان التي تنقسم وتتفرع إلى تقسيمات وتفريعات شتى، ولكي نعي ماذا نقصد بالحقوق السياسية يجب علينا أن نوضح مفهوم حقوق الإنسان بصفة عامة كمدخل وأساس لفهم الحقوق السياسية.

كلمة حقوق الإنسان مركبة من لفظين: (الحق) في صيغة الجمع و(الإنسان) في صيغة المفرد، حيث يرجع مصطلح حقوق الإنسان (كمصطلح وليس كأفكار) بجذوره التاريخية إلى فكرة الحقوق الطبيعية أو القانون الطبيعي، التي نادي بها فلاسفة القرن السابع والثامن عشر لمواجهة سيطرة الكنيسة ومحاولة ترسيخ فكرة أن هناك قانوناً طبيعياً وحقاً طبيعياً للأفراد بعيداً عن القانون الإلهي الذي كانت الكنيسة تدعو إليه، وكانت الانطلاقة الحقيقية لمصطلح حقوق الإنسان على يد

الفيلسوف جون لوك John Locke 1632م . 1704م[lvii]، من خلال ما طرحه في كتابه " الحكومة المدنية" حول حق الحرية والمساواة ، الذي بين فيه أن الطبيعة تمنح المخلوقات المنتمية لنفس الرتبة المساواة الكاملة في الحقوق، فحالة الطبيعة هي حالة الحرية والمساواة، في الحصول والتمتع بالحقوق والمنافع التي لجميع الأفراد، وبالتالي فجميع الناس سواسية وأحرار.

أولا– مفهوم حقوق الإنسان:

إن نشأة مصطلح حقوق الإنسان في بدايته كان عبارة عن مطالبات بحقوق سياسية بالدرجة الأولى حيث التجارب السياسية الغربية والصراع المميت بين المؤسسة الحاكمة والمؤسسة الدينية في أوربا، والثورات التي قامت ضد الحكم المطلق والاستبداد السياسي فيها، ومحاولة تحديد صلاحيات الملك مثل الصراع السياسي في انجلترا وما عرف بالماجنا كارتا(Magna Carta) سنة 1215م[lviii]، و الثورة الأمريكية سنة 1776م، والثورة الفرنسية سنة 1789م مثلت رافداً أساسياً لتبلور مصطلح حقوق الإنسان السياسية كمصطلح فقط.

أما حقوق الإنسان كأفكار وتصورات خاصة حول السلطة، والحق والحرية والعدل والمساواة والإرادة العامة والعقد الاجتماعي وفصل السلطات وغيرها من الأفكار التي تتعلق بالجانب السياسي، فقد ساهمت فيها جميع الحضارات فهي تعبيراً عن صراع البشرية الأزلي من أجل الحق والحرية .

ولهذا فقد تعددت وتباينت وتشعبت تعريفات حقوق الإنسان، حسب الخلفية الفكرية والمنهجية المتبعة لكل باحث، فعُرِفَت من قبل القانونيين والفقهيين والسياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين والنفسيين، والجميع حاول الإدلاء بدلوهِ فيما يخص مفهوم حقوق الإنسان، ولم يتفق الجميع على تعريف جامع مانع لحقوق الإنسان، وذلك لارتباط هذه الحقوق في نظر الكثيرين بالفلسفة السياسية للمجتمع، وبالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات عبر المراحل الزمنية المختلفة، فضلاً عن تداخل وتشابك العوامل الثقافية والعقائدية في تفسير معنى الحقوق وحدودها، وتحديد من له الحق في حريات معينة أو ممارسة نشاطات معينة، وسوف أحاول أن استعرض بعض هذه التعريفات لتحديد المقصود بحقوق الإنسان:

– تفيد حقوق الإنسان بأنها مجموعة المصالح أو المكنات المملوكة لكل شخص مجرداً والتي يحميها القانون[lix].

– وهي قدرات أو مكنات تُخصص لبلوغ الإنسان غايات معينة، مادية ومعنوية ترتبط بطبيعة الإنسان، ولا يكون له وجود بكرامة بدونها[lx].

– أو هي مجموعة القواعد والمبادئ المنصوص عليها في عدد من الإعلانات والمعاهدات الدولية، والتي تؤمن حقوق وحريات الأفراد والشعوب في مواجهة الدولة أساساً، وهي حقوق لصيقة بالإنسان وغير قابلة للتنازل عنها وتلتزم الدولة بحمايتها من الاعتداء والانتهاك[lxi].

– أو هي مجموعة الحقوق والمطالب الواجبة الوفاء لكل البشر، على قدم المساواة دونما تمييز فيما بينهم، وهي معايير أساسية لا يمكن للأفراد أن يعيشوا بدونها بكرامة كبني بشر، وهي تسمح للفرد والجماعة بالتطور والاتحاد الكامل للشخصية[lxii].

– أوهي الحد الأدنى الضروري من الحقوق،التي يجب أن يكفلها أي نظام قانوني للفرد [lxiii].

– أو هي الحقوق التي تثبت للإنسان بوصفه إنساناً ، وهي تتعلق بالإنسان في شتي جوانبه الفكرية والمادية ، وفي وقت السلم ووقت الحرب ، والتي تلقى حماية من قبل الأديان والقوانين والدساتير وإعلانات الحقوق والمواثيق والمعاهدات الدولية [lxiv].

– وجاء في مطبوعة الأمم المتحدة إن حقوق الإنسان تعني تلك الحقوق المتأصلة في طبيعتنا، والتي بدونها يستحيل علينا أن نحيا بكرامة كبشر[lxv].

– ومن خلال التعريفات المختلفة لمفهوم حقوق الإنسان، نستطيع أن نبين أن حقوق الإنسان هي مجموعة القواعد والمبادئ التي تحفظ كرامة الإنسان وتحقق له الحرية، والعدل والمساواة في مواجهة السلطة، حيث المقصود بمجموعة القواعد والمبادئ ما تتضمنه التشريعات من قوانين واضحة وصريحة تتعلق بهذه الحقوق سواء كانت مستمدة من التشريعات الوضعية أو من الرسالات السماوية.

والمقصود بكرامة الإنسان: تلبية الحاجات الطبيعية والضرورية للإنسان، مثل المتعلقة بالتغذية والشرب والصحة، والمتعلقة بالسكن والشغل والتعليم، وحاجاته الفكرية كحرية التعبير والتفكير، والروحية كحرية التدين والاعتقاد، وتعتبر الكرامة جوهر إنسانية الإنسان وأصل وجوده، ولهذا فإن حقوق الإنسان تتوجه بالدرجة الأولى إلى صيانة وحفظ هذه الكرامة وعدم المساس بها لقدسيتها.

أما المقصود بالسلطة فهي السلطة السياسية في المجتمع أو الدولة بغض النظر عن شكلها، لذلك فهي خضوع أغلبية أفراد المجتمع سواء بالقوة أو بموجب القانون، داخل حدود جغرافية معترف بها لمجموعة أفراد آخرين، بموجب احتكار قوة القهر المادي والمعنوي في المجتمع، حيث تعد ظاهرة السلطة من الظواهر الاجتماعية اللصيقة بالمجتمع، نتيجة للاجتماع البشري بقصد تنظيم الصراع بين أفراده.

وقد ذكر الدكتور محمد سليم العواء: "إن كلمة حقوق الإنسان لم توجد في الفقه الإسلامي بهذا اللفظ، ولكن هذا لا قيمة له لأن العبرة بوجود المعنى لا بوجود الاسم، حيث إن حقوق الإنسان موجودة في فقهنا، وفي تشريعنا وفي تاريخنا وفي تراثنا، والتي يجب أن تنسب إلى ذمة الله وبالتالي تكون من حقوق الله تعالى، حتى لا يستطيع أحد أن يعتدي عليها وتكون مسئولية حمايتها أو تقريرها تعود إلى مجموع الأمة "[lxvi].

ثانياً– مفهوم الحقوق السياسية:

ا – المفهوم النظري :

إن الحقوق السياسية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة السياسية، وهي تمثل المظهر المهم في منظومة حقوق الإنسان، وذلك لأنها الأكثر التصاقاً بحياة البشر، وهي مدخل أساسي ورئيسي في تمتع الإنسان ببقية الحقوق[lxvii]، وإن التطور التاريخي الفلسفي لمفهوم الحقوق السياسية ارتبط بالتطور الذي مرت به بالدرجة الأولى فلسفة السياسة والأفكار السياسية، خاصة الصراع بين السلطة والحرية أي العلاقة بين الأفراد والدولة أو بمعنى عام بين الفرد مجرداً من السلطة وبين فرد لديه السلطة ولديه قدرة القهر المادي والمعنوي على الآخرين، ومن هنا فإن الحقوق السياسية:

– هي تلك الحقوق التي تثبت للفرد باعتباره عضواً في جماعة سياسية[lxviii].

– أو هي الحقوق التي تخول المواطنين الاشتراك في شئون الحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والتي تتقرر للشخص لتمكينه من أن يساهم في إدارة شؤون بلده،كحق الانتخاب والترشيح وحق تولى الوظائف العامة[lxix].

– ويقول الدكتور عبد الحميد متولي: "إن الحقوق السياسية هي تلك الحقوق التي يشترك الأفراد بمقتضاها بطريق مباشر أو غير مباشر في شئون الحكم والإدارة،كحق الانتخاب، وحق الاشتراك في الاستفتاء الشعبي، وحق الترشيح لعضوية الهيئات النيابية أو لرئاسة الدولة، وحق التوظيف"[lxx].

وعليه فإن الحقوق السياسية هي مجموعة الحقوق التي يعترف بها كحقوق تثبت للفرد باعتباره عضواً في جماعة سياسية – أياً كانت تركيبة هذه الجماعة – يكتسبها عندما يبلغ سن التكليف والتمييز، دون منحة من أحد أو هبة وإنما هي حقوق بموجب آدميته التي منحها إياه رب العالمين.

وهي الحقوق التي تتعلق بالجانب السياسي في حياة الإنسان، والتي تمكنه من القيام بدوره على أكمل وجه في المجتمع وبحرية تامة ومساواة كاملة، حيث يكتسبها الفرد من خلال العيش المشترك، والشعور بالانتماء لهذه الجماعة، وهي حقوق ثابتة له بموجبها يستطيع إيجاد كيانه السياسي، فهي

متعلق بها مصلحة الجماعة والشأن العام، لأن ما تتضمنه يهم جميع أفراد المجتمع، ولأن ضياع الحقوق السياسية قد يهدد النظام السياسي ووحدة الجماعة وضياع الحقوق الإنسانية الأخرى، ويؤدي إلى الانقسامات الفئوية والجهوية، وبالتالي قد يؤدي أحياناً إلى انهيار النظام السياسي، فالحق في حرية التعبير عن الرأي، والحق في تولي الوظائف العامة والحق في المشاركة السياسية والحق في الانتخاب، تعتبر من أهم الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الفرد، ليكون قادرا على العطاء والإبداع، والنقد البناء والأهم من هذا كله شعور الإنسان بأن له دوراً فاعلاً داخل الجماعة السياسية التي ينتمي إليها.

ب – المفهوم الإجرائي :

بينا فيما سبق أن الحقوق السياسية نظريا تعني مساهمة الفرد في الشأن العام للدولة ومشاركته وتفاعله مع الجماعة التي يعيش معها، أما إجرائياً فان المفهوم يختلف اختلافاً كبيراً حيث يتعلق بالسياقات النظرية العملية للحقوق السياسية، ورغم عدم وجود تعريف إجرائي للحقوق السياسية من قبل الباحثين والدارسين إلا أن هذه الدراسة ستحاول وضع تعريف إجرائي ينطلق من محاولة قرأت السياقات العملية الإجرائية للحقوق السياسية.

إن المفهوم الإجرائي يرتبط إلى حد كبير بمدى مساهمة الدولة في تقديم إجراءات وتصورات تساهم في تعزيز ممارسة الحقوق السياسية، ليس من خلال القوانين والتشريعات فقط ولكن من خلال تقديم اطر عملية حقيقية يتم من خلالها ممارسة الحقوق السياسية، وكيفية تقديم الضمانات والحماية لممارسة هذه الحقوق.

وعليه فإن المفهوم الإجرائي للحقوق السياسية : هو تلك السياقات التي ترتبط بالإجراءات العملية التي من خلالها يستطيع الفرد ممارسة حقه السياسي، والتي تمكنه من المساهمة والمشاركة في شئون الحكم، ويقصد بالسياقات العملية في هذا المفهوم هي جميع التنظيمات والهياكل السياسية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي من خلالها يمكن الفرد أن يؤثر ويساهم ويشارك في الشأن العام سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

يرتبط التعريف الإجرائي بالعديد من الجوانب فيما يتعلق بالحقوق السياسية، فيرتبط بالترشيح والانتخاب من خلال الإجراءات العملية لتطبيق الانتخابات بصفة عامة، والتي تبدأ بتقسيم الدوائر الانتخابية وعددها ومراكزها ولجانها المختلفة وقوائمها، وهذا الارتباط يعكس مدي تقبل الناس واقتناعهم بأن الإجراءات التي تقوم بها الدولة في هذا الجانب كافية لممارسة حقهم السياسي بكل شفافية وصدق، وفي المجال الإعلامي ترتبط إجراءات هذا الحق بحق التعبير عن الرأي ودرجة

المساحة الممنوحة لوسائل الإعلام في نقل الحقائق، ويرتبط بمدي سيطرة وسطوة وتدخل الدولة في الوسائل الإعلامية بجميع أنواعها، وفي مجال حق تولي الوظائف العامة يرتبط هذا الحق بالإجراءات التي من خلالها تتم عملية التوظيف في القطاعات العامة في الدولة أو ما يعرف "بالتجنيد السياسي"، أي بمعنى هل يتم التوظيف وفق آليات شفافة وصادقة بحيث تراعي الكفاءة والخبرة والمؤهل العلمي أم تتم وفق ولاءات قبلية وعشائرية ووفق الولاء للسلطة الحاكمة.

كذلك يرتبط التعريف الإجرائي للحقوق السياسية بالآليات الإجرائية التي تقيمها الدولة لحماية الحقوق السياسية مثل الآليات البرلمانية والأجهزة الإعلامية والمنظمات المعنية بحقوق الإنسان، فهذه الإجراءات ترتبط بجانب هام وهو ليس مدي ممارسة الأفراد للحقوق السياسية ولكن كيف يمكن حمايتها في حالة انتهاكها من قبل الدولة، كما ترتبط بالإجراءات والأجهزة المتوفرة على المستوى الوطني والدولي لحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، فالآليات الإجرائية تتمثل في مجموع الإجراءات التي تلجا إليها السلطات الوطنية والدولية وتبرز من خلال نظام التقارير بأنواعها وإجراءات تقديمها، والتوصيات والشكاوي والبلاغات الفردية والرقابة والحماية [lxxi].

ثالثاً : تأسيساً على ما سبق فإن لهذه الحقوق عدة خصائص أهمها:

1- إن هذه الحقوق يختص بها أفراد المجتمع المنتمين إلى كيان سياسي، أياً كان هذا الكيان دولة أو إمارة أو قبيلة أو عشيرة ولا تثبت هذه الحقوق للأجانب، فليس للأجنبي مثلا: حق الترشيح للمجالس النيابية أو تشكيل التنظيمات والأحزاب السياسية.

2 – إن عدم ممارسة هذه الحقوق من قبل الأفراد لا يسقط حقهم فيها، فهي حقوق غير قابلة للتنازل ولا تسقط بالتقادم، وهي حقوق كاشفة وليست منشئة، بمعنى أن عدم النص على إحدى هذه الحقوق في نصوص قانونية لا يعني حرمان الإنسان منها، لأنها بطبيعتها موجودة ومتأصلة وما على القواعد القانونية إلا تنظيم ممارستها [lxxii].

3 – إن الحقوق السياسية لها طبيعة خاصة عند ممارستها، تختلف عن بقية الحقوق ولها شروط يجب توافرها في بعض منها، فمثلا في الإسلام يشترط للولاية الكبرى الإسلام والعقل والأهلية والعلم وغيرها من الشروط التي عددها الفقهاء، وفي العصر الحديث يحدد حق الترشيح بسن معينة، كما أن بعض الوظائف القيادية تشترط الحصول على مؤهلات علمية أو أكاديمية ،كما أن حرية التعبير يجب أن لا تخرج عن عادات وتقاليد وأعراف وقيم المجتمع، ويجب أن تكون موجهة بالدرجة الأولى إلى النقد البناء [lxxiii].

4- إن الحقوق السياسية ليست سمة تتسم بها حضارة معينة، وإنما شأنها شأن الحقوق الأخرى تتصل بالإنسان، بوصفه إنساناً بغض النظر عن لونه أو عرقه أو دينه أو جنسه، إلا أن الخلاف يظل متعلقاً بالرؤى والمرجعيات الفلسفية السياسية الخاصة بالنظام السياسي، وبالايدولوجيا التي يعتنقها، وبالتوظيف العقائدي للقيم السياسية داخل المجتمع[lxxiv].

الخُلاصة :

بعد هذا العرض الفكري لمنطلقات مفهوم حقوق الإنسان السياسية وعرض للإطار النظري لهذه الحقوق يمكننا أن نصل إلى خلاصة بأن الحقوق السياسية في مفهومها العام ترتبط إلى حد كبير بحقوق الإنسان بصفة عامة والتي تعبر عن الصراع الأزلي بين السلطة والحرية ، وبين الإنسان لديه قوة وقدرة من خلال حيازته للسلطة ، وبين إنسان أخر مجرد من السلطة عليه الامتثال لها وإطاعتها والالتزام بما تقرره، هذه العلاقة الجدلية محورها مدى تمتع الأفراد بالحقوق السياسية .

الهوامش:حقوق السياسية تختلف عن الحقوق الأخرى من حيث إنها تختص بها جماعة معينة في إطار جغرافي محدد تعتمد ممارستها على درجة انفتاح وانغلاق النظام ، وهي لا تسقط بالتقادم ولا يمكن التنازل عنها ولها شروط عند ممارستها تختلف باختلاف الأنظمة السياسية وباختلاف درجة وعمق الثقافة السياسية لدى الأفراد.

---

i . سورة الإسراء : الآية 70 .

2 . بن منظور، أبي الفضل جما الدين محمد . 2003 . لسان العرب . فصل الحاء ، حرف القاف . الرياض: دار عالم الكتب . الجزء الحادي عشر . ص 332.

iii . سورة المؤمنون : الآية 71.

iv . سورة الأنعام : الآية 62.

v . سورة البقرة : الآية 42

vi . سورة الحجر : الآية 8.

vii . سورة غافر : الآية 20.

viii . البقرة : الآية 119.

ix . سورة ص : الآية 84.

x . سورة ق : الآية 19.

xi . سورة الزمر : الآية 71.

xii . البخاري، محمد بن اسماعيل . صحيح البخاري . بحاشية السندي . كتاب الرقائق . باب من جاهد نفسه . رقم الحديث : 6500. بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى . الجزء الرابع . ص247 .

xiii . الوازن، عدنان محمد . 2005 . موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام . لبنان : مؤسسة الرسالة للطباعة . ص 46.

xiv . غرابيه، راحيل محمد . 2000 . الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية . عمان الأردن : دار المنار للنشر والتوزيع .ط1 . ص28/27.

xv . الجرجاني، علي بن محمد . التعريفات . لبنان: دار الكتاب العربي . ص77.

xvi . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية . الموسوعة الفقهية الكويتية. الكويت: مطبعة ذات السلاسل . ج18 . ط1. ص708.

xvii . ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر . أعلام الموقعين عن رب العالمين . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية . ج1 . ص108.

xviii . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية. الموسوعة الفقهية الكويتية . ج18 . ص 7- 8 .

xix . السنهوري، عبدالرزاق . 1954 . مصادر الحق في الفقه الإسلامي . مصر : دار مصر للطباعة . ص17

xx . غرابيه، 2000 . الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية . ص24.

xxi . موسى، محمد يوسف . 1958 . الفقه الإسلامي مدخل لدراسة نظام المعاملات . القاهرة : دار الكتاب العربي . ط 3 . ص211.

xxii . كيره، حسن . 1974 . المدخل إلى القانون . الإسكندرية : منشأه المعارف . ط5 . ص413.

xxiii . سرور، شكري . 1979 . النظرية العامة للحق . بيروت : دار الفكر العربي . ط1 . ص33.

xxiv . البدراوي، عبد المنعم . 1966 . المدخل للعلوم القانونية والنظرية العامة للقانون . بيروت : دار النهضة العربية . ص 444

xxv . كيره . 1977 . المدخل إلى القانون . ص436.

xxvi . غميض، سالم عبد الرحمن . 1997 . المدخل إلى علم القانون . ليبيا : الناشر جامعة الجبل الغربي . ط3 . ص249- 250 .

xxvii . اعبوده، الكوني على . 2003 . المدخل إلى علم القانون . ليبيا . طرابلس : المركز القومي للبحوث . ط4 . ص 24.

xxviii . سلامة، أحمد . 1974 . المدخل لدراسة القانون الكتاب الثاني نظرية الحق . القاهرة : دار النهضة العربية . ص16.

xxix . الطعيمات، هاني سليمان . 2006 . حقوق الإنسان وحرياته الأساسية . فلسطين . غزة : دار الشروق للنشر . ص25.

xxx . البرام، محمد محمود . 1970 . حق الله وحق العبد في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة بالقانون الوضعي . رسالة دكتوراه . القاهرة :كلية الشريعة جامعة الأزهر . ص 274.

xxxi . بن منظور . 2003 . لسان العرب . الجزء السابع . ص 413 – 414.

xxxii . سميح، دغم . 2000.مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسة في الفكر العربي والإسلامي.لبنان:مكتبة لبنان .ط1.ص 591.

xxxiii . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.1967. تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار المعرف للنشر والطباعة . المجلد الرابع . ط2 . ص 163– 164.

xxxiv . العقاد، عباس محمود . 1952 . الديمقراطية في الإسلام . القاهرة : دار المعارف للنشر . ط1 . ص 168 .

xxxv . ربيع، محمد محمود ، إسماعيل صبري مقلد . 1993 . موسوعة العلوم السياسية . الكويت : منشورات جامعة الكويت.ص 102.

xxxvi . شلبي، فاروق محمد . 1994 . أصول علم السياسة . د ن . ص 8 .

xxxvii . المرجع نفسه . ص 10.

xxxviii . المنوفي ، كمال .1981. مفهوم وتطور علم السياسة . مجلة الفكر العربي . عدد 22 اكتوبر1981 . ص89 . ينظر كذلك عند الدكتور حسن صعب. 1981 . علم السياسة . بيروت لبنان: دار العلم للملايين . ط6 . ص29–22.

xxxix . السيد عليوة وآخرون . 1997 . مدخل علم السياسة .الإسكندرية : مطبعة الجمهورية . ص7.

xl . سورة النساء : الآية 58.

xli . سورة المائدة : الآية 44.

xlii . سورة المائدة : الآية 45.

xliii . سورة المائدة : الآية 47.

xliv . سورة المائدة : الآية 49.

xlv . سورة المائدة : الآية 50.

xlvi . سورة البقرة : الآية 251.

xlvii . سورة النساء : الآية : 54.

xlviii . مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . صحيح مسلم .كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء: رقم الحديث 1842، بيروت : دار الكتب العلمية . 1998 . الطبعة الأولى . الجزء الثالث .. ص 234 .

xlix . صحيح مسلم . كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر. رقم الحديث: 1829 . ص225-226 .

l – النظام الجمهوري : هو النظام السياسي الذي يكون لرئيس الجمهورية دور كبير في العملية السياسية، وتكون صلاحياته أوسع واشمل، فهو من يختار الوزراء ويعين قادة الجيش ومدراء المؤسسات العليا في الدولة مثل مدير البنك المركزي وأجهزة الأمن والاستخبارات ، ويعتمد النظام الجمهوري على توزيع السلطة بين الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب والرئيس، ومن مميزاته الفصل بين السلطات الثلاث، ويعتبر النظام السياسي الأمريكي احد أهم الأنظمة الجمهورية في العالم .

النظام الجماهيري : وهو النظام الذي حاولت ليبيا تطبيقه منذ سنة 1977 م، من خلال ما طرحه معمر القذافي من أفكار وتصورات حول السلطة والحرية ويعتمد هذا النظام على إلغاء الدستور وعدم الاعتراف بالأحزاب والمجالس النيابية، وهو يقدم طريقة للحكم تعتمد علي الديمقراطية المباشرة.

li . أ.دال ، روبرت . 1993. التحليل السياسي الحديث . ترجمة : علا أبوريد . مراجعة علي الدين هلال . مركز الأهرام للترجمة والنشر . ط5 . ص 7 – 11 .

lii . أ.دال . 1993 . التحليل السياسي الحديث . ص8.

liii . سورة البقرة : الآية 269 .

liv . سورة الإسراء : الآية 39.

lv . سورة لقمان : الآية 12 .

lvi . سورة لقمان : الآية : 20 .

lvii . جون لوك (John Locke 1632م– 1704م)فيلسوف إنجليزي ولد في رينغتون وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في أكسفورد سنة 1652، ألف العديد من الكتب اشهره " محاولة في الفهم البشري " "الحكومة المدنية" "ورسائل حول التسامح"كان لأفكاره تأثير مباشر على الثورة الأمريكية، خاصة حول الحرية والحكومة وحقوق الإنسان والمساواة. انظر : طربيشي، جورج . 2006 . معجم الفلاسفة . بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر. ص598-600.

lviii . الماجنا كارتا Magna Carta : وهي الوثيقة التي أصدرها الملك البريطاني جون في15 يونيو 1215م بعد ضغط من النبلاء وتضمنت 62 مادة اشتملت على بعض الحقوق واحترام الحريات الشخصية وبعض الإجراءات القانونية، وأهمها خضوع فرض الضرائب للبرلمان الإنكليزي . راجع : ثروت بدوي . 1962 . النظم السياسية . القاهرة : دار النهضة العربية . ص 338.

lix . خليفة، إبراهيم . 2004 . الالتزام الدولي باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية . مجلة الحقوق للبحوث الاقتصادية . كلية الحقوق . جامعة الإسكندرية. العدد الثاني.

lx . الهضيبي، ياسر محمد إسماعيل . التطور التاريخي والأساس الفلسفي لحقوق الإنسان . رسالة دكتوراه جامعة عين شمس. ص 8 .

lxi . فرحات، محمد نور. 2000. تاريخ القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان.القاهرة :دار المستقبل العربي.ص 80.

lxii . خليل، ستار جبار . 2006 . التنمية البشرية المستدامة والحقوق الاقتصادية والاجتماعية في العراق . المؤتمر السنوي الأول "حقوق الإنسان في الأنظمة الدستورية الواقع والمأمول " مصر: مركز دراسات حقوق الإنسان بجامعة أسيوط . ص882.

lxiii . الأهواني، حسام الدين كامل . 1988 . أصول القانون.القاهرة :الجمعية المصرية للنشر و المعرفة و الثقافة العالمية . ص567 . 568.

lxiv . حسين، فايز محمد .2007 . السلطة والحرية وفلسفة حقوق الإنسان . الإسكندرية : دار المطبوعات الجامعية.ص69 .

lxv . مركز حقوق الإنسان بالأمم المتحدة . 1994 . حقوق الإنسان والخدمة الاجتماعية . سلسلة التدريب المهني . نيويورك ص 19.

lxvi . العواء، محمد سليم . ندوة حقوق الإنسان في الإسلام . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي . لندن .28.26/أبريل/1999 . مداخلة في بحث الدكتور احمد فراج عن الحقوق والحريات في الإسلام .ص155 – 156.

lxvii . جواد، غانم . 2000 . الحق قديم : وثائق حقوق الإنسان في الثقافة الإسلامية . القاهرة : منشورات مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان . ص 11.

lxviii . حسين، فايز محمد .2007 . السلطة والحرية وفلسفة حقوق الإنسان . ص 81.

lxix . الصده، عبد المنعم فرج . د ت . أصول القانون . بيروت : دار النهضة العربية . ص318.

lxx . متولي، عبد الحميد .1977 . مبادئ نظام الحكم في الإسلام . الإسكندرية : منشأة المعارف . ط3 . ص416.

lxxi – خلف، نادية . 2010 . آليات حماية حقوق الإنسان في المنظومة القانونية الجزائرية دراسة لبعض الحقوق السياسية، بحث دكتوراه . كلية الحقوق . جامعة الحاج لخضر باتنة . الجزائر. ص 33 – 36

lxxii . الفتلاوي، سهيل حسين .2007 . حقوق الإنسان . عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع . ط1 . ص160

lxxiii . المرجع نفسه . ص100.

lxxiv . المهذبي . 2006 . محاضرات في حقوق الإنسان . ص32.

الدراسات الإسلامية و التاريخية

النظام القضائي وتطوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ(12هـ/ 632م - 23هـ/ 643م)

إعداد: د. سعد رحومة المبروك شميسة/ جامعة الجبل الغربي/ كلية الآداب والعلوم / الاصابعة

أ. أبوبكر بشير سالم عبدالحفيظ/ جامعة الجبل الغربي/ كلية التربية الزنتان

2016م

المقدمة

يقاس الأمن والأمان بمدى تطور المؤسسات القضائية في دول العالم اليوم, فالقضاء العادل هو الضامن الحقيقي لتحقيق المساواة والتكافل الاجتماعي بين أبناء مجتمعها, وهو الغاية التي تنشدها كل الدول على اختلاف أنظمتها السياسية, مارست المؤسسة القضائية عملها بشكل فعلي في الدولة الإسلامية زمن النبي الكريم محمد بن عبدالله ρ, واعتمدت في مصادرها على الكتاب والسنة, وبموت النبي الكريم ρ وتوقف نزول الوحي ودخول أمم وحضارات جديدة في الدين الإسلامي, استوجب من خلفائه الراشدين المهديين رضوان الله عليهم الاجتهاد في تطوير هذه المؤسسة القضائية, فظهرت نتائج هذا الاجتهاد جلياً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ منذ توليه الخلافة الإسلامية عام (12هـ/ 632م), وخاصة في بداية الفتوحات الإسلامية وما نتج عنها من اتساع في رقعة الدولة الإسلامية, وما صاحبها من مشاكل استوجب تطور هذه المؤسسة بما يتماشى ومتطلبات الدولة الجديدة, وهو ما دفع الباحثان لكتابة هذا البحث, والذي تناولا فيه أبرز التطورات التي استحدثها الخليفة عمر τعلى النظام القضائي خلال خلافته من (12هـ/ 632م - 23هـ/ 643م), والتي كانت بداية لبناء مؤسسات قضائية منظمة ومتطورة لم تشهدها المنطقة العربية الإسلامية ولا الغرب الأوربي من قبل, ولإثبات أن الدولة الإسلامية أيام الخليفة عمر بن الخطاب τ شهدت تطورًا في مؤسساتها القضائية, فقد قام الخليفة عمر بن الخطاب τ بفصل الولايات بعضها عن بعض, وعين القضاة, ومنحهم حرية التصرف دون الرجوع لأحد, وجعل سلطتهم مستقلة عن الوالي, هدف الخليفة عمر τ من وراء هذه التطورات إلى إقامة قضاء عادل يضمن تحقيق الأمن والأمان والرفاهة لمواطنيه في دولته الجديدة التي اتسعت رقعتها وشملت انضمام العديد من الأمصار كالعراق وفارس والشام ومصر إلى المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية, كل هذه التطورات وغيرها سيبرزها البحث محاولاً إلقاء الضوء على أبرز حيثيات هذه التطورات, ومبرزًا لأهم الخطوات التي سار عليها الخليفة عمر τ, لتوضيح نتائجها الإيجابية خلال فترة البحث.

وفي ضوء ما توفر من مادة تاريخية، فقد عمد البحث بعد المقدمة إلى عرض نبذة تاريخية مختصرة عن النظام القضائي قبل تولي الخليفة عمر بن الخطاب τ موضحاً مصادر الاحكام

القضائية التي ارتكز عليها القضاء, والتطورات التي استحدثها الخليفة عمر τ, اذ تناولت المقدمة التعريف بالموضوع وأسباب الاختيار، والمساحة الزمنية للبحث، ثم منهج البحث، والنتائج المتوقع الوصول إليها، وأخيراً مصادر ومراجع البحث, والحمد لله أولاً وآخر.

المؤسسة القضائية قبل تولي الخليفة عمر بن الخطاب τ خلافة المسلمين:

لم تكن للعرب في الجاهلية سلطة قضائية تشريعية تختص بسن القوانين, بل كان اعتمادهم على العادات والتقاليد, وكان شيخ القبيلة هو من يفصل فيما ينشأ من خصومات وخلافات بين أفرادها, وكان للعرب في الجاهلية نوع من القضاء يعتمد على مصادر مختلفة منها: الأعراف والتقاليد التي ألفوها والمستمدة من تجاربهم, أو الاحتكام بالقرعة, أو الاحتكام إلى الكهان والعرافين[lxxv]*[lxxvi].

وبظهور الدعوة الإسلامية تولى الرسول الكريم ρ أمر الفصل في الخصومات فكان مُبلغاً للشريعة الإسلامية وقاضيا للأمة, فكان المتخاصمان يحضران أمامه فيسمع من كلاهما, ويقضي بينهما بما انزل الله تعالى, وتحولت طرق الإثبات عنده من العادات والتقاليد إلى التحكيم بشرع الله[lxxvii], وكان النبي ρ إذا مثل أمامه المتهم وأثبتت إدانته أقام عليه الحد الشرعي, أما إذا كانت جريمة بسيطة ولم ينزل بها قصاص في القرآن, فكان النبي الكريم ρ يحيلها إلى صاحب المظلمة ويطلب منه العفو عن أخيه, فإن لم يعف صاحبها فيأمر بوضع المتهم في إحدى البيوت أو في المسجد مدة من الزمن كنوع من العقوبة, وهو ما يعرف الآن بالسجن, فالسجن بمعناه المعروف الآن لم يكن موجودًا زمن الرسول الكريم ρ, ولا في عهد أبي بكر رضي الله عنه, وإنما استحدثه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه, وبعد وفاة النبي الكريم تولى الخلافة أبوبكر الصديق τ فكان كلما عرض عليه حادثاً أو قضاء التجاء إلى كتاب الله أولاً, فإن وجد فيه الحكم الشرعي حسم الأمر, وإلا رجع إلى سنة رسول الله ρ فإن لم يجد فيها حلاً انتقل إلى الرأي بمعناه الواسع خصوصا إذا انصب موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة, وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا مازالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم واخذ رأيهم, وقد انبثق عن رأيهم الجماعي ما اصطلح على تسميته فيما بعد "بالإجماع", وقد كانوا يستعملون القياس[lxxviii]*[lxxix] والمصلحة وهي مناط التشريع, وخير دليل على ذلك ما رواه ميمون بن مهران حيث قال: "كان أبوبكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضي به, وإن لم يكن في الكتاب وعَلِم من رسول الله ρ في ذلك الأمر سنة قضى بها, فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله ρجمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم, فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به"[lxxx].

الخليفة عمر بن الخطاب τ وتطور المؤسسة القضائية في الدولة الإسلامية عام (12هـ/ 632م):

تعتبر المؤسسة القضائية حديثة عهد بالدولة الإسلامية الجديدة, فكانت الأمة في زمن النبي الكريم ρ وخليفته الأول أبوبكر الصديق τ لا تزال على بساطتها وضيق رقعتها فضلاً عن قلة القضايا المرفوعة, إلا أن اتساع الدولة الإسلامية بداية بالفتوحات الإسلامية زمن الخليفة عمر τ عام (12هـ/ 632م), وما صاحبها من مشاكل استوجب تطور هذه المؤسسة بما يتماشى ومتطلبات الدولة الجديدة, فكيف تطورت هذه المؤسسة وما أسباب تطورها؟

للإجابة عن هذا السؤال يمكن القول بأن انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية وترامي أطرافها, وتنوعت أعمالها, وخاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ عام (12هـ/ 632م), وما صاحبه من اختلاط للعرب بغيرهم من شعوب البلاد المفتوحة, فأصبح من غير الميسور للخليفة أن يباشر القضاء بنفسه, فوكل هذه المهمة إلى أشخاص يتفرغون لها سموا (قضاة) كما قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور, وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء عن غيره من السلطات واضحاً في حياة الناس[lxxxi], وفي عهده تم فصل السلطة القضائية في الولايات الكبيرة مثل الكوفة, ومصر[lxxxii], وعين العديد من القضاة لممارسة القضاء وحده: فعين أبا الدرداء قاضيا للمدينة المنورة, وعبدالله بن مسعود قاضيا للكوفة, وأبا موسى الأشعري قاضيا للبصرة[lxxxiii] وسلمان بن ربيعة قاضيا للقادسية, وقيس بن آبي العاص القرشي قاضيا لمصر[lxxxiv].

وليتفرغ الوالي لإدارة شئون الولاية, قام الخليفة عمر τ بفصل الولايات بعضها عن بعض وجعل سلطة القضاء فيها مستقلة عن الوالي, وبذلك يكون الخليفة عمر τ أول من قام بفصل السلطات, وجعل للقضاء ولاية خاصة ومستقلة, وعين القضاة ومنحهم حرية التصرف دون الرجوع لأحد, وليس هذا فحسب بل جعل حصول المتخاصمين لحقوقهم مجانًا, بعدما ألزم تكلفت نفقات الخصوم للدولة الإسلامية بهدف إقامة العدل بين الناس, وبالفعل أصبح للمؤسسة القضائية قضاة مستقلين تتكفل الدولة بأرزاقهم, فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن القيادة الإسلامية متمثلة في شخصية الخليفة عمر بن الخطاب τ, لم تكن عاجزة عن وضع قواعد أصلية في تنظيم الدولة وترتيب شئونها, وتحديد سلطاتها[lxxxv].

ومن المفيد الإشارة هنا أن أغلب المفكرين والمثقفين قد انبهروا بما تحقق من تطور في المؤسسات القضائية في أوربا في القرن الثامن عشر, واعتبروها فتحاً جديداً في تنظيم الدولة, وفي رعاية حقوق المواطنين, وخاصةً بعدما تحدث عنها المفكر (مونتسكو) في كتابه روح الشرائع, وعلى الرغم من اقتصارها على الطابع النظري, أي أنه لم يكتب لها التطبيق العملي إلا في أوائل القرن التاسع عشر, أي بعد الثورة الفرنسية, فلم نجد من يذكر ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب τ من تطوير في المؤسسة القضائية, متناسيين بأن الإسلام قد اقرها قبل أربعة عشر قرناً مضت.

مصادر الأحكام القضائية:

بالإضافة إلى المصادر التي اعتمدها النبي الكريم في القضاء, والمتمثلة في الكتاب والسنة[lxxxvi], طور الخليفة عمر τ عند توليه الخلافة عام (12هـ/ 632م) مصادر الأحكام القضائية إلى الآتي:

1. الاجتهاد: وهو مصدر جديد لم يكن موجودًا في عهد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام, وإنما استحدثها الخليفة عمر بن الخطاب τ, فكان إذا ورد عليه الخصوم, نظر في كتاب الله, فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضي به, وإن لم يجد رجع إلى سنة رسول الله, وخير دليل على ذلك قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشريح: اقض بما استبان لك من كتاب الله, فإن لم تعلم كل كتاب الله, فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ρ فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله ρ فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين, فإن لم تعلم كل ما قضى به أئمة المهتدين, فاجتهد رأيك, واستشر أهل العلم والصلاح[lxxxvii], وكان الخليفة عمر τ كثير الاستشارة في العديد من المسائل التي كانت تعرض عليه, وخير مثال لذلك عندما زنت مجنونة في عهده فاستشار الناس وأمر برجمها, فمر بهم علي بن أبي طالب τ فقال: ارجعوا بها, ثم ذهب إلى الخليفة عمر τ وقال له: أما علمت أن القلم قد رُفِعَ عنها, كما اخبرنا بذلك النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام, ففرح الخليفة عمر τ بهذه الفتوى وكبر وعفى عنها[lxxxviii], فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الأخذ بالمشورة, وعمل الفريق الواحد لم تكن نتاج الحضارة الغربية في القرن الثامن عشر كما يدعي البعض, وإنما هي من إبداع الحضارة العربية الإسلامية التي سبقت الحضارة الغربية بما يزيد عن أكثر من أثنى عشر قرناً من الزمن.

2. الإجماع: وهو أحد مصادر الأحكام القضائية, وهو استشارة العلماء والصحابة والفقهاء بعد عرض المسألة عليهم ليبحثوا فيها كل حسب اجتهاده, فإن وصل اجتهادهم إلى رأي واحد سمي بالإجماع, وهو اتفاق عدد من المجتهدين على أمر شرعي, وظهر الإجماع لأول مرة في عهد الخليفة عمر τ بعناصره الرئيسة الثلاثة وهي المشاورة, والاجتهاد, والاتفاق[lxxxix], وقد جمع الخليفة عمر بن الخطاب τ مجموعة من الصحابة والعلماء واستشارهم في الحكم على من يمارس السحر, فاتفقوا جميعًا على إباحة قتلهم, فكتب إلى عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة, ونفذ ذلك وكان إجماعاً من الصحابة[xc].

3. الأحكام السابقة أو السوابق القضائية: يقصد بها الأحكام القضائية السابقة التي قضي بها السابقون من الخلفاء والصالحين وكبار الصحابة رضوان الله عليهم, وهذا ما عبر عنه صراحة الخليفة عمر بن الخطاب τ في أخذه بسوابق الخليفة أبي بكر τ, وتطبيق ما أمر به قضاته وولاته, وهذا ما بينه ابن القيم تحت عنوان (رأي الصحابة خير من رأينا لأنفسنا) بقوله: "وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا

لأنفسنا وكيف لا؟ وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيماناً, وعلمًا, ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله, ونصيحة للأمة, وقلوبهم على قلب نبيهم, ولا واسطة بينهم وبينه, وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًّا طريًّا, لم يشبه إشكال, ولم يشبه خلاف, ولم تدنسه معارضة, فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس"[xci].

4. القياس أو الاجتهاد: فإن لم يجد القاضي نصًّا ولا إجماعًا, ولا سابقة قضائية اعتمد على الاجتهاد, ففي عهد الخليفة عمر τ كثرت الفتوحات الإسلامية وتحسنت أحوال الناس, وتباعدت الديار, ودخل كثير من الناس في الإسلام, ولم يأخذوا التربية الإسلامية الكافية والتفقه في الدين كمن سبقهم من المسلمين, فكثر في الناس شرب الخمر, وكانت مشكلة أمام الخليفة عمر τ, فجمع كبار الصحابة وشاورهم في الأمر, فاتفقوا على أن يبلغ هذا الحد ثمانين جلدة وهو أدنى الحدود, فعمل به ولم يخالفه أحد من الصحابة في عهده[xcii], وقد ورد في رسالة عمر τ لأبي موسى الأشعري قائلا له "قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال, ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله, وأشبهها بالحق[xciii].

5. الرأي والمشورة: إذا لم يجد القاضي نصوص قانونية يستند عليها فإنه يعمد إلى الاجتهاد بالرأي والمشورة باعتبارهما اقرب إلى الحق والعدل, فالقاضي الجيد هو من يستشير ذوي العلم والرأي لئلا يفلت منه الحق, فالخليفة عمر τ كان قلَّما يقدم على أمر إلا بعد استشارة كبار الصحابة وفقهائهم[xciv], وخير دليل على ذلك عندما استسقت امرأة راعياً فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها ففعلت, فرُفِعَ ذلك إليه فأستشار علي τ فيما يره فيها؟ فقال: إنها مضطرة. فأعطاها الخليفة عمر شيئًا وتركها[xcv].

دستور القضاء الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب τ:

اهتم الخليفة عمر بن الخطاب τ بالقضاء وعمل جاهداً على تطوير هذه المؤسسة, فسن للقضاة دستورًا قويماً يسيرون على هديه في الأحكام والتقاضي, وقد اهتم كثير من أعلام الفقه الإسلامي بشرح هذا الدستور والتعليق عليه, وقد ورد هذا الدستور في رسالة لأبي موسى الأشعري هذا نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم, من عبدالله بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس*[xcvi], سلام عليك, أما بعد: فإن القضاء فريضة مُحكمة, وسنَّة مُتبعة, فافهم إذا أُدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آسِ*[xcvii] بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك, حتى لا يطمع شريف في حيفك*[xcviii], ولا ييأس ضعيف من عدلك, البينة على من ادّعى, واليمن على من أنكر, والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا, أو حرّم حلالاً, لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس, فراجعت فيه عقلك, وهُدِيتَ فيه لرشدك أن ترجع إلى الحقِّ, فإن الحق قديم, ومراجعة الحق خير من التَّمادي في الباطل, الفهم الفهم فيما تلجلج*[xcix] في صدرك مِمَّا ليس في كتاب ولا سنة, ثم اعرف الأشباه

والأمثال, فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله, وأشبهها بالحقِّ واجعل لمن ادّعى حقًا غائبًا أو بينة أمدًا ينتهي إليه, فإن أحضر بيِّنة أخذت له بحقه وإلا استحللت*[c] عليه القضيَّة, فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى, المسلمون عدول*[ci], بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حدٍّ, أو مُجرَّبًا عليه شهادة زور, أو ظنينًا في ولاء أو نسب, فإن الله تولى منكم السَّرائر ودرأ*[cii] بالبينات والأيمان, وإياك والغلق*[ciii], والضجر والتأذي للخصوم, والتنكر عند الخصومات فإن القضاء في مواطن الحق يعظم الله به الأجر, ويحسن به الذُّخر, فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس, ومن تخلَّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه: شانه الله فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته, والسلام"[civ].

وقد وردت نصوص هذا الدستور واضحة في الرسالة التي بعثها الخليفة عمر بن الخطاب τ إلى قاضيه أبي عبيدة τ والتي جاء فيها: "أما بعد فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسي خيرًا, ألزم خمس خصال يسلم لك دينك, وتأخذ بأفضل حظَّيك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العدول, والإيمان القاطعة, ثم ادن الضعيف حتى تبسط لسانه ويجترئ قلبه, وتعهَّد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله, وإنّ الذي أبطل من لم يرفع به رأسًا. واحرص على الصلح ما لم يستبن لك القضاء والسلام"[cv].

فهذا الدستور الذي جاء به الخليفة عمر τ منذ نحو أربعة عشر قرناً من ذهنه أي أنه لم ينقله من كتاب, ولا استمده من أحد, بعدما جمع فيه آداب القاضي, وأصول المحاكمة, فكان بحق من كبار المنظرين المفكرين والمشرعين.

وقد سار الخليفتان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما على الدستور الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون أي تغيير يذكر[cvi], مِمَّا اوجد قضاءً مستقلاً محترم الجانب, وكان القضاة يعيّنون من قبل الخليفة مباشرة أو بتفويض من ولاة الأمصار, وقد اشترط الخليفة عمر τ في من يتولى القضاء أن يكون رجلاً, عفيفاً, ورعاً, تقياً, سليماً من العيوب, لا تأخذه في الله لومة لائم[cvii], كما اشترط فمن يكون قاضيا عدة شروط منها:

1. غزارة العلم والمعرفة التامة بالأحكام الشرعية, لأنه سيطبقها على الحوادث, ويستحيل عليه تطبيقها مع الجهل بها.

2. قوة الشخصية: اعتبر الخليفة عمر رضي الله عنه, أن الشخصية القوية هي من أهم ميزات من يتولى مهنة القضاء, فقد عزل رضي الله عنه قاضيا وعين بدله أخراً لقوة شخصيته, وقال: لأعزلن أبا مريم وأولين رجلاً إذا رآه الفاجر فرِقَه. فعزله عن قضاء البصرة وولىَّ كعب بن سور مكانه[cviii].

3. الترفع عَمَّا في أيدي الناس: فقد قال الخليفة عمر τ "لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع ولا يضارع*[cix], ولا يتبع المطامع[cx].

4. التقوى: فقد كتب الخليفة عمر τ إلى معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح أن انظرا رجلاً من صالحي من قبلكم فاستعملوهم على القضاء[cxi].

5. أن يكون ذا مال وحسب: فقد كتب الخليفة عمر τ إلى بعض عماله: لا تستقضينا إلا ذا مال وذا حسب, فإن ذا المال لا يرتشي ولا يرغب في أموال الناس, وأما ذا الحسب فلا يخشى العواقب بين الناس[cxii].

6. العدل: وهو من الخصال التي حددها الخليفة عمر بن الخطاب τ فيمن يتولى القضاء ومنها العدل واللين في غير ضعف, والشدة في غير عنف, والإمساك في غير بخل, والسماحة في غير سرف, وقال: لا يقيم أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كلمة لا يُنقصُ غربه, ولا يطمع في الحق على حدته[cxiii].

7. الفطنة والذكاء: يشترط في القاضي أن يكون فطنًا ذكيًّا ينتبه إلى دقائق الأمور, ويحكى أن الخليفة عمر بن الخطاب τ كان جالساً وكان معه كعب بن سوار فجاءت امرأة تشتكي من زوجها إلى الخليفة عمرτ وعندما وجدت معه كعب استحت أن تشتكيه مباشرة, فقالت: يا أمير المؤمنين, ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي, والله إنه ليبيت ليله قائماً, ويظل نهاره صائماً في اليوم الحر ما يفطر, فاستغفر لها الخليفة عمر τ, وأثنى عليها وقال: مثلُك أثنى بالخير, فاستحيت المرأة فقامت راجعة, فقال له كعب: يا أمير المؤمنين, هلا أعديت المرأة على زوجها. فقال وما شكّت؟ قال: شكت زوجها أشد الشكاية, قال: أَوَ ذاك أرادت؟ قال نعم, قال: ردُّوا عليَّ المرأة فقال: لا بأس بالحق أن تقوليه, إن هذا زعم أنك تشكين زوجك إنه يجنب فراشك, قالت: أجل, إني امرأة شابة وإني لأبتغي ما تبغي النساء, فأرسل إلى زوجها فجاء, فقال لكعب: اقض بينهما, فقال كعب: أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينهما, فقال الخليفة عمر τ: عزمت عليك لتقضين بينهما, فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه, فقال كعب: إني أرى كأنها عليها ثلاثة نسوة وهي رابعتهم فأقضي له بثلاثة أيام بلياليهن يتعبد فيهن, ولها يوم وليلة, فقال عمرτ: والله ما رأيك الأول أعجب إليَّ من الآخر, اذهب فأنت قاض على البصرة[cxiv] .

ولعل رسالة الخليفة علي بن أبي طالب τ إلى واليه على مصر الأشتر النخعي مشددًا له على اختيار القاضي العادل, لدليل على سيره على نهج التطورات التي أجراها الخليفة عمر τ لتطوير

المؤسسة القضائية, والتي جاء فيها: "اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك, مِمَّن لا تضيق به الأمور, ولا تمحكه الخصوم, ولا يتمادى في الزلة, ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه, ولا تشرف نفسه على طمع, ولا يكتفي بأدنى فهم دون إقصاء, وأوقفهم في الشبهات, وآخذهم بالحجج, وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم, وأصبرهم على تكشف الأمور, وأصرمهم عند اتضاح الحكم, مِمَّن لا يزدهيه إطراء, ولا يستميله إغراء, وأولئك قليل, ثم أكثر تعاهد قضائه, وأفسح له البذل ما يزيل علته, وتقل معه حاجته إلى الناس, وأعطه من المنزلة لديك, ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك, ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك..... ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده, ومن خاصمه الله أدحض حجته, وكان لله حرباً, حتى ينزع أو يتوب, وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله, وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم, فإن الله سميع دعوة المضطهدين, وهو للظالمين بالمرصاد"[cxv].

تعيين القضاة وأرزاقهم:

ومن ضمن التطورات التي استحدثها الخليفة عمر بن الخطاب τ في المؤسسة القضائية أنه كان يصدر تعيين القضاة منه رأساً فقد عين شريحًا بالكوفة, أو أن يكون التعين من الوالي ولكن بتفويضاً منه, فقد عين عمرو بن العاص والي مصر عثمان بن قيس بن أبي العاص قاضيًا لمصر, ومن هنا يكتسب القاضي الصفة القضائية بمجرد تعينه من قبل الخليفة بنفسه أو بواسطة واليه[cxvi], ولا يجوز عزله إلا من قبل الخليفة نفسه إذا زالت أهليته وصلاحيته للحكم, فالخليفة عمر τ كان يرى أن القاضي معين لمصلحة المسلمين فيبقى ما دامت المصلحة محققة[cxvii], وقد عزل الخليفة عمرτ أبا مريم الحنفي عندما وجد فيه ضعفاً[cxviii].

وحرصاً من الخليفة عمرτ على نجاح هذه المؤسسة فقد أمر بإعطائهم المرتبات التي تكفيهم[cxix], فقد كتب الخليفة عمرτ إلى أبي عبيدة ومعاذ: انظروا رجالاً صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم[cxx], وقد ذكر أكرم ضياء العمري في كتابه عصر الخلافة الراشدة مرتبات بعض القضاة في عهد الخليفة عمرτ على النحو الآتي: سلمان بن ربيعة الباهلي (الكوفة) 500 درهم شهرياً, شريح القاضي (الكوفة) 100درهم شهرياً, عبدالله بن مسعود الهذلي (الكوفة) 100 درهم شهرياً وربع شاة يومياً, وعثمان بن قيس بن أبي العاص (مصر) 200 دينار شهرياً, وقيس بن أبي العاص السهمي (مصر) 200 دينار مرتب و200 دينار لضيافته شهرياً[cxxi].

كيفية صدور الأحكام:

لم يكن هناك مبنى خاص يرتاده القضاة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ, فكان القاضي يجلس للقضاء بين المتخاصمين في منزله في بداية الأمر, ثم انتقل إلى المسجد[cxxii], وقد تميز

القضاة بصدور أحكام فورية يتم تنفيذها دون أن يكون هناك كاتب أو سجل لجلسات القضاء, وقد حرص القضاة إلى إتباع العديد من الأمور لإحقاق الحق منها: دراسة القضية المعروضة عليهم دراسة واعية, والمساواة بين الخصوم, وعدم الصياح بالمتخاصمين, والابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس سواء كانت هذه المؤثرات قرابة أو مالاً, مِمَّا أوجب قضاءً عادلاً ونزيهاً[cxxiii], وقد اعتمد القضاة في أحكامهم على العديد من الأدلة نذكر منها:

1. الإقرار: وتعتبر الكتابة نوعا من الإقرار.

2. الشهادة: وقد اشترط القضاة في عصر الخليفة عمر τ على معرفة القاضي للشهود أو إحضار من يعرفهم, فقد شهد رجل عند عمر بشهادة, فقال له: لست أعرفك, ولا يضرك أن لا أعرفك, ائت بمن يعرفك, فقال رجل من القوم: أنا أعرفه, فقال: بأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل, قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا, قال: فهل عاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل بهما على الورع؟ قال: لا, قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا, قال: لست تعرفه[cxxiv], والشهادة كانت مقدمة عن اليمين سواء أقامها صاحبها قبل أن يحلف خصمه اليمين أو بعد أن يحلف اليمين, فإذا استحلف المدعي المدعى عليه على دعواه, فحلفه القاضي على ذلك, ثم أتى المدعي بالبينة بعد ذلك على تلك الدعوى قبلت بينته, وردت اليمين, وفي ذلك قال الخليفة عمر بن الخطاب τ: "اليمين الفاجرة أحق أن ترد من البينة العادلة"[cxxv], والمطالب بالشهادة هو المدعي, وقد كتب الخليفة عمر τ إلى أبي موسى الأشعري: "البينة على المدعي, واليمين على من أنكر"[cxxvi].

3. اليمين: من الأشياء التي يلجأ إليها القاضي عند عجز المدعي عن إقامة البينة, فإن حلف قضى بيمينه, وقد قضى الخليفة عمر على وداعة بالقسامة فحلفوا, فأبرأهم من الدم, وقد تحاكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب τ وأبيّ بن كعب إلى زيد بن ثابت في نخل ادّعاه أبيّ, فتوجهت اليمين على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب τ, فقال زيد: اعف أمير المؤمنين, فقال عمر τ: ولم يعف أمير المؤمنين؟ إن عرفت شيئًا استحققته بيميني, وإلا تركته, والذي لا إله إلا هو إن النخل لنخلي وما لأبيّ فيه حق فلما خرجا وهب النخل لأبيّ, فقيل له: يا أمير المؤمنين, هلا كان هذا قبل اليمن؟ فقال: خفت أن لا أحلف فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي فتكون سنة[cxxvii], وقد ألزم الخليفة عمر τ حلف اليمن لمن استحقت عليه, وقد رأينا فيما تقدم كيف أن الخليفة عمر τ حلف فلما استحق الحق تنازل عنه, وكان الخليفة عمر τ يغلظ الإيمان على بعض المتخاصمين بتحليقهم

إياها في مكان يرهبه الناس حتى لا يجرؤون على الكذب, فقد حَلَّفَ جماعة في الحجر الأسعد, واستحلف آخرون في الركن والمقام[cxxviii].

4. القرائن: أخذ الخليفة عمر τ بالقرائن القوية في الحكم القضائي, فقد ورث الأعلى من الأسفل فيمن ماتوا في طاعون عمواس باعتبار الذي مات أولا هو الأسفل, كما أقام الحد في شرب الخمر على من وجدها في قيئه[cxxix].

القضايا المستحدثة في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه:

حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ أمور خطيرة لم تحدث قبله, مِمَّا استلزم وجود عقوبات رادعة لمرتكبيها, ومن بين هذه الخرقات:

1. التزوير: ومنها أن معن بن زائدة قام بتزوير خاتم الدولة وأخذ به مالاً من بيت مال المسلمين ورفع أمره إلى الخليفة عمر τ, فلم يجد بما يعاقبه في الكتاب والسنة ولا في الإجماع, فأجتهد الخليفة فضربه مائة وحبسه ثم نفاه[cxxx].

2. تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة: وهي من اجتهادات الخليفة عمر τ في عصره, بأن فرض قيود على المصلحة العامة حتى لا يقع تعسف في استغلالها, فهذا الضحاك بن خليفة يسوق خليجا له فأراد أن يمر به في أرض جاره محمد بن مسلمة, فأبى محمد, فقال له الضحاك, لِمَ تمنعني وهو لك فيه منفعة تشرب به أولاً وأخرًا ولا يضرك, فأبى محمد, فاشتكاه الضحاك إلى الخليفة عمر τ فاستدعاه الخليفة عمر τ وقال له: لِمَ تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقي به أولاً وأخرًا وهو لا يضرك, فكرر محمد رفضه, واقسم أن لا يمر بأرضه, فعنفه الخليفة عمر τ وقال له: والله ليمرن به ولو على بطنك. وأمر الخليفة عمر أن يمر به, ففعل الضحاك ذلك[cxxxi].

نخلص مِمَّا سبق بأن الخليفة عمر τ هو من أسس قواعد العدالة العامة أو ما بات يعرف عند الغرب بنظرية التعسف في استعمال الحق العام, وقد سبقهم في ذلك بما يزيد عن أثنى عشر قرناً من الزمن, فالخليفة عمر τ قضى في هذه القضية بناء على شكوى قدمت إليه بعدما اطلع على ملابساتها وتأكد من أنها تخدم الصالح العام فلم يتهاون في تحقيق الصالح العام لكل أفراد الأمة, فخاطبه باللين مذكرا إياه بأخوة الإسلام, ولم رفض جاء رده عنيفا وفي مستوى مسئوليته لتحقيق الصالح العام[cxxxii], ولكن وللأسف الشديد لم نجد اليوم من مفكري الغرب من يذكر الخليفة عمر τ وهو يتحدث عن الصالح العام وقوانينه وكأنها من نتاج الحضارة الغربية.

الخاتمة

استوجب اتساع الدولة الإسلامية وما صاحبها من مشاكل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ تطوراً كبيراً في المؤسسة القضائية بما يتماشى ومتطلبات الدولة الجديدة, مِمَّا جعل الخليفة عمر τ يستحدث العديد من الإجراءات في هذا الشأن, وقد خلص البحث إلى الآتي:

1. كان الخليفة عمر بن الخطاب τ أول من فصل القضاء عن غيره من السلطات وأعطى القضاة حرية التصرف دون الرجوع لأحد.
2. يعتبر الخليفة عمر من الخطاب τ أول من استحدث مكانا يقضي فيه الجاني عقوبته, فالسجن بمعناه المعروف الآن لم يكن موجودًا زمن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام, ولا في عهد خليفته أبي بكر τ, وإنما استحدثه الخليفة عمر بن الخطاب τ.
3. رغم التقدم الذي أحدثه الخليفة عمر τ في المؤسسة القضائية إلا أنه كان امتداد لصورة القضاء في العهد النبوي.
4. كان القضاء في عهد الخليفة عمر τ صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامي.

[lxxv] التليسي, بشير وآخرون: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية, دار المدار الإسلامي, الطبعة الثانية 2004م طرابلس ليبيا, ص122.

[lxxvi] * الكاهن: هو الرجل الذي يعتقد الناس أن له تابعا من الجن يطلعه على كل شيء, أما العراف فهو الذي يعرف الأمور عن طريق الفراسة والقرائن, وذلك بملاحظة نبرات صوت الشخص وملامحه وحركاته عند الكلام, انظر التليسي, بشير وآخرون: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية, دار المدار الإسلامي, الطبعة الثانية 2004م طرابلس ليبيا, ص122.

[lxxvii] المرجع نفسه, ص122.

[lxxviii] المرجع نفسه, ص123.

[lxxix] * القياس: "يقصد به أنه إذا عرضت على القاضي قضية لم يجد فيها حكما بإجماع من الصحابة, يبحث عن مشكلة تشبه ما بين يديه من المشاكل, يكون قد صدر فيها حكم بإجماع من القرآن أو السنة أو الإجماع وهو اتفاق مجتهدي الأمة في عصر من العصور على أي حكم من الأحكام, بشرط أن يكون له مستند من الكتاب والسنة". انظر بشير التليسي وآخرون, مرجع سابق, ص123.

[lxxx] الصلابي, علي محمد: سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره, دار بن الجوزي, جمهورية مصر العربية القاهرة, 2007م, ص265.

[lxxxi] مشرفة, عطية مصطفى: القضاء في الإسلام, شركة الشرق الأوسط, الطبعة الثانية, 1966م, ص49.

[lxxxii] القطان, مناع: النظام القضائي في العهد النبوي والخلافة الراشدة, مكتبة وهبة, الطبعة الأولى, 1414 هـ – 1993م, ص 47.

[lxxxiii] ابن خلدون, عبدالرحمن: المقدمة, دار الفكر بيروت, 808 هـ – 1406م, ص 220.

[lxxxiv] وكيع, محمد بن خلف بن حيان: أخبار القضاة لوكيع, الطبعة الأولى, مطبعة الاستقامة بالقاهرة, 1366 هـ – 1947م, ج 2, ص 188.

[lxxxv] أبو فارس, محمد: النظام السياسي في الإسلام, دار الفرقان, عمان الأردن, الطبعة الثانية, 1407 هـ – 1986م, ص 116.

[lxxxvi] اليوبي, محمد سعيد: مقاصد الشريعة الإسلامية, دار الهجرة, الرياض, ط1, 1418هـ/1996م, ص54.

[lxxxvii] ابن القيم, شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين, تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد, المكتبة العصرية صيدا – بيروت, 1407هـ, ص119. الزحيلي محمد: تاريخ القضاء في الإسلام, دار الفكر دمشق, الطبعة الأولى, 1415 هـ – 1995م, ص119.

[lxxxviii] البهنساوي, سالم: الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية, مكتبة المنار الإسلامية, الكويت الطبعة الثانية, 1418هـ – 1997م, ص148.

[lxxxix] العجلاني, منير: عبقرية الإسلام في أصول الحكم, دار النفائس, الطبعة الثانية 1409هـ – 1988م, ص 178.

[xc] القرشي, غالب عبدالكافي: أوليات الفاروق, المكتب الإسلامي بيروت, مكتبة الحرمين الرياض, الطبعة الأولى, 1403هـ – 1983م, ص447.

[xci] ابن القيم, مرجع سابق, ج 1, ص87.

[xcii] المرجع نفسه, ج1, ص211.

[xciii] الزحيلي, محمد: تاريخ القضاء في الإسلام, دار الفكر دمشق, الطبعة الأولى, 1415 هـ – 1995م, ص 124.

[xciv] مشرفة, عطية مصطفى: مرجع سابق, ص112.

[xcv] البهنساوي, سالم: مرجع سابق, ص176.

[xcvi] * عبدالله بن قيس هو أبو موسى الأشعري

[xcvii] * آسِ بينهم: سوي

[xcviii] * حيفك: ظلمك.

[xcix] التلجلج: التردد في الكلام.

[c] * استحللت: سأله أن يُحِله له.

[ci] * عُدول: جمع عدل وهو المستقيم في أمره.

[cii] درأ الشيء: دفعه.

[ciii] الغلق: من ضاق صدره وقل صبره.

[civ] ابن القيم, مرجع سابق, ج1, ص85.

[cv] العاني, عبدالرحمن عبدالكريم, وآخرون: الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب, دار الشئون الثقافية العامة, بغداد, 1989م, ص174.

[cvi] الزحيلي, محمد: تاريخ القضاء في الإسلام, دار الفكر دمشق, الطبعة الأولى, 1415 هـ – 1995م, ص76.

[cvii] الكندي, عمر محمد بن يوسف: كتاب الولاة وكتاب القضاء, بيروت, مكتبة المثنى, 1908م, ص340.

[cviii] قلعجي, محمد: موسوعة فقه عمر بن الخطاب, الطبعة الرابعة, دار النفائس, 1409هـ – 1989م, ص 724.

[cix] * يضارع: يرائي.

[cx] القاسمي, ظافر: مرجع سابق, ص74. العمري أكرم ضياء: عصر الخلافة الراشدة, مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة, الطبعة الأولى, 1414هـ – 1994م, ص144.

[cxi] قلعجي, محمد: مرجع سابق, ص 723.

[cxii] المرجع نفسه, ص724.

[cxiii] المرجع نفسه, ص724.

[cxiv] قلعجي, محمد: مرجع سابق, ص 723.

[cxv] العمري, أكرم ضيام: عصر الخلافة الراشدة, الطبعة الأولى, مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة, 1417 هـ – 1996م, ص 115.

[cxvi] المقديسي, ابن قدامة: المغني, دار الحديث, القاهرة, ط1, 1416هـ/1996م, ص72.

[cxvii] الحميضي, عبدالرحمن: القضاء ونظامه في الكتاب والسنة, منشورات جامعة أم القرى,ط1, 1409هـ/1989م, ص97.

[cxviii] لثعالبي, عبدالعزيز: خلافة الصديق والفاروق, دار ابن كثير, ط1, دمشق, 1418هـ/1998م, ص87.

[cxix] أيوب, حسن: الخلفاء الراشدون, دار التوزيع والنشر الإسلامية, ط1, 1418هـ /1997م, ص 63.

[cxx] القطان, مناع, مرجع سابق, ص76.

[cxxi] العمري, أكرم ضياء, مرجع سابق, ص159.

[cxxii] التليسي: مرجع سابق, ص127.

[cxxiii] خليفة, حامد محمد: الأنصار في العصر الراشدي, سياسيا وعسكريا وفكريا, رسالة دكتوراه, كلية الآداب, جامعة بغداد غير منشورة, 1983م, ص 78.

[cxxiv] البيهقي, أبي بكر أحمد بن حسين بن علي: السنن الكبرى, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ج 10, ص125.

[cxxv] قلعجي, محمد: مرجع سابق, ص731.

[cxxvi] البيهقي, مرجع سابق, ج10, ص153.

[cxxvii] النميري, عمر بن شبه: تاريخ المدينة, تحقيق فهيم محمد شلتون, دار الأصفهاني جدة, بدون تاريخ, ج2, ص755.

[cxxviii] قلعجي, محمد: مرجع سابق, ص733.

[cxxix] المرجع نفسه, ص735.

[cxxx] أبو النصر, محمد أحمد: عمر بن الخطاب, دار الجبل, بيروت, الطبعة الأولى, 1411هـ – 1991م, ص234.

[cxxxi] الاصبحي, مالك بن أنس: الموطأ, صححه ورقمه وخرج أحاديث محمد فؤاد عبدالباقي, دار إحياء الكتب عيسى الحلبي وشركاه, ج2, ص746.

[cxxxii] السليماني, عبدالسلام: الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله, وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية, 1417هـ – 1996, ص142.

الوحي القرآني في رؤى المستشرقين

د.صالح محمد دبوبه

جامعة الجبل الغربى

توطئة

نحن والآخر في صراع فكري قديم جديد ، ترتفع درجته وتنخفض مع شدة التنافس الحضاري وخفته ، ولا يمكن أن يتوقف ذلك الصراع ، لأنه مع طبيعة العلاقات بين الأمم غير المتوافقة في الدين والعرف الثقافي ، غير أنه يمكن أن يخفف من غلوائه في عصرنا حوار فكري يسنح لكل طرف مخالف بعرض رؤاه في الدين والفكر والحياة ، مع بقاء جسور للتواصل الحضاري ، والإنفتاح المتبادل بحكم الضرورة الحيوية ، كما يحدث في التفاعل العلمي والتكنولوجي ، بل في الفنون والآداب والمناهج العلمية ، وسعيا في محاولة الكشف عن الآخر ومنهجه في دراسة ظاهرة الاستشراق في مجموعة من البحوث منها هذا البحث المعنون ب " الوحي القرآني في رؤى المستشرقين " من أجل تحسس معابر التجاسر، وقواطع الإختلاف .

مشكلة البحث

والمشكلة الكبرى التي تتجلى في قسمات هذا البحث تتمثل في المفارقة البينة بين رؤية المسلمين للقران على انه وحي صادر عن الذات الإلهية ، متنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المكلف بالبلاغ والبيان لهذا الكتاب المقدس، وبين رؤية المستشرقين الظان أكثرهم بأن هذا الكتاب عمل بشري محض ، وتمخضت عن ذلك تساؤلات من مثل

- كيف كانت توصيفات المستشرقين لمنطلقات وتصورات ذلك الكتاب الذي يدّعون بشرية مصدريته ؟
- ما أثر ثقافاتهم وديانتهم على تلك التصورات ؟
- وكيف يمكن الرد على شبهتهم هذه من خلال أقوال مستشرقين آخرين كانت لهم رؤية موافقة للرؤية الإسلامية فى الوحي .

أهداف البحث

أقصد من خلال هذا البحث إلى تحقيق أهداف يمكن إجمالها .

فيما يأتي

1. الكشف عن الرؤى المختلفة للمستشرقين في ظاهرة الوحي القرآني .
2. بيان مستويات التقارب والتباعد بين الرؤية الإسلامية للوحي القرآني والرؤية الاستشراقية ، حيث إن المستشرقين مختلفون في تصور ظاهرة الوحي القرآني .
3. نقد طعونات المستشرقين في بشرية القران ، وإثبات نقيضها وهو كون القران كتاباً منزلاً من عند الله تعالى .
4. إبراز أراء المنصفين من المستشرقين والموافقين للتصور الإسلامي للوحي القرآني .

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أنه بإمكاننا نحن المسلمين بواسطة البحث العلمي الموضوعي أن نمارس الاستشراق المضاد ، أو الاستغراب الإيجابي ، فنقوم بتحليل وجهات أنظار المستشرقين وتصحيحها ، ونقدها ولفت العقول المسلمة وغير المسلمة إلى خطورة ما تدعو إليه من تحريفات ،وتشويهات في ظاهرة الوحي القرآني .

فرضية البحث

يفترض الباحث أن المستشرقين ينطلقون في تصور ظاهرة الوحي القرآني من منطلقات مختلفة ، فمنهم من يدّعى أن الوحي ظاهرة ثقافية ، نجمت من التقاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمسحيين واليهود والأحناف ، ومنهم من يدّعى أن الوحي حالة مرضية عصبيه تعتري النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يرى أن الوحي كهانة ، ومنهم من رآه إبداعا خلاّقا ، وقليل منهم أقر بأنه فيض من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه ويسلم أفاضه على قلبه من كلامه سبحانه .

منهجية البحث

يناسب هذا النوع من البحوث منهجان لا منهج واحد ، يتضافران على معالجة قضيته ، وتحقيق فرضيته ، وهما المنهج التحليلي الذي اتبعه في تفكيك أراء المستشرقين إلى عناصرها الأولى ، فألمحت إلى الدوافع والرغبات التي حفزّتهم إلى تبنى أراء مخالفة للرأي الإسلامي ، ثم تركيب تلك العناصر لإخراج خلاصة ما بلغته أفكارهم من نظرات لا تعدو أن تكون في أكثرها شبه وهمية ، ثم ياتى دور المنهج النقدي في محاولة الحكم على تلك الآراء بتفعيل النص القرآني في رده على مثل تلك الشبهات التي صدرت من المشركين قبل المستشرقين ، وتحكيم السيرة النبوية – أي النقد

التاريخي – في إثبات أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لم تتعت بالصورة المرضية التي زعمها المستشرقون من الهوس والغثيان، مستعينا بأقوال المستشرقين المنصفين ، وعبارات بعض الباحثين المسلمين المحدثين .

وقسمت البحث إلى ثلاثة محاور ، كان أولها في عرض آراء المجحفين من المستشرقين في ظاهرة الوحي ، وكان المحور الثاني في عرض أراء المنصفين ثم تعقيب على آراء المجحفين بالنقد منطلقا من عرض رؤية المسلمين في الوحي القرآني .

في سياق الإجحاف

إن المفهوم الإسلامي لظاهرة الوحي ينطلق من مضامين عقدية صرفة، ويقرر أن تلقي النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بطريق الإلهام الخفي اليقيني، إما يقذفه في قلبه، أو بواسطة جبريل –عليه السلام–، وذلك دأب الوحي مع الأنبياء السابقين، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ...] الشورى الاية – 25 ، ويتصور أكثر المستشرقين أن الوحي وهم خواطر، وتهيئة نفسية، ليس في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وحده، بل يحكمون هذا الرأي في شأن جميع الأنبياء، فمفصل الخلاف بينهم وبين المسلمين، أنهم ينظرون إلى الوحي أنه حركة نفسية داخلية، ويعجزون عن تمثل أن يتلقى بشرٌ وحياً عن طريق ملك، أو بالإيحاء المباشر، والمسلمون يؤمنون بذلك، لدلالة القرآن عليه، بل هو مصدره: "فالقرآن ليس فيضاً وجدانياً؛ لأنّ النبوة اصطفاء واختيار، وليست من الأعمال الكسبية"[1].

إن المستشرق الفرنسي جاك رسيلر (Jake Reselar) (– 1915م) يقول في توطئة لإثبات أن يكون الوحي مجرد تخيلات عند الرسول صلى الله عليه وسلم فأدعى أنه كان في شبابه فتى عصبياً، شديد التأثر عرضة لكل الأحزان بلا سبب ،ومهيئاً للتخيلات وللحماسة الصوفية أيضاً[2].

ويقرر أن حالة الوحي عند النبي صلى الله عليه وسلم هي من نتاج الالتقاء بالمسيحيين، واليهود، والأحناف، والتحاور معهم حول المسائل الدينية، التي اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعثته على حسب رأيه فيقول "قد اهتم باكراً بالمسائل الدينية، فكان يحب التحاور مع المسيحيين، واليهود ، والأحناف الذين كانوا يرفضون العبادات الوثنية ، والشعوذات الفاحشة" [3].

بل أدعى أن ذلك قد تطور حتى صار وحياً، فيقول: إن هذا الولع بدراسة المسائل الأزلية الذي ألهب على الدوام العقول الحالمة، تطور بشكل كبير لدى هذا الرجل الملهم" [4].

ويعود ليقر بالوحي عن طريق جبريل عليه السلام، لكنه يحيل ذلك إلى الحالة العصبية، التي مهد لها سابقاً، فيقول " لما استأثر به تأثير قدسي، صار يُرى في معظم الأحيان في حالات غيبوبة ووجد، وينطق بعبارات مسجّعة ، ومعزَّمة كالرقي، سيستقبلها المؤمنون به لاحقاً بكل ورع" [5].

وفي معرض حديثه عن القرآن الذي يقول عنه إنه "لا يمكن لأية ترجمة أن تحيط بلطائفه ودقائقه يعترف بأن ذلك يؤكده "أن محمداً كان قد حظي فعلاً بالوحي، بروعة الله وجلاله"[6].

ويصر المستشرق فرانتز بوهل (Frntz Buhel) (1850–1932 م)على تلبيس الوحي بالكهانة، فيقول: "إنّ التزمل والتدثر المشار إليهما في الآية الأولى من سورتي المزمل والمدثر، قد يكونان استعداداً للوحي على الطريقة القديمة عند الكهان العرب"[7]، ويتوسع في هذا التصور فيرى أنّ الوحي لم يكن شيئاً غير ما عند الكهان، فالسجع هنا وهناك، وكذلك القسم بمظاهر الطبيعة[8]، ويعتمد بوهل على التحليل النفسي في تفسير ظاهرة الوحي، بإخضاعها للمنهج الذيُ تشخص به الأمراض النفسية فيقول في شأن صدور الوحي من اللاوعي: "إنّ علماء التحليل النفسي المحدثين يوافقونهم على رأيهم هذا، إنّ علينا بطبيعة الحال أن نترك لأولئك المحللين تحديد الطبيعة الدقيقة لحالته"[9] أي حالة الوحي على محمد صلى الله عليه و سلم ".

فهو من الناظرين إلى الوحي من زاوية نفسية تتحدد في مصدرية اللاوعي، وهو جزء مؤسس لتصور مونتغمري وات (Watt Montgomery watt)(1909–2006 م) الذي سيكون أوسع توظيفاً، يقول بوهل: "من الناحية العلمية، فإنّ الصوت الذي كان محمد يسمعه لم يكن شيئاً آخر غير ما كان قد سبق له سماعه من هنا ثم طفا الآن من اللاوعي"[10].

ويضطرب هنري ماسيه(Henri masse) (1886–1969م)وهو يصف الوحي عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم اعتماداً على ما جاء بآيات القرآن من ناحية وتأثراً بزملائه من المستشرقين مثل جولدتسيهر(coldziher Ignaz)(1850–1921م)– نولدكه (Theodor Noldeke)(1850–1921م) سنوك(hurgronje Snouck) (1857–1936م) ، لامنس (Henri Lammens) (1862 – 1937م) كارادي فو(Carra de vaux) (1867–1953 م) وغيرهم من ناحية أخرى .

إذ يتساءل فيقول –ما هو الأصل الذي يقرؤه محمد للوحي؟ لقد قال إنه صادر عن كتاب سماوي أم الكتاب... أما الطريقة التي حدث فيها هذا الوحي فإن القرآن لا يحتوي إلا على إشارات غامضة وما من شك في أن محمداً لم يصرح بوضوح حول هذه النقطة" [11].

ثم يعود فيقول " أما الثابت فهو أن الله قد سلمه بواسطة روح ، قدمه محمد كملاك ، وُيدعى جبريل " [12].

وينساق وراء فكرة زملائه حول ما يتعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء نزول الوحي من شدة يتخذون منها متكأ للتلويح بإصابته صلى الله عليه وسلم بالصرع إذ يردد "وفقاً للتقاليد فإن محمداً تلقى في بادئ الامر نوعاً من الدوي، فصار كأنه مصاب بالحمى، وشحب لونه، وأرتجف

وتدثر بدثار، وهناك بعض المؤرخين المتأخرين، والبيزنطيون منهم على الخصوص تحدثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد مصاباً به، ومن المعلوم في القرون الوسطى، في الشرق كما في الغرب، أن هؤلاء المرضى كانوا يعتبرون كأن روحاً يمتلكهم، وقد أصبحت الفورنات عند محمد مألوفة كثيراً ابتداء من الوحي الأول" [13].

وفي محاولة لتبرير هذه الحالة التي كانت مساهمة في الوحي على حسب رأيه يقول "ويؤكد التقليد أن محمداً في بدء رسالته وقبلها أيضاً كان يكثر الصوم ويقضي الليل بالصلاة في أغلب الأحيان...فإن الصوم، وقد أضعف جسمه، يمكن أن يحدث رؤى في الليل على الخصوص" [14].
وبعد سرد لحياة محمد صلى الله عليه وسلم وفي إيحاء لرفض حالة الوحي في شأنه صلى الله عليه وسلم يقول "جوستاف لوبون"(Gostav labon) ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولو الهوس وحدهم لا ذوو المزاج البارد من المفكرين، هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، وحتى من يبحث في عمل المفتونين في العالم يعترف بأنه عظيم"[15].

ويستطرد فيقول "ومحمد كان يجد في هوسه ما يحفّزه إلى اقتحام كل عائق، ويجب على من يود أن يفرض إيمانه على الآخرين أن يؤمن بنفسه قبل كل شيء، ومحمد كان يعتقد أنه مؤيد من الله فيتقوى، ولا يرتد أمام أي مانع" [16].

وبطريقة أخرى، وفي نقل للصورة التي يحتفظ بها الغرب حول الوحي المحمدي يسرد المستشرق الألماني مراد وليفرد هوفمان(Wilfried hofman) (1931-م)الأسباب التي تجعل من القوانين والأعراف تنبذ كل غربي يعتنق الإسلام رغم سماحهم بذلك في حق أية ديانة أخرى فيقول: " وفي العادة، بأن إتباع ديانة ما يعد من الأمور الخاصة، كنوع من الفولكلور، والقاعدة العامة في ذلك: كل شيء يجوز إلا إذا كان الدين المعني هو الإسلام" [17].

ثم يسوق مبررات لذلك ومنها رفضهم لنزول الوحي مطلقاً على محمد صلى الله عليه وسلم فيقول " ترجع عداوة المسيحيين للإسلام تاريخياً، لاعتقادهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم دجال كان ذلك سيئاً بما يكفي في عيون المسيحيين [18].

يصرح وات(Watt) برفض قدسية القرآن: "لا نستطيع أن نقبل تماماً المفهوم الإسلامي الذي يرى أنّ القرآن حقيقة مقدسة، وأنّه المقياس لكل حقيقة أخرى"[19]، ولكنه يحاول أن يكون موضوعياً في التعامل مع قضايا القرآن وتفسير مصدره وشخصية محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "ليس بين كبار رجال العالم رجل كثر شانئوه كمحمد، ومن الصعب فهم السبب الذي دعا إلى ذلك"[20].

لكنه حاول أن يفسر القضية الأولى في الفكر الديني، على وفق الفكر الوضعي الخاضع في منهجه للحس والمشاهدة، والرافض للماورائية، ما يعرف عند المؤمنين بعالم الغيب، ويستخدم منهج التحليل النفسي في محاولة تشخيص ظاهرة الوحي في مقام الذات المحمدية المطهرة، فيرى أنّ الوحي شعور باطن يعتري محمداً صلى الله عليه وسلم ولا علاقة له بالله تعالى، ويجسد فطنة النبي صلى الله عليه وسلم وحكمته ونبوغه، في معزل عن المدد السماوي، وإن كان ما يصدر عنه مخالفاً للحقيقة، فإنّه في نظر وات دال على قوة الفهم: "ونحن لا يسعنا في كل ذلك إلا أن نعجب بإيمان محمد بقضيته، ببعد نظره وحكمته"[21]، ولكنه يحول ذلك الإيمان، وتلك الحكمة إلى وهم نفسي، وخاطر شعوري حين يقول: "فالقول بأنّ محمداً كان صادقاً لا يعني أنّ القرآن وحي حق، وأنّه من صنع الله، إذ يمكن أن نعتقد دون تناقض أن محمداً كان مقتنعاً بأن الوحي ينزل عليه من عند الله، وأن نؤمن في نفس الوقت بأنه كان مخطئاً"[22].

ولكن كيف يفسر وات هذا الحق المتوهم؟

لقد وظف وات مفهوم النطق الذهني[23] (Intellectual Locution)، حيث رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل خبراً دون كلمات، بإلهام داخلي محض، وأن دافعه في ذلك كان التفكير الرغبي (Wish full thinking) فيقول : "إنّ ما يبدو للإنسان ويخيل إليه أنّ شيئاً ما قادم إليه من خارج عقله، قد يكون فعلاً آتياً إليه من عقله الباطن"[24]، فيصور شعور النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مكتنز بالمشاكل الاجتماعية والدينية، مع ما تعرض له من يتم، فكانت كلها وراء رغبته وتفكيره، فأخذ يبحث عن مخرج منها، فاختلى بنفسه عن الناس، وأوصله خياله الخلاّق إلى فكرة القرآن فيقول مصوراً هذه الشبهة: "لا بُد أن محمداً قد عرف منذ شبابه بعض المشاكل الاجتماعية، والدينية في مكة، ولا شك أن وضعه كيتيم قد أطلعه على القلق السائد في المجتمع... وكان كل ما يحيط به يساعده على أن يوحي إليه بأنّ هذا الإصلاح يجب أن يكون أولاً إصلاحاً دينياً، ولهذا نراه يصبو إلى الخلوة للتفكير في الأمور الإلهية، ويقوم ببعض العبادات، وربما كان ذلك للتكفير عن الخطايا"[25].

ثم ينبري وات لتحليل ما يدعيه: "ولا شك أنّنا أمام تعبير داخلي من النوع الفكري أكثر منه من النوع الخيالي، وربما لم يصحب ذلك أية رؤية، ولو كانت فكرية"[26].

وينظر إلى جبريل على أنّه من مظاهر الخيالات المتوهمة: "وما كان الملك إلا خيالاً أدى إلى حضور تلك الموضوعات إلى رغبته"[27].

ثم يصور الوحي كله في رؤى خيالية يقوله: "إن الوحي كان عندئذ كما يبدو من نوع التعبير الخيالي"[28].

ومن دلائل أنّ وات لا يقر بمبدأ الوحي الإلهي، تصريحه "أنّ الأنبياء والمصلحين الدينيين يشتركون في هذا الخيال الخلاق، طالما كانوا يعبرون عن القضايا الأكثر عمقاً، والأكثر أساسية، الناجمة عن التجارب الإنسانية"[29].

فاللاوعي الجماعي(Collective unconscious) هو مصدر الوحي الديني للإسلام والمسيحية واليهودية في نظر وات، ويفسر ذلك اللاوعي الجماعي على وفق تفسيرات التحليل النفسي ليونج(Jung) ، فيقول: "إن ما ينبثق من اللاوعي إلى الوعي في رؤيا الأفراد المنامية وأحلام اليقظة، وكذلك في الأساطير الدينية لمجتمع كامل تأتي من "اللبيدو" أو طاقة الحياة، وهو ينبوع المناشط في كل الناس"[30]، وذلك اللبيدو منه ما هو خاص، ومنه ما هو مشترك بين الفرد والجنس البشري، "هذا الجزء المشترك بينه وبين الآخرين هو الذي يسميه "يونج" باللاوعي المشترك وإليه تعزى الأساطير والمعتقدات "[31].

فيرجع وات الوحي إلى مصدرين:

1- الخيال الخلاق الذي يتمتع به محمد صلى الله عليه وسلم، مثلما يتمتع به أفذاذ البشر الآخرين.

2- اللاوعي الجماعي الذي يغذي الوعي في حالات تفجر الطاقة الإنسانية، طبقاً لتفسيرات "يونج"، ولكن وات يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم غير مصاب بمرض عصبي.

وقد وافق المستشرق الألماني رودي باريت (Rodi paret) (1901-1983م) مونتغمري وات في كون الوحي الذي يعاود النبي صلى الله عليه وسلم نوعاً "من المشاهدة، وليد توتر وتفكر دائم"[32].

ويقترب عالم الاجتماع المستشرق الألماني المعاصر نيكلاس لوهمان(Nekolas lohman) (1927- 1998م) برأيه في الوحي من رأي وات، وإن كان يتجاوزه في الدرجة، وبعد بحث في كلمات ودلالات القرآن الكريم توصل في النهاية إلى أنّ ظاهرة الوحي إلهام ووسوسة، لا يخاطب بها الإنس وحدهم ولا هذا العالم بمفرده، وإنما العالم الأكبر والأصغر، والجن والإنس معاً، والملائكة والشياطين وأصدقاؤهم الكفار، وهو يستند في هذا الحكم العام على المعنى اللغوي للوحي، ويضرب عن المعنى الشرعي الخاص، الذي هو إعلام الله تعالى نبيه برسالته إلى الناس في خفاء، ويستند إلى قوله تعالى: [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ] الأنعام: (121)، ثم يقول لوهمان بعد بحث في السيرة النبوية: "وبكلمة جامعة يمكننا القول إنّ محمداً في هذا الوقت من حياته ،التي تميزت بالميل إلى الوحدة، كان شخصية طلائعية حساسة،

وهنا حدث بعدئذ، وبعد تمارين روحية طويلة وشاقة، أن جاءه الوميض المتقد، فاكتشف أنه رسول، وبذلك قطف أولى ثمار تدريساته الرهبانية[33].

وحاول مكسيم رودنسون(Maxime Rodonson)(1915-2004م) في كتابه محمد، أن يرجع ظاهرة الوحي إلى شعور باطني ناجم عن الترويض الصوفي، فيرى أنه صلى الله عليه وسلم صادق، واع، أمين، فيما يصدر عنه من وحي، ولكنه وحي حياة التصوف المعتدل الذي كان يحياه[34].

وقد وصف نفسه بأنه من الملحدين حيث قال في مقدمة كتابه "محمد": "كيف يستطيع ملحد مثلي أن يدرس مؤسس الدين الإسلامي...؟ يحق للملحد إنكار مثل هذه الأفكار، ولكن لا يحق له عدم تقدير هذه الرسالات"[35].

ويحكم على القرآن أنه: "يصدر من داخل نفسه (أي نفس النبي صلى الله عليه وسلم) لا من مصدر خارجي عنه، ولقد استطاع محمد فيما بعد أن يجمع هذا الكلام في عبارات ادعى أنه القرآن الذي جاء به من عند الله"[36].

ويلجأ إلى علم النفس مثلما لجأ بوهل ووات ، ليساعده على تقرير شبهته فيقول: "إنّ علم النفس قد قرر أنّ بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة، وتتهيأ لهم رؤى خاصة، ويتخيلون أصواتاً يسمعونها، وكلمات يلتقطونها، صادرة من منطقة اللاوعي أو العقل الباطن"[37].

ويتوافق في بعض رأيه مع بوهل، حين يرى في وهم صورة الكاهن تفسيراً لصورة الوحي فيقول في حق محمد صلى الله عليه وسلم "إنه بلا شك ينتمي عضوياً ونفسياً إلى طائفة الكهنة، فلقد كان محمد مثلهم يتعرض لنوبات من الاهتياج العصبي، مع الشعور بأنّه يسمع ويرى أشياء بعيدة عن مدارك الآخرين"[38]، ويبدو أن رودنسون أقل إحساساً من سابقيه في توقير عقل محمد صلى الله عليه وسلم فيقول في مواربة "ونظراً لأن محمداً كان يتميز عن سائر الكهان بقوة شخصيته بالإضافة إلى شعوره الدائم بالقلق وعدم الرضا، فإنه تميز عليهم أيضاً بطريقة التفكير العميق في الأشياء"[39]، كما يزعم أن محمداًصلى الله عليه وسلم كانت له ميول زهديه، أملتها ظروف حياته الشخصية عندما كان طفلاً ،ومراهقاً، ورجلاً ناضجاً، وأخذ يتراءى له الكشف المصحوب بالأصوات المسموعة، ويرى أنّ هذه المظاهر الصوتية والمرئية، تظهر أيضاً لدى المصابين بالأمراض العقلية كالهستريا وانفصام الشخصية[40]، فهو يجعل مظهر الوحي موافقاً لمظهر المرض العقلي، ولكنه يرفض أن يصم النبي صلى الله عليه وسلم بأي نوع من ذلك المرض "ويصل رودنسون إلى نتيجة مفادها أن الوحي الذي ينزل على الرسول لا يمكن تفسيره بالأمراض النفسية التي قد تنتاب الإنسان،

ولا بتدخل الشياطين والأرواح الشريرة"[41]، ثم يقرر أنّ "ما يراه ويسمعه الرسول هو نتيجة وصوله إلى إحدى درجات التصوف التي لم تصل إلى الاتحاد بالله"[42].

ويوافق المستشرق الفرنسي ماسينيون"(Louis Massignon) (1883-1962م) رودنسون، في القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعيش حالة صوفية، لكنه يذهب في مسار أعمق فيقول: "إن الرسول لم ينتهز فرصة الإسراء والمعراج للاتحاد بالله، والاندماج في ذاته، كما لم يستطع الصوفيون من بعده تحقيق هذا الاتحاد إلا الحلاج الذي دفع حياته ثمناً لهذا الاندماج"[43]، وهذه مقارنة ساذجة بين نبي مرسل بالوحي، ومتصوف موغل في الشطح، وماسينيون يصور النبي صلى الله عليه وسلم عاجزاً بعد محاولته، عما تمكن من بلوغه الحلاج، وشتان بين الرجلين، والسبيلين.

ويتناول نولدكة مسألة الوحي بكتابه تاريخ القرآن وهو يتتبع الآيات القرآنية ومنها يتخذ منطلقاً لشرح هذه المسألة على وفق مفهومه فيقول " أعلن محمد أنه يتلقى الوحي من "الروح"، "روح القدس" الذي اعتبره ملكاً وسماه في السور المدنية جبريل لكن هذا لم يحدث بالشكل نفسه دائماً[44].

ونلاحظ هنا أنه يتجه إلى تقرير أن هناك اضطراباً لدى المسلمين في تحديد مسألة الوحي المحمدي ويتضح ذلك عندما يقول"نود أن نلاحظ أن المسلمين لا يصفون بكلمة وحي القرآن وحسب، بل أيضاً كل إلهام تلقاه النبي وكل أمر إلهي وجّه إليه حتى لو لم تعتبر كلماته قرآناً" [45] وينسى نولدكه أو يتناسى أن للكلمة معنيين لغوي واصطلاحي، وأن التوسع في الكلمة لا يخرج عن المعنى اللغوي لها.

ثم يتوجه ليجعل للوحي أنواعاً، انطلاقاً من صور الوحي التي يعرفها المسلمون من خلال السيرة النبوية والأحاديث التي وثقت هذه المسألة فيقول "وثمة روايات قديمة مختلفة حول تقسيم أنواع الوحي، تم جمعها لاحقاً إلى نسق مصطنع انطلاقاً من وجهة نظر عقائدية" [46].

ويقرر بكل سهولة أن ما ذكر من صور للوحي إنما جاء عن سوء فهم فيقول "نرى بسهولة، أن الكثير من هذه الكيفيات نشأ عن مرويات أو آيات قرآنية، أسيء فهمها، وقد نتج عن هذا من أن المسلمين اختلفوا منذ القدم فيما إذا كان محمد شاهد الله وتلقي منه الوحي مباشرة، أو لا " [47].

أما آرثر جفري(Arther Jeffery) (1892-1959م) وبعد أن يبسط طريقة تكون الكتب المقدسة التي سبقت القرآن في محاولة منه لابراز نقاط التقاطع والالتقاء يقول: "من الواضح أن حالة القرآن تختلف للغاية عن كل هذا. إنه من البداية إلى النهاية نتاج انسان واحد ومن حقبة زمنية واحدة" [48] في إشارة خفية لرفض الوحي في شأن محمدصلى الله عليه وسلم وأن ما جاء في القرآن إنما كان من صناعة محمد صلى الله عليه وسلموتفكيره ويؤكد ذلك بقوله:"وهكذا فهي تشبه النص الذي

قرر ماني تقديمه لملته ككتاب مقدس، أو تلك النصوص المنحولة الحديثة مثل كتاب مورمون أو أواسبه (oahspe)أو كتابات بهاء الله، في أن كلاً منها كان عمل رجل أوحد، وأنها قدمت على نحو متعمد بهدف استخدامها من قبل الأمة ككتاب مقدس" (49).

ولا يبتعد كثيراً عن الذين تصوروا أن خيالات الرسول صلى الله عليه وسلمكانت وراء المادة القرآنية فيقول :" ما الذي تخيله محمد إذاً عن طبيعة النص المقدس؟ لسوء الحظ لا نستطيع أن نعرف بشكل كامل أبداً ما الذي فكر به محمد ذاته مع استخدام كلمات على شاكلة كتاب، وحي، قرآن، آية، حكمة، علم....إلخ لأنه لا يوجد أمامنا سوى جزء من الدليل" (50).

وينقل بلاشير (Regis Blacher) (1973–1900م) الصورة التي كانت عليها الأوساط الكنسية في القرون الوسطى للوحي فيقول" كانوا وقتئذ في الأوساط الكنسية، يتصورون دعوة محمد عمل منشق يدعي بأنه ملهم من الله، بينما كان في الواقع قد تلقي تعاليمه من راهب خارج عن العقيدة القويمة" (51).

ويصرح باعتماده على غيره في نقل فكرته عن الوحي فيقول "إن حياة النبي، أو سيرته، تنطوي على معطيات دقيقة لكنها متناقضة بعض الشيء، عن الظروف التي تلقي محمد في غضونها أول تبليغ إلهي له. هذه الروايات تذكرنا في مواضع كثيرة كما يقول توراندري(Tor Andrae)بما كان يخبر عن غيره من كبار المرسلين"(52).

في سياق الإنصاف

وأقر قليل من المستشرقين بحقيقة الوحي، منهم المستشرق الفرنسي الذي أسلم مارسيل بوزار (Marcel Boisard) الذي قال: "لقد كان محمد نبياً لا مصلحاً اجتماعياً، وأحدثت رسالته في المجتمع القائم آنذاك تغيرات أساسية، وما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر"(53).

وقال الأديب الروسي ليو تولستوي(Leo Tolstory)(1910– 1852م) في مقال له بعنوان (من هو محمد؟): "إنّ محمداً هو مؤسس ورسول، وقد تحمل في سني دعوته الأولى كثيراً من اضطهاد أصحاب الديانة الوثنية"(54)،

وكقول لورافيشيا فاغليري(L.veccia.vaglieri) (1989–1893م) المستشرقة الإيطالية في وصف القرآن: "ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إنّنا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً... فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد؟" (55).

وقال المستشرق النمساوي جوزيف هامربورجشتال(Hammer porgstall)(1774-1856م) في شأن محمد صلى الله عليه وسلم: "إنه واحد من مؤسسي الأديان الثلاثة: الكبرى التي نشأت في مصر وسوريا والجزيرة العربية، وانتشرت فوق سطح الكرة الأرضية بكاملها، وهو خاتم النبيين"؟"[56].

وقال المستشرق الفرنسي هنري دي كاستري(Cte. H, de Castries)(1850-1927م)" القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس، وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد، ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلاً"[57].

وتشارك كارين آرمسترونغ (Karen Armstrong)(1945- م) مؤلفة وكاتبة بريطانية معاصرة في كتابها سيرة محمد التي كانت موجهة للمتلقي الغربي المحمل بموروثات وتصورات معادية للإسلام ولشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

فتقول "وكان التنزيل الذي بدأ محمد تلاوته بوحي إلهي على جبل حراء قرآنا عربياً، ولبت تلك الرسالة أعمق احتياجات العرب، فقد كان لمحمد أن يخترق بشكل ما مستوى جديد من الوعي، يعالج ما أصاب مجتمعه من سوء،..... ونحن غالباً نستعمل كلمة "وحي" أو "كشف" لتتحدث عن فكرة أو رؤية جديدة كلية ، لكن دراسة أصل اللفظ(revelation) توضح وجود شيء تم إماطة اللثام عنه وبطبيعة الأمر لا يمكن لرؤية أو مفهوم ديني أن يكون مبتكراً" [58].

وهي تحاول أن تربط بين الوحي السابق لمحمد صلى الله عليه وسلم والوحي الذي نزل عليه، بتفسير المسألة، والاعتراف بالوقائع، واماطة اللثام عن سوء الفهم ويظهر ذلك بوضوح عند قولها "ولم يكن هناك ما هو جديد بخصوص الوحي على جبل حراء، فقد كان هذا دين الله الجديد الذي أوحى به عشرات المرات، والذي أوكل محمد كي يأتي به إلى العرب، إن دين (الإله) الذي كان لمحمد أن يبشر به بعد وقت وجيز في مكة، لم يبدأ على جبل حراء، بل في يوم الخليقة" [59].

وفي ردها على الذين أحالوا مسألة الوحي إلى أمراض وهستيريا تقول:" لابد لنا الآن من وقفة لنتأمل طبيعة التجربة، فعالم الان لا يحكم على كل تلك الرؤى أو الإيحاءات بأنها هستيريات أو عقائد فاسدة، ففي كل الحضارات كان الوحي يعتبر شكلاً من أشكال التلبيس(possession)الحميد سواء بالتعبير الفني أو الديني" [60].

موقف نقدي

مضى الزمن الذي كان المستشرقون يعالجون فيه قضايا الإسلام بمنهج الحيف الساخر، وأصبح رأيهم في كثير من الاستنتاجات، يقوم على التأمل المنعزل عن التعصب الظاهر، وإن كانت دماؤهم لم تتطهر بعد، واختفت شيئاً فشيئاً تلك العبارات العدائية التي كانت تتوقد من أفواههم قبل قرن من الزمان، بل إن بعض شعرائهم في القرنين التاسع عشر والعشرين كانوا يتغنون بصورة محمد صلى

الله عليه وسلم وأنوار القرآن مثل يوهان جوته(Goethe Johann) (1749-1832م) وبوشكين(Alexamder pushkin) (1799-1838 م) ، ومن لم يقر منهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قدّر إنسانيته الرفيعة.

وما عبر عنه أولئك المستشرقون من أفكار في تفسير ظاهرة الوحي، وإن خرج عن دائرة الصواب، لم يخرج عن مجال الإعجاب، ولو تيسر لهم قدر أكبر من الإحاطة بالقرآن والتعمق في معانيه، لكانت لهم أحكام أرشد، وأوفق بالقرآن والمنزل عليه.

وقد التقى بوهل ووات ورودنسون حول توظيف اللاوعي في المجال النفسي، وانفرد رودنسون وبوهل، بقياس تلقي القرآن على ممارسة الكهانة، وحام حول هذه الأفكار نولدكه، وبلاشير، وآرثر جفري، وإذا كان القرآن نفسه هو الوثيقة الأولى التي اعتمدوا عليها في تحليل شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتلقى الوحي، فإن القرآن ينسف تلك الادعاءات، ففي شأن الكهانة ينفي القرآن وجه التشابه بينها وبين الوحي، ويفصل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم عن صورة الكاهن فصلاً تقابلياً تاماً، فيقول تعالى: [وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ] الحاقة: الآية (42)، وفي شأن اللاوعي الجماعي الذي ادعاه مونتغمري يقول القرآن: [لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ] البقرة (272)، وفي نفي اللاوعي الفردي، يقول تعالى: [وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ# نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ# عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ# بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ] الشعراء (192-195)، ويقول تعالى: [وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى# مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى# وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى# إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى] طه (1-4).

وهناك مصدر يلي القرآن لو تمعن فيه هؤلاء المستشرقون، وأعملوا فيه التحليل، وقابلوا بينه وبين مقاصد القرآن، لكانت لهم تفسيرات غير التي اجتهدوا في استنباطها، وهي السيرة النبوية، ولكانوا مثل قلة من أحزابهم سلكت هذا المنهج، منهم الدكتور جوستاف فايل الذي أثنى على السيرة النبوية دليلاً برهانيا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته، فصرح بعد دراسة مستفيضة للسيرة أن محمد صلى الله عليه وسلم: "يمكن أن ينظر إليه من جانب غير المسلمين على أنه بالفعل رسول الله"[61].

وفي تحكيم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من أجل النظر في قابلية قبول ذلك التوهم الاستشراقي يتضح أن حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها مثالاً لاستواء شخصيته، في خلقتها وخلقها، وتتوافق مع قوله تعالى: [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ] القلم (4)، وإن تعلقهم بهيئة النبي صلى الله عليه وسلم وقت نزول الوحي ليس إمارة على ما يدعون، فإن شدته عليه يرجع إلى ثقل القرآن الذي لو نزل على جبل لصدعه لولا عناية الله، قال سبحانه: [إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً] المزمل

(5)، وقال تعالى: [لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ] الحشر (21).

يقول محمد عبد الله دراز في رد تهمة الإبداع الخلاق التي روجها وات: "فكان لا يشاء يوماً أن يأتي بقرآن جديد إلا جاء به من هذا الطريق الذي اعتاده ... غير أنه كثيراً ما التمس الوحي في أشد أوقات الحاجة، وكان لا يظفر به إلا حين يشاء الله"(62).

ويقول التهامي نقره في بيان خصائص الوحي القرآني، المتميزة عن بقية أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في دلالة واضحة على أن ظاهرة الوحي خارجة عن دائرة الشعور واللاشعور الداخلي للنبيصلى الله عليه وسلم: "لعل أول ما يبعث على التساؤل حول هذه الأفكار الرائجة في أوساط المستشرقين والغربيين عموماً أن القرآن والحديث لو كان مصدرهما واحداً فبم تفسر هذا الفرق الكبير والبون الواسع في أسلوب العرض، وطريقة الأداء ومنهج التعبير؟"(63).

[يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ# هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ] التوبة (32، 33).

الاستخلاص

من خلال ملاحظة أقوال المستشرقين في ظاهرة الوحي نلمح اختلافهم بما يحقق الفرضية التي انطلق منها هذا البحث ، وهي تقود وجهات أنظار الغربيين التى يلتقي في بشرية مصدر القران ، فمنهم من يرى أنه هوس ذهني ، أو نزوع نفسي داخلي ، ومنهم من يرى أنه تلبس صوفي أو كهانه محترفة ، ومنهم من يرى أنه إبداع خلاّق، ومنهم من يرى أنه محاكاة لأحوال النبوة في المسيحية واليهودية ، وقليل منهم كان منصفاً متوافقاً في الرؤية الإسلامية في إلهية مصدر الوحي القرآني وانه كلام الله المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.

الهوامـــش

(1) رضا: محمد رشيد ، الوحي المحمدي فى المنظور الاستشراقى ، القاهرة، 1960/1380م، ص94.

(2)، خليل: احمد خليل، الحضارة العربية ، بيروت، باريس، منشورات عويدات ص35.

(3) م.ن، ص35.

(4) م.ن، ص35.

(5) م.ن، ص35.

(6) م.ن، ص38.

(7) م.ن، ص27.

(8) م.ن، ص27.

(9) عوض:إبراهيم ، دائرة المعارف الإسلامية، أضاليل وأباطيل، ص28.

(10) م.ن، ص32.

(11) شعبان: بهيج ، تر، الإسلام،، بيروت باريس، منشورات عويدات ص100.

(12) م.ن، ص100.

(13) م.ن، ص101.

(14) م.ن، ص101.

(15) زعيتر: عادل ، تر، حضارة العرب ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص114.

(16) م.ن، ص114، 115.

(17) المعلم عادل تر: الإسلام ، الرياض ، مكتبة العبيكات ، ط أولى، 2003 م، ص45.

(18) م.ن، ص46.

(19) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس– ليبيا، العدد التاسع، 1992م، ص636.

(20) بركات: شعبان ، تر: محمد في المدينة، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ص493.

(21) م ، ن ، ص104.

(22) م.ن، ص496.

(23) العالم : عمر لطفي ، محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، الصورة والواقع، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد5، 1988م، ص64.

(24) وات: مونتغمري ، محمد في مكة، ترجمة: شعبان بركات، بيروت، المكتبة العصرية، ص82.

(25) م.ن، ص82.

(26) م.ن، ص98.

(27) Watt. The Islamic Revoltion, the modern world, 1966, p190.

(28) محمد في المدينة، ص100.

(29) بلحاج: ساسي، الظاهرة الاستشراقية، ، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، 354/1.

(30) م.ن: 356/1.

(31) م.ن: 356/1.

(32)العالم: عمر لطفي ، محمد –صلى الله عليه وسلم– الصورة والواقع، مجلة كلية الدعوة، العدد الخامس، ص64.

(33) م.ن، ص65.

(34) Rodinson M. mohamet, seuil, paris, 1961, p:106.

(35) العقيقي: نجيب ، المستشرقون، القاهرة ، دار المعارف، ط4: 359/1.

(36) بالحاج: ساسي الظاهرة الاستشراقية: 357/1.

(37) أبو ليلة: محمد محمد بين الحقيقة والافتراء، مصر، دار النشر للجامعات، ط1، 1999م، ص114.

(38) م.ن، ص115.

(39)أبو ليلة: محمد محمد،القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، مصر، دار النشر للجامعات، 1999م، ص116.

(40)أبو ليلة: محمد محمد محمد ، بين الحقيقة والافتراء، ص87.

(41) بالحاج: ساسي الظاهرة الاستشراقية: 358/1.

(42) م.ن: 358/1.

(43) م.ن: 251/1.

(44) تامر: جورج تر، تاريخ القرآن ، ألمانيا، بغداد، منشورات الجمل، 2008، ص20.

(45) م.ن، ص20.

(46) م.ن، ص21.

(47) م.ن، ص22.

(48) فياض: نبيل ،القرآن ككتاب مقدس، لبنان، طأولى، 1990م، ص26.

(49) م.ن، ص26.

(50) م.ن، ص27.

(51) سعاده :رضا القرآن ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط أولى، 1974، ص12.

(52) م.ن، ص24.

(53) دمشقية: عفيف،إنسانية الإسلام، بيروت، دار الآداب، 1980م، ص99.

(54) دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1981م، ص56.

(55)عبد الوهاب: محمد فهمي، محمد رسول الله، تونس، دار بو سلامة، ط2، 1985م، ص13.

(56) طهطاوي:محمد عزت ، التبشير والاستشراق، القاهرة، ط الزهراء (1991/1411)، ص79.

(57) زغلول: أحمد فتحى ، الإسلام خواطر وسوائح ، مصر، مطبعة السعادة، ص23.

(58) أرمسترونج كارين ، محمد ، تر/فاطمة نصر، محمد عناني، Harper, Collins publishers, New York, NY, 10022، 1992م، ص133، 134.

(59) م.ن، ص134.

(60)لجوار: محمد ،الاسلام في مرآة الغرب، محاولة جديدة في فهم الإسلام ، دار الحصاد، سوريا، دمشق، ط2، 2002، ص99.

(61) طهطاوي: محمد عزت ، التبشير والاستشراق، ص78.

(63) دراز: محمد عبدالله النبأ العظيم، الكويت، دار القلم (1404-1984)، ص25.

المراجع والمصادر

(1) أبو ليلى : محمد محمد، القران الكريم من المنظور الاستشراقى ، مصر، دار النشر للجامعات 1999 م، ص94.

(2)أرمسترنج: كارين ، محمد فاطمة نصر ، محمد عناني Harper,collils-122-publishers,newyork.ny.

(3) بالحاج : ساسي ، الظاهر الاستشراقية ، مالطا ، مركز دراسات العالم الاسلامي

(4) بلاشير: ريجيس ، القران ، ترجمة رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، طاولى ، 1974 م .

(5) يوازار ، مارسيل ، اسانية الاسلام ، ترجمة / عفيف دمشقية ، بيروت ، دار الادب ، 1980 م .

(6) جوستاف ليون ، حضارة العرب ، ترجمة / عادل زعيتر ، القاهرة ، مطبعة عيسى البادى الحلبي .

(7) خليل: احمد خليل ، الحضارة العربية ،بيروت ، باريس ، منشورات عويدات .

(8) دراز : محمد عبدالله ، النبا العظيم ، الكويت ، دار العلم 1904- 1984 م .

(9) رضا: محمد رشيد ، الوحى المحمدى في المنظور الاستشراقي ، القاهرة (1960-1380م) .

(10) طهطاوى : محمد عزت ، التبشير والاستشراق ، القاهرة ، ط الزهراء (1911 -1991 م).

(11) العالم : عمر لطفي ، محمد صلى الله عليه وسلم الصورة والواقع ، مجلة كلية الدعوة ، العدد الخامس ، 1988 م .

(12) عبد الوهاب : محمد فهمي ، محمد رسول الله ، تونس ، دار ابو سلامه ، ط2 ، 1985 م.

(13) العفيفي : نجيب ، المستشرقون ، القاهرة ، دار المعارف ، ط 4 .

(14) عوض: ابراهيم ، دائرة المعارف الاسلامية ، أضاليل وأباطيل .

(15) فاغليري : الورافيشا ، دفاع عن الاسلام ، ترجمة منير البعبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط خامسة ، 1981 م .

(16) ماسيه : هنري ، الاسلام ، ترجمة بهيج شعبان ، بيروت ، باريس ، منشورات عويدات .

(17) نولدكه ، تيودور ، تاريخ في القران ، ترجمة جورج تامر ،المانيا ، بغداد ، منشورات الجمل ، 2008 م .

(18) هوفمان : وليفرد ، الاسلام ، ترجمة عادل المعلم ، الرياض ، مكتبة العبيكات ، ط اولى ، 2003 م .

(19) وات : منتجمري ، محمد فى مكة ، ترجمة شعبان بركات ، بيرقت صيدا ، المكتبة العصرية .

(20)Rodinson.max.mohamet.seuit.paris.1961.

(21)Watt. the Islamic Reuolion.the modenm word.1966.

تأثير المركز في الأطراف

دولة بني العبّاس، ودويلات المغرب: بني مدرار- بني رّستم - الأغالبة "أنموذجاً"

أ. الأخضر أبوالقاسم محمد العيساوي

جامعة الجبل الغربي

كليّة التربية / الزنتان

مقدّمة:

قامت دولة بني العباس سنة (132هـ / 750م) على أنقاض الدولة الأموية. وقد اتّجهت الدّولة منذ قيامها نحو المشرق، واهتمّت به، وحرصت على ضمان تبعيته لها. كما اعتمدت على عناصر أعجمية في إدارة الدّولة.

ومنذ قيامها شهد العالم الإسلامي تفكّكاً سياسياً خطيراً عصف بوحدة الدّولة، فقامت حركات انفصالية أدّت إلى ظهور ثلاث خلافات في شرق بلاد الإسلام وغربها؛ عبّاسية وأموية في الأندلس وفاطمية في مصر. ويصف السّيوطي[1] ذلك قائلاً: "في دولة بني العبّاس افترقت كلمة الإسلام ... وانقسمت ممالك الأرض عدّة أقسام، وصار بكلّ قطر قائمٌ يأخذ النّاس بالعسف، ويملكهم بالقهر".

انفصلت أقاليم بأكملها في المغرب والمشرق، فتغلّب الأمويون على الأندلس، والأغالبة على المغرب الأدنى، وبنو رستم على المغرب الأوسط، وبنو مدرار على المغرب الأقصى، ثمّ الفاطمين على أنقاض دولتي الأغالبة والرستميين، وفي مصر ظهر الطولونيين، ومن بعدهم الإخشيديون ثمّ الفاطميون فالأيوبيون. واستأثر الحمدانيون بالشّام، والطّاهريون ثمّ الصفاريون في فارس، وأخيراً السامانيون فالغزنويون في في الهند وجزء من فارس وبلاد ما وراء النّهر[2].

اخترنا من بين هذه الأقاليم دويلات المغرب: بني مدرار و بني رستم والأغالبة أنموذجاً لعلاقات دولة المركز (الدولة العبّاسية) بهذه الدويلات التي انفصلت عنها سياسياً وبدرجات متفاوتة، ومعرفة ما إذا كان هذا الانفصال قد أدّى إلى قطيعة كاملة بين الطّرفين أم أنّ العلاقات استمرّت بينهما على صُعُدٍ أخرى.

تمهيد:

لمّا قامت الدّولة العبّاسيّة أعلن حاكم إفريقية عبد الرّحمن بن حبيب الفهري ولاءه للعبّاسيين، واستمرّ على ذلك زمن الخليفة العباسي الأول (أبو العبّاس السّفّاح)، ولمّا آلت الخلافة إلى (أبي جعفر المنصور) الخليفة الثّاني ساءت العلاقة بينه وبين (عبد الرّحمن) الذي خلع طاعة الخليفة، لكنّه دخل في صراع أسري انتهى بمقتله، ثم خاض خلفاؤه صراعاً مع البربر أدى إلى زوال سيطرتهم على إفريقية. واستمرّ الصراع بعدها بين جند الخلافة والبربر، وأرسل العباسيون قادة الجيوش تباعاً لاسترداد إفريقية، إلى أن استطاع أحدهم (إبراهيم بن الأغلب) السيطرة عليها، فأقرّه الخليفة هارون الرّشيد أميراً عليها سنة (184هـ / 800 م) مقابل التّبعية الإسمية، ومبلغ من المال يرسله سنويّاً لدار الخلافة في بغداد[3].

وفي المغرب الأوسط نجح الإباضيون في تأسيس إمارة مستقلّة، وذلك عقب هزيمة عبد الأعلى بن السّمح المعافري على يد جيش الخليفة أبي جعفر المنصور، حيث انسحب أتباعه من الأباضيين ناحية المغرب الأوسط بقيادة عبد الرّحمن بن رستم الذي اتخذ من مدينة تاهرت الجبلية الحصينة مقراً لإمارته الإباضية عام (144هـ) وبويع بالإمامة عام (160هـ). وناصبت الإمارة العبّاسيين العداء. وعند قيام إمارة بني الأغلب (184هـ) الموالية للعبّاسيين أصبحت حاجزاً بين إمارة بني رستم والدّولة العبّاسية [4].

وفي عام (140هـ) أقام الخوارج الصّفرية إمارة بني مدرار في جنوب المغرب الأقصى حيث بايع أبوالقاسم بن سمغون بن واسول زعيم زناتة الصّفرية عيسى بن يزيد الأسود ليقوم بأمر الدويلة الناشئة، فاختار عيسى مدينة سجلماسة التي تقع في منطقة تافلّلت على طرف الصحراء لتكون حاضرة لهذه الدّولة التي ازدهرت اقتصادياً بفضل علاقاتها التجارية مع بلاد السودان والأندلس. وتعاقب على حكمها خلفاء ابن واسول قرابة قرنين من الزّمان، إلى كانت نهايتهم على يد القائد الفاطمي جوهر الصقلّي عام 354هـ[5].

أوّلاً – إشكالية الدّراسة

هل كان لقيام الدويلات الإسلامية المستقلّة وشبه المستقلة عن الخلافة – الذي يبدو من الناحية السياسية مظهراً لتفكك الدولة – أثرٌ في استمرار التّواصل بينهما؟، وهل أدى ذلك بالضرورة إلى توقف العلاقات الاقتصادية وتشابه النّظم بين المركز والأطراف؟.

ثانياً – أهمّية الدّراسة

تكشف الدّراسة عن جانب مهم يغفل عنه الكثيرون، وهو استمرار العلاقات الاقتصادية والثّقافية بين مركز الدّولة في الشرق ودويلات المغرب الإسلامي التي نشأت بعد قيام الخلافة العبّاسية، وأنّ

استقلال تلك الدّويلات سياسياً لم تنشأ عنه قطيعة بين المركز والأطراف، بل استمرّ بينهما تواصل مستمر في جوانب أخرى أهمّها تشابه النّظم واستمرار العلاقات الاقتصادية بين الطّرفين.

ثالثاً – أهداف الدّراسة

– البحث عن التشابه بين النظم المختلفة السّائدة في مركز الدولة، وإشعاعها على مختلف الأطراف، بحيث أضحت صورة مطابقة أو مشابهة للنّظم السائدة في المركز.

– إبراز وإيضاح جوانب تأثر الأطراف بالمركز في النّظم السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية.

– الكشف عن مدى أهمية التواصل التجاري وتبادل السلع وتحويل الأموال وانتقال وإقامة التّجّار بحرّية وبدون عوائق بين مركز الدّولة وأطرافها برغم القطيعة السياسة.

رابعاً – خطّة الدّراسة

تمّ تقسيم الدّراسة إلى المباحث التالية:

المبحث الأول

طبيعة العلاقات السّائدة بين الدّولة العبّاسية ودويلات المغرب الإسلامي.

المبحث الثّاني

بنو مدرار في سجلماسة

المبحث الثالث

بنو رستم في تاهرت

المبحث الرابع

بنو الأغلب في القيروان

المبحث الأول: طبيعة العلاقات السّائدة بين الدّولة العبّاسية ودويلات المغرب الإسلامي

إن النظرة السطحية المتسرعة للأحداث السياسية التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية منذ أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي قد تدفع الباحث في كثير من الأحيان الى استنتاجات وأحكام تخالف الواقع. فللوهلة الأولى يبدو أن الانقسام السياسي يمثّل مظهراً من مظاهر التفتت

والضعف والتخلف. غير أن الانقسام أحيانا لا يعبر عن ضعف الدولة وعجزها عن مواجهة الحركات الاستقلالية، لكنها قد تسمح بذلك إذا رأت أن الصراع سيكون طويلا ومكلفا وغير مأمون النتائج. ومن ناحية أخرى فإن الانقسام لا يصاحبه بالضرورة تخلف حضاري وركود اقتصادي في جميع الأحوال. وهذا ما ينطبق على وضع بلاد المغرب في ظل قيام الدويلات المستقلة، حيت قامت كل منها بصورة منفردة بدورها الحضاري، وعملت على نشر الإسلام وترسيخ مبادئه، وسخرت مواردها المتاحة لتحقيق النهضة وإرساء دعائم الاستقرار، وتجنبت بالتالي إهدار طاقاتها في صراعات لا طائل من ورائها.

ويمكننا أن نعتبر استقلال بعض دويلات الأطراف لا يعدو كونه استقلالا ذاتيا، وعليه فإن تلك الدويلات كانت في الواقع شبه مستقلة. وقد أدت تلك العملية إلى إضعاف الخلافة من الناحية السياسية، ولكنها لم تعمل على إلغائها، بل بقي الاعتراف بالخلافة قائما كمصدر من مصادر شرعية دويلات الأطراف التي حرصت على الاعتراف بالخلافة وسعت للحصول على تفويض منها – فيما عدا إمارتي الخوارج بالمغرب –. وعلى الرغم من ضعف الخلافة في بغداد ووقوعها تحت سيطرة المتغلبين، إلا أنها لم تنته إلا بقوة خارجية وثنية وهي المغول. وحول هذا المفهوم يقول مونتغمري واط: "إنه لأمر يثير الدهشة أننا لا نسمع شيئا عن حركات للاستقلال التام، بل نسمع فقط عن حركات تسعى للاستقلال الذاتي في إطار إسلامي عام ... وعندما يفكر المرء في الأمر، يجد أن إرادة الوحدة داخل الجماعة الإسلامية هي أمر يثير الإعجاب"[6].

كانت الدولة العربية الإسلامية محكومة بنظم معينة متوارثة منذ أن قامت دولة الرسول عليه الصلاتوالسلام في المدينة، ومن بعده دولة الخلفاء الراشدين، ثم دولة بني أمية فيما بعد، وقبل هذا وذاك بعض النظم القديمة التي سادت المنطقة، ثم أقرها الإسلام لعدم تنافيها مع مبادئه.

كان لدولة بني العباس مؤسساتها الإدارية، وإشعاعها الحضاري والديني المتمثل في الاجتهاد

والتشريع. ولابد لها والحال هذه أن تؤثر في المحيط الإسلامي من حولها، وأن تتأثر به من ناحية أخرى، وذلك من خلال صلاتها الاقتصادية والإدارية والدينية. ولقد أتاحت حرية الانتقال وسهولته داخل ما يعرف آنئذ بدار الإسلام، أتاحت للأفكار والسلع أن تنتقل في سهولة ويسر على امتداد الرقعة الواسعة التي كان يحتلها المسلمون في المشرق والمغرب.

وللدارس أن يتساءل، وفي ضوء هذه النظم الإسلامية. هل كان لقيام الدويلات الإسلامية ، والذي يبدو من الناحية السياسية أنه سبب في تفكك الدولة، قد أدى بالضرورة إلى توقف العلاقات، ودفع بالتالي . المركز والأطراف . إلى البحث عن علاقات بديلة ؟. وهل كان بوسع تلك الدويلات

سواء في المغرب أو المشرق أن تتخلص من هيمنة المركز عليها ؟ وهل كان لتغير الدولة المركزية وحكامها أثر على تغير أو تبدل النظم والمؤسسات السائدة ، أم أنها بقيت واحدة ؟.

كانت بلاد المغرب العربي / الإسلامي . عموما . تفتقر إلى الهدوء والاستقرار السياسي منذ الفتح الإسلامي وحتى منتصف القرن الثاني الهجري. فقد شهدت البلاد ثورات وانتفاضات متوالية [7]، إلا أنه ومنذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري تبلورت المعالم السياسية للمغرب الإسلامي، وظهرت فيه كيانات متعددة في شكل دويلات وإمارات، شهدت المنطقة في ظلها . وإلى حد كبير . استقرارا سياسيا، انعكس على مناحي نشاطها الاقتصادي. ويهمنا منها هنا قيام إمارة بني مدرار الصفرية في سجلماسة (140هـ)، ثم الإمامة الأباضية التي أسسها الرستميون في تاهرت (161هـ)، وأخيرا ظهور الإمارة الأغلبية في القيروان (184هـ).

وقد تمتعت بلاد المغرب العربي بموقع جغرافي كان له أثره في تنوع مواردها، فبلاد المغرب العربي تتصل بأوسع منطقة تشرف علي الصحراء المتاخمة لها من ناحية الجنوب، وكان لذلك دوره في تطوير التجارة الصحراوية مع بلاد السودان، ولاسيما في سلعتين ثمينتين هما الذهب والرقيق. ومن ناحية أخرى تمتعت بلاد المغرب بواجهة بحرية واسعة على بحر الروم [8]، مما أكسب المغرب مكانة مرموقة في التجارة العالمية.

وهناك ميزات أخرى شهدتها المنطقة؛ فعلى الرغم من الاختلاف المذهبي بين دويلات المغرب، إلاّ أنها لم تعدم أوجها للشبه فيما بينها، فمن ذلك أن أصولها مشرقية فيما يخص مؤسسيها، أو أصول الأفكار والمذاهب التي قامت عليها. ثم إن سياسة هذه الدويلات . على ما بينها من تنافر سياسي ومذهبي . كانت تتسم في الغالب بالمهادنة والموادعة، حرصا على مصالحها، فلم تتوسع إحداها على حساب الأخرى، مما دعم أمنها واستقرارها السياسي. واستمر ذلك التعايش إلى نهاية القرن الثالث الهجري حيث وقعت المنطقة تحت النفوذ الشيعي الفاطمي.

وعمل أمراء المغرب على تشجيع التواصل بين أقاليمهم أولاً، ثم مع بلاد المشرق حيث مركز الخلافة ثانيا. وقد شكلت الأسر الحاكمة، ذات الأصول المشرقية، عامل جذب مؤثر للأتباع والأعوان، بحيث كان لهذه الأسر المشرقية دور متميز في تاريخ المغرب، فعملت على تقوية اللحمة، وساعدت على الربط بين بلاد المغرب وبلاد المشرق. فكانت القيروان وجهة العرب من بني تميم قبيلة بني الأغلب وأحلافهم في المشرق، بينما سارت جماعات من الفرس والعجم صوب تاهرت[9].

كان تيار الهجرة المتدفق من بلاد المشرق الإسلامي نحو المغرب قد لعب دورا فاعلا في نقل حضارة المشرق ومؤثراته وثقافته، ونشرها في بلاد المغرب. وظهرت تلك المؤثرات منذ بداية

الفتوحات، ومن ذلك أن بعض المغاربة أطلقوا على أبنائهم أسماء مشرقية [10]، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى انتشار الإسلام واللغة العربية وغلبة الثقافة العربية في بلاد المغرب. كما كان لتلك الهجرة – من ناحية أخرى . الفضل الأكبر في التواصل بين المركز والأطراف، وتخفيف حدة التوتر والقطيعة بين الطرفين، بل انه . وبمرور الزمن . عمل على تحقيق التلاحم والوحدة بين المشرق والمغرب ووحدتهما الحضارية، ومن ذلك رحيل بعض المغاربة إلى بلاد المشرق طلبا للعلم [11].

وعلى الرغم من استقلال دويلات المغرب العربي سياسيا عن الدولة العباسية، فإن مؤسسات هذه الدويلات كانت تشابه – والى حد كبير . مؤسسات المركز، وهذه بدورها كانت استمرارا وتطورا لمؤسسات الدولة العربية الإسلامية منذ تأسيسها [12]. ويمكننا القول هنا أن الدين الإسلامي من خلال الكتابات الفقهية عموما كان يهتم بمعالجة جوانب الحياة المختلفة، وينظم العلاقة بين فئات المجتمع.

وتأسيسا على ذلك، فإنه منذ ظهور المذاهب الإسلامية في العصر العباسي، وانتشارها في عامة الأقاليم الإسلامية، فإن التشريعات والنظم المختلفة في مركز الدولة (العراق) قد طبقت وعُمل بها في مختلف الدويلات المستقلة في الأطراف في غرب الدولة وشرقها، انطلاقا من أن الفقهاء في دويلات الأطراف هم تلامذة وأتباع لأئمة المذاهب المختلفة ومدارس التشريع بمدن العراق، وهي المدن التي احتضنت أشهر أئمة المذاهب الإسلامية، وأصبحت بذلك تمثل المرجعية لكافة الفقهاء والمشرعين في ديار الإسلام على اختلاف مذاهبهم، وعليه فإن الباحث يستطيع القول بأن النظم التي سادت مركز الدولة (في العراق) هي نفسها التي سادت في الأطراف، مع ملاحظة أن المؤسسات في الأطراف هي عبارة عن صورة تطابق أو تشابه إلى حد كبير تلك المؤسسات المركزية في عاصمة الخلافة.

وتأتي بعض الشواهد . على قلتها . لتؤكد وحدة النظم في ديار الإسلام وأن المركز هو البؤرة التي تلقي بشعاعها على الأطراف. ومن النصوص التي لها دلالتها وتؤيد ما نذهب إليه قول الخوارزمي في حديثه عن المكاييل في العراق: "هذا على ما يُستعمل بالعراق، وقد يختلف ذلك في سائر البلدان، إلا أن حسابه يدور على هذا، وإن اختلفت الأسماء ونقصت المقادير" [13].

والملاحظ أن التكامل الاقتصادي بين مشرق بلاد الإسلام ومغربها لم يكن يرتبط دوماً بوجود سلطة سياسية واحدة، بل إنه استمر حتى في غيابها، ومن ذلك اتصال جماعات من خوارج المغرب بأئمتهم في العراق على الرغم من اختلاف المذهب السياسي بين هؤلاء الخوارج والدولة العباسية،

وبناء على ذلك فإن سكان المغرب كانت لهم علاقات وثيقة مع بعض فئات المجتمع بالمشرق، وخاصة مع أئمة الخوارج في مدينة البصرة، ومع مؤسساتها المختلفة [14].

شهدت منطقة المغرب العربي عموما حركة من هذا النوع، فكان لها اتصال بأقاليم المشرق الإسلامي، وعلى رأسها العراق حيث حاضرة الدولة العباسية، وكان الاتصال يتم عبر المسالك البرية في حركة دائمة مستمرة قوامها التجار والحجاج وطلبة العلم. كما استقبلت مدن المغرب العلماء والفقهاء والتجار والحرفيين المشارقة، وأحسنت استقبالهم، ورحبت بالجاليات القادمة لتستفيد من نشاطها. بمعنى أن حركة تواصل مستمر كانت قائمة بين أقطار العالم الإسلامي، في مشرقه، وفي مغربه، ولم يكن لقيام دويلات مستقلّة أو شبه مستقلة أثر في اندماج رعايا الدولة الإسلامية، وحرية تنقلهم وإقامتهم أينما أرادوا على امتداد رقعة ديار الإسلام.

وسنتناول فيما يلي علاقات دولة بني العباس بكل من: إمارة بني مدرار في سجلماسة، وإمامة بني رستم في تاهرت، وإمارة الأغالبة في القيروان. لنرى مدى التواصل بين منطقة المشرق (مركز الدولة العباسية) وتلك الدويلات. وإلى أي مدىً تأثرت هذه الدويلات بنظم المركز؟ وهل كان للاستقلال السياسي تأثير سلبي على التكامل بين هذه الأطراف ومركز الدولة ؟.

المبحث الثاني: بنو مدرار في سجلماسة:

ارتبطت سجلماسة مع بلاد المشرق الإسلامي عبر الطريق البري الطويل الذي يبدأ من البصرة و بغداد متجها إلى بلاد المغرب العربي، عبر الشّام فالفسطاط والإسكندرية ثم إلى برقة ومنها إلى أراضي بني رستم ثم الى سجلماسة [15].

سلكت القوافل هذا الطريق، وانتقل عبره المشارقه الى عواصم المغرب، ومنها إلى سجلماسة التي سكنتها جالية من أهل العراق، وأ صبحت مقراً لأعداد من البغداديين والبصريين والكوفيين.

إن حرية التنقل والاستقرار التي كان يحظى بها المسلم في ديار الإسلام شرقها وغربها تدل على غياب الحدود والعوائق، إضافة إلى عدم شعور المسلم بالغربة أينما حل، فاللغة واحدة، والدين واحد، والاندماج في الجماعة الجديدة سهل ميسر، وعليه فليس مستغربا أن يصف أحد المصادر سكان كثير من مدن المغرب وغيرها بأنهم أخلاط [16].

نستطيع القول بأن جماعات من شرق بلاد الإسلام وغربها كانت تتنقل في حركة دائبة عبر الطريق الطويل الرابط بين أقاليم المشرق والمغرب. ويشير أحد المصادر بأن القوافل التجارية كانت تسير من المشرق إلى المغرب، وتعود من هناك ببعض منتجات المغرب، وسلع السودان والأندلس في صحبة أهل سجلماسة [17].

وهناك بعض الإشارات النادرة في المصادر تدل على وجود تأثيرات مشرقية في سجلماسة، ففي وصف ابن حوقل لنمط المدينة المعماري يفيدنا بأن: "أبنيتها كأبنية الكوفة، إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيّدة عالية" [18] ما يفيدنا بوجود مؤثرات مشرقية. ولعل ذلك يرجع إلى تأثير أهل الكوفة المقيمين بالمدينة، وأنهم ابتنوا دورهم وقصورهم على طراز مدينتهم في المشرق، ومن ثم قلدهم بعض أهل سجلماسة، حتى أصبح الطراز الكوفي ظاهرا في عمارتها. ومع تسليمنا بما للكوفيين من أثر في تلك العمارة، فإن هذا يقودنا إلى القول بأن ذلك لن يتأتى لهم إلا إذا كان تواجدهم في المدينة مؤثرا مكنهم من بسط نمط عمارتهم. وليس لدينا شك بأن تأثيرهم قد تعدى الجانب العمراني إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. ويرجح أنّ تجار العراق المقيمين بالمدينة قد نقلوا معهم بعض الأنظمة المالية الموجودة في مدن العراق التجارية، كالتعامل بموجب الصكوك والسفاتج. وقد رأى الرحالة ابن حوقل[19] نماذج من هذه الصكوك تخص أحد أهل سجلماسة مقيد بها مبلغ مالي كبير موقع عليه من شهود عدول. كما أورد القلقشندي رواية مشابهة لذلك [20].

لم يقتصر الاتصال بالمشرق علي تبادل السلع وحسب، وإنما تعدى ذلك إلى طلب العلم والتفقه في الدين، لا سيما ونحن نعلم أن إمارة بني مدرار قامت بتوجيه ومؤازرة رجال من المشرق وخاصة من البصرة، ومثّل هؤلاء القدوة لحكام سجلماسة، فكانوا يستشيرونهم ويتصلون بهم كلما دعت الحاجة لذلك. كما كان المغاربة يرحلون إلى مدن العراق للاتصال بشيوخها طلبا للعلم، وفي بعض الأحيان يلتقون بهم في مواسم الحج. وممن كانت لهم رحلة علمية الى المشرق عام (201 هـ) صاحب القلعة المنادية بالقرب من سجلماسة وهو أحد علماء المنطقة [21].

ويلوح لنا أن بعض النظم والتقاليد التي سادت مؤسسات مركز الدولة في بغداد قد انتقلت إلى الأطراف، وحتى مع سكوت المصادر عن ذلك وعدم التحدث حوله إلا فيما ندر، فللباحث أن يستشف شيئا من ذلك، فنظام الوراثة في الحكم الذي كان متبعا في المركز قد طبق في دويلات المغرب ومنها سجلماسة، حيث توارث بنو واسول من مكناسة الحكم هناك، رغم أن مذهبهم الديني لا يقر ذلك، بل واتخذ بعض أمرائهم ألقابا خلافية كالمنتصر والمعتز والشاكر مما هو سائد عند العباسيين.

وهكذا لم ينجح الخوارج بعد وصولهم إلى السلطة . كغيرهم من الفرق الإسلامية على اختلاف مبادئها . في تطبيق مبدأ الشورى الذي نادى به أئمتهم، وحاربوا من أجله طويلا، وقاموا في سبيله بثورات دامية طيلة العصرين الأموي والعباسي. وسرعان ما تحول نظام الحكم في دويلة بني واسول المكناسيين في سجلماسة، وبالمثل في دويلة بني رستم في تاهرت من إمامة تعتمد مبدأ الشورى إلى ملك وراثي.

لم تتحدث المصادر عن اتخاذ أمراء بني مدرار للوزراء والكتاب كما كان معروفا في المشرق[22]، كما لم يرد ذكر للدواوين، أو نظام الحسبة ضمن المصادر المتوفرة. لكننا نستطيع القول بأن هذه النظم، وخاصة نظام الحسبة الذي كان معروفا في الأندلس، وفي تاهرت والقيروان . كما سنرى فيما بعد . يُرجّحُ أن يكون معروفا ومطبقا في سجلماسة، حتى وإن لم تتحدث عنه المصادر التي وصلتنا.

ومن النتف النادرة التي وردت في بعض المصادر يمكننا القول بأن بعض المكاييل المستعملة بالمشرق كانت معروفة بشكل أو بآخر في سجلماسة، حيث ورد ذكر المد * كمكيال من مكاييل المدينة [23].

وحتى مع تسليمنا بوجود خلاف سياسي بين دولة الخلافة وإمامة بني مدرار، فلا يستبعد أنهم كانوا يحرصون على مداراة دولة الخلافة التي كانت دولة العالم الأولى آنذاك، خاصة وأن تلك المداراة لا تؤثر على استقلالهم السياسي، في الوقت الذي تتيح لهم التنقل بحرية بين أقاليم الدولة العباسية، لتحقيق المكاسب المادية بالاتجار معها. وفي ذات الوقت فإن الدولة العباسية كانت ولاشك تجني هي الأخرى فوائد اقتصادية من وراء تلك الاتصالات.

هذا وقد كان يعاصر إمارة بني مدرار، إمارة خارجية أخرى على حدودها الشرقية في دواخل المغرب الأوسط هي إمارة بني رستم في تاهرت، وسنسلط الضوء على نظمها وعلاقاتها مع مركز الدولة العباسية في العراق.

المبحث الثالث: بنو رستم في تاهرت:

بعد نجاح الصّفرية والأباضية في تأسيس إمارات مستقلّة في سجلماسة وتاهرت، لم تنقطع صلات بلاد المغرب بالمشرق الإسلامي، حيث كانت القوافل تنطلق من المشرق ومدنه الشهيرة مثل: البصرة وبغداد ودمشق والفسطاط إلى المغرب الأدنى فالأوسط حيث إمارة بني رستم [24].

تشير المصادر أن إمارة تاهرت كانت تحظى منذ تأسيسها بدعم أباضيي البصرة مادياً وروحياً. فوصلت إليها أحمال المال من هناك وجاءتهم البعوث من البصرة لحل مشكلاتهم، وإصلاح ذات بينهم، وأفتوهم فيما أشكل عليهم من أمور المذهب [25].

وإذا تتبعنا علاقات بني رستم مع المشرق يتبين لنا مدى قوة هذه العلاقات وعمقها منذ قيام إمارتهم، ويحدثنا أحد المصادر المعاصرة عن أموال كثيرة وصلت إلى عبد الرحمن بن رستم من أباضييّ البصرة، وتم إنفاقها في إرساء دعائم الإمارة الناشئة فاستصلحوا بها الأرضين واهتموا

بمنشآت ومشاريع الري والعمران داخل تاهرت [26]. وتعد البصرة قبلة الرستميين في طلب العلم، وقد ذكر أن عبد الوهاب بن رستم بعث الى بعض إخوانه في البصرة ألف دينار ليشتروا له بها كتبا ويرسلوها إليه في تاهرت [27].

كان التواصل مستمرا بين المركز والأطراف سواء في ظل دولة واحدة أو مع وجود دويلات متعددة، فقد شجّع أئمة تاهرت دوام الاتصال مع بعض الفئات في العراق، وبالتحديد مع علماء البصرة وتجارها. ومن ذلك أن بعض علماء من المشرق قدموا لزيارة تاهرت وجبل نفوسة أيام الإمام عبد الوهاب [28].

وتأثر علماء جبل نفوسة بالمشرق، وهاجر عدد كثير منهم إلى البصرة خاصة ومدن المشرق عامة، وعادوا بعد تزودهم بالعلم والمعرفة لنشرها في أرجاء الجبل [29]. وأصبحت الرحلة لطلب العلم في المشرق تقليداً متبعاً عند المغاربة، وهي إلى ذلك تزيد في قدر العالم، حتى قيل (عالم ليس له رحلة) ويعنون بذلك إلى المشرق. ويشير مصدر معاصر إلى أحد العلماء الأباضيين فيقول عنه: "وكان له فقه بارع وله رحلة إلى المشرق"[30].

ويشير أحد المصادر إلى أن قبائل وأماكن بالمغرب وخاصة بجبل نفوسة تسمى بأسماء أماكن في المشرق [31]. ومما زاد في عمق علاقات بلاد المغرب مع المشرق تعود المغاربة الذهاب إلى الحج بصورة جماعية، وقد كان أهل جبل نفوسة أكثر الناس حجا في ذلك الزمان، وتشير إحدى الروايات إلى أنه ولد لهم في ركب ثلاثمائة مولود ذكر، بخلاف من لم يولد له ذكر ومن لم يولد له أصلا ومن لم يكن معه نساء [32]. ولا شك أن جماعات الحجيج هذه كانت لها اهتمامات تجارية وعلمية و سياسية، ينجزونها مع مناصريهم من أهل العراق أثناء الموسم.

أمام هذه الحركة الدّائبة، وحرّية الانتقال، أصبحت تاهرت تعج بالأجناس، وسكنها أخلاط مختلفة من الناس، من بلاد المشرق و مصر وإفريقية والمغرب، حتى أنها سُمِّيت "عراق المغرب" [33]، لكثرة أصحاب المذاهب والنحل وما ترتب على اجتماعهم من صخب وجدل [34].

ويذكر مصدر معاصر أنَّ جالية عراقية كبيرة استقرت في تاهرت، وابتنت الحوانيت والمنازل والقصور والمساجد التي نسبت إليهم [35].

وظهر تأثر الإمامة الرستمية بدار الخلافة في مؤسسات وتقاليد الحكم والإدارة. واتضح ذلك عندما استعان الإمام أبو بكر (258 . ـ هـ) بأخيه أبي اليقظان محمد * "فصرف إليه بالنظر في المدينة (تاهرت) وأحوازها مع ما ظهر له من الكفاية مع أدب المشرق والآخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم" [36]. وكان لأبي اليقظان خبرة بنظم بني العباس الإدارية والعسكرية اكتسبها في أثناء إقامته بالعراق. ومن تلك التقاليد ما كان يجري من الأرزاق يوميا على الأعيان

والوجهاء من ديوان الخلافة. ونظم الجيش المتمثلة في ترتيب النقباء قي طبقات متوالية، بحيث يرأس كل نقيب عشرة من رجال الطبقة التي تليه، حتى انه كان بمقدور القادة العشرة الكبار جمع عشرة آلاف فارس خلال يوم واحد، وقد عاين أبو اليقظان ذلك بنفسه عند إقامته ببغداد [37].

ولما آلت الإمامة إلى أبي اليقظان، أصبح بلاطه ذا نزعة مشرقية / عباسية مما لم تعرفه تاهرت من قبل، ويعود ذلك إلى تأثره بنظم وتقاليد الخلافة العباسية أثناء مقامه في بغداد. فمن ذلك أن كتّاب الأباضية أحاطوه بهالة من الإجلال مما لم يتمتع به غيره [38]، ومنها أن أبا اليقظان هو الذي كلف نفرا من قبيلة نفوسة بممارسة الحسبة في الأسواق [39].

ويصف ابن الصغير مراسم الصلح الذي عقد بين الإمام أبي اليقظان وأهل تاهرت . بعد الحرب التي نشبت بين الأطراف المتنازعة بها . وقد تم ذلك الصلح داخل السرادق العظيم الذي نصبه أبو اليقظان بظاهر تاهرت في مكان مشرف على المدينة يسمى (قلعة نفوسة) وهو أول سرادق مضروب يراه أهل المدينة، ولم يكن معروفا عندهم ، ذلك أن أبا اليقظان قدم به من بغداد، وإنما كانوا قبل ذلك يجتمعون في خيام وقباب ومضارب أعدوها لمناسباتهم [40]. وتشبه أمراء تاهرت (خلفاء عبد الرحمن) بخلفاء بني العباس في المشرق، فمن ذلك أنهم شرعوا في بناء القصور، وامتلاك الضياع الواسعة والحصون بضواحي عاصمتهم تاهرت، واتخذوا العبيد والخدم والحشم، واقتنوا الخيول الفارهة. وأصبح لهم ولع بحياة الترف، وظهر لديهم ولع بالفنون والآداب [41].

ومن ناحية أخرى مارس الرستميون عادات وتقاليد عباسية مشرقية، فأقاموا الأسمطة والجفان، وقدموا الأطعمة للفقراء والمحتاجين وخاصة في الأعياد والمناسبات العامة [42].

وأضحت تاهرت قبلة الوفود من شتى أنحاء الإمارة، ودعيت الوفود لحضور الاحتفالات، واستقبلت (دار الضيافة) عمال الإمام وشيوخ القبائل المتنفذين، وأجريت على الجميع الهبات والأرزاق، وأتحفهم الإمام بالهدايا وخصهم بالطرف [43].

وفيما يخص النظم الإدارية ومؤسساتها فنحن لا نعلم أن الرستميين قد اتخذوا وزراء أو كتابا، لكن إشارة وردت عند أبي زكرياء [44] وهي قوله: ".. الإمام [يعني عبد الوهاب] ووزيره مزور بن عمران" قد تدلنا على أن الرستميين اتخذوا وزراء لمساعدتهم في تصريف أمور دويلتهم. ولا يغيب عن بالنا أن أئمة تاهرت كانت جذورهم الأولى مشرقية، فمن غير المستغرب أن تكون إمارة تاهرت قد عرفت هذا المنصب. وقد بلغ من تأثير الخلافة في بغداد على حكام تاهرت أنهم اختاروا لأنفسهم لقب (الإمام) وهو لقب اختص به العباسيون في حاضرة الخلافة [45].

ويلخص لنا ابن الصغير[46] في أحد نصوصه القيمة نظام الإمامة الإداري والمالي زمن عبد الرحمن بن رستم . وقد تغير ذلك في عهد خلفائه .، ونستطيع من خلال هذا النص أن نقول بأن أهم الوظائف الإدارية بتاهرت كانت تتمثل في القضاة وأصحاب الشرطة وحاشية الأمير وعمال الصدقات وجباة المال العام. وأن أغلب موارد بيت المال كانت من الزكاة والعشور، ومن الجزية وخراج الأرضين. لكن ابن الصغير في نصه هذا لا يعطينا تفصيلات عن مقدار العشور وأنواعها ولا عن قيمة الخراج ولاعن الجزية وممن تؤخذ وما مقدارها. وهي معلومات في غاية الأهمية للوقوف على نظم الإمارة ومدى تطابقها أو اختلافها مع نظم دولة المركز في المشرق.

لكننا ومع سكوت المصادر نستطيع القول بأنها لا تختلف كثيرا عما هو معروف في المشرق، سيما وأن ذلك محكوم بنصوص فقهية. أما عن طرائق إنفاق تلك الأموال الواردة إلى بيت المال، فهي تتصف بالبساطة وتخلو من التعقيد، وهي قريبة الشبه إلى حد كبير بما عرف في زمن الخلفاء الراشدين الأوئل، فبعد أن ينال العمال والموظفون أرزاقهم، فإن بقية الأموال توزع بحيث يصل إلى كل بيت نصيب منها بصورة عينية، فكان يصل إلى الفقراء ما يحتاجونه من مطعم وكساء.

وبعد، فقد تناولنا علاقات دولة بني العباس بإمارتي بني مدرار وبني رستم اللتين تميزتا ببعض الخصوصية، الأمر الذي جعل المؤرخين ينعتون تلك العلاقات بأنها كانت عدائية. فإننا سنختم بدولة كانت علاقاتها حسنة مع العباسيين، تأتمر بأمرهم، وتحرص على كسب رضاهم. تلك هي إمارة بني الأغلب في القيروان.

المبحث الرابع: بنو الأغلب في القيروان:

تمثل القيروان نقطة لقاء بين المغرب والمشرق. وقد كانت علاقات القيروان بالمشرق الإسلامي علاقات ودية ومتينة، حيث حرص الأغالبة منذ تقلدهم أمر أفريقية على إظهار ولائهم للعباسيين في بغداد، ففي سنة (185هـ) أسس إبراهيم بن الأغلب (184 . 197 هـ) مدينة العباسية على بعد أميال من القيروان [47]. ويعتبر بناء المدن والقصور لإقامة الأسر الحاكمة خارج العاصمة تقليدا عربيا معروفا عند الأمويين والعباسيين في المشرق. وجاء اسم المدينة الجديدة دليلا على مدى ولاء الأغالبة للعباسيين [48].

واتخذ الأغالبة السواد . شعار بني العباس . شعارا لدولتهم، وأخلصوا له [49]، وطبعوا أسماءهم على السكة مجردة من لقب الأمير، ودعوا للخليفة في بغداد من على منابرهم [50]. وبالمقابل كانت الخلافة في بغداد تقوم بدعم الأغالبة ماديا ومعنويا، فعندما ثار عمران بن مجالد على إبراهيم الأول، قدمت الخلافة العباسية دعما ماليا هاما للأمير الأغلبي مكنه من كسب ولاء الجند

وتثبيت سلطته [51]. وعندما تعرضت أفريقية عام (245 هـ) لزلزال ألحق أضرارا بالقرى والحصون والقناطر والدور، أمر الخليفة المتوكل بتوزيع ثلاثة آلاف ألف درهم على المنكوبين [52].

وفي إطار توثيق العلاقات بين الطرفين قامت مصاهرة بين بلاط الأغالبة وأحد الأمراء العباسيين . وهو تقليد متبع في ذلك العصر بين كثير من الأسر الحاكمة . حيث قام الأمير إبراهيم الثاني (261 . 290 هـ) بتزويج ابنة أخيه لعبد الوهاب ابن الخليفة المهتدي "255 . 256 هـ" [53].

وكما اتخذ خلفاء بني العباس حرسا من الترك والسودان، فإن الأغالبة اتخذوا الحرس الأسود واعتمدوا عليه [54].

وتشبه أمراء الأغالبة بالبلاط العباسي في كثير من مؤسساتهم العامة ، ففي الجانب الثقافي والعلمي اهتم الأغالبة بإقامة المكتبات، فأنشأ أبو إسحاق إبراهيم الثاني (261 . 290 هـ) مكتبة "بيت الحكمة"، وكانت تشابه المؤسسة التي تحمل نفس الاسم في بغداد، مع مراعاة الفارق بين الخلافة والإمارة ، ويغلب على الظن أن بيت الحكمة في إفريقية كان على غرار بيت بغداد في وصفه وتقاليده ونظمه [55]. وكان إبراهيم الثاني يرسل سفارة إلى بغداد كل عام لتجديد ولائه للخلافة ، وتولت البعثة . إلى جانب مهمتها . اقتناء كل جديد من علوم بغداد مما لا نظير له في المغرب. كما كان رئيس البعثة يحمل الأموال الوافرة لاصطحاب العلماء معه من العراق ومصر عند عودته بعد أن يتفق معهم، ويستجلب معه أيضا نسخا من الكتب النفيسة لإيداعها في بيت الحكمة في القيروان [56].

وكان "صاحب بيت الحكمة" على رأس موظفي البيت. وممن تولى هذا المنصب العلمي (أبو اليسر إبراهيم الشيباني) المشهور بالرياضي، وكان متوليا لبيت الحكمة في القيروان أيام زيادة الله بن عبد الله (290 . 296 هـ) آخر أمراء الأغالبة [57].

واستدعى أمراء الأغالبة أطباء عراقيين إلى القيروان، ومنهم الطبيب البغدادي إسحاق بن عمران، الذي قدم إلى إفريقية عام (264 هـ) وأصبح من حاشية الأمير [58].

وفيما يخص النظام الإداري لإمارة بني الأغلب، فإن لمؤسساتهم الإدارية المشرفة على شؤون الدولة شبه بمؤسسات الخلافة في بغداد، بحيث أصبح بلاط الأغالبة صورة مصغرة لبلاط خلفاء بني العباس؛ وقد عرف الأغالبة نظام الوزارة[59] واختاروا وزراءهم من بين أفراد الأسرة أو من العناصر الموالية، وكانت وظيفة الحاجب من الوظائف المهمة في بلاط بني الأغلب، وتمتع بعض الحجاب بمواهب عسكرية فتولوا قيادة الجيوش، ومن أشهرهم أحمد بن محمد بن قرهب حاجب الأمير إبراهيم بن أحمد (261 . 290 هـ)[60]. وهناك إشارات إلى بعض الدواوين المماثلة

لتلك التي في بغداد كديوان البريد، وكان يسند إلى رجال الدولة البارزين لأهميته عندهم ، ومن ذلك أن ابن الصايغ كان يجمع بين الوزارة والبريد زمن الأمير زيادة الله الثالث "290 . 296 هـ"[61]، ومن الدواوين التي حظيت باهتمام الأغالبة ديوان الخراج فقلدوه لذوي الكفاية والثقة من رجالهم[62].

ومن النظم التي أخذها أهل المغرب عن مركز الدّولة العربية الأسلامية في المشرق (نظام الحسبة). لقد كانت وظيفة الحسبة واحدة في المدن الإسلامية، فتشابهت مهماتها وإن اختلفت مسميات أصحابها والقائمين عليها، فمتولي الحسبة في المشرق الإسلامي هو (المحتسب)، بينما يطلق عليه في بلاد المغرب (المشرف على السوق)، وعرفت تاهرت والقيروان نظام الحسبة، وكان الاهتمام به ظاهرا في أسواق الإمارتين، غير أنه في الوقت الذي مارس فيه أئمة الرستميين الحسبة بأنفسهم، أوكلها أمراء الأغالبة إلى قضاة مشهورين مثل (الإمام سحنون) .

ومما قام به سحنون في ذلك تصديه لعلماء الصفرية والأباضية والمعتزلة، ممن يعقدون حلقات للمناظرة والعلم بمسجد القيروان، وقام بتفريقهم، اعتقاداً منه بأن ذلك يدخل في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل ذهب إلى أبعد من ذلك فاعتبر أصحاب هذه المذاهب أهل بدع وزيغ، فمنعهم من تعليم الناشئة، أو إمامة المساجد، وأنزل العقاب بمن يخالف أمره، ودعاهم إلى التوبة مما كانوا يعتقدونه، وحملهم على إعلان توبتهم على منبر المسجد * [63].

---

* إن ما فعله سحنون يشبه إلى حد ما ما قام به رؤوس المعتزلة في بغداد عندما حاولوا حمل الناس على اعتناق آرائهم، وامتحنوا علماء الفرق المخالفين لهم. غير أن المعتزلة نجحوا في كسب بعض الخلفاء العباسيين إلى جانبهم فاعتنقوا مبادئهم، واستغلوا ذلك في التنكيل بخصومهم. لكننا لم نجد دليلا على تأييد أمراء بني الأغلب لسحنون وإجبار العلماء على اعتناق مبادئه، غير أنهم في الوقت ذاته لم ينكروا عليه تصرفه هذا. ونود أن نشير هنا إلى ما كان يحدث في تاهرت، حيث كانت تجري مناظرات بين مختلف الفرق دون تدخل من السلطة الحاكمة لمصلحة أنصار المذهب السائد بها، لمعاقبة أو طرد علماء الفرق الأخرى. ويشير ابن الصغير المالكي إلى محتسبي نفوسة في تاهرت بأنهم كانوا "لا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم، ولا يكشفون عن حاله ولو رأوه رافعا يديه" تاريخ الدولة الرستمية، ص 32. وذلك ما جعل تاهرت موطنا لأجناس التجار والصناع والعلماء من مختلف الأصقاع الإسلامية.

الهوامش:

[1] السيوطي، جلال الدين،تاريخ الخلفاء، دار المعرفة، بيروت، ط 4، 1999،ص 228.

[2] سالم، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ج3، (د.ت)، ص 4 هامش 3.

[3] سالم، عبد العزيز، المرجع سابق، ص181،192.

[4] المرجع نفسه، ص 186،187.

[5] سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، دار النّهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص 583،589.

[6] انظر شلق، الفضل، الحسبة: دراسة في شرعية المجتمع والدولة، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العدد الثاني، شتاء 1989، ص 32 هـ 2، و ص 33 هـ 2.

[7] انظر البلاذري، أحمد، فتوح البلدان، باعتناء عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987. ص 326 ،327. ـ المراكشي، ابن عذاري، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان و إ . ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، ط 3، 1983، ج 1 / ص 52. ـ ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت،1971، ج 6 / ص ص 105، 111، 113، 119. ـ ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة ، (د . ت)، ج 2 / ص 20.

[8] بخصوص الواجهتين الصحراوية والبحرية اللتين تشرف عليهما منطقة المغرب العربي يشير ابن خلدون إلى أن موطن البربر "ما بين البحر الرومي وبلاد السودان" ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6 / ص 106.

[9] ابن الصغير، المالكي، تاريخ الدولة الرستمية بتاهرت، إعادة طبعة مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر 1905، ص 18.

[10] ويقول اليعقوبي أن: "في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان". اليعوبي، أحمد، البلدان، طبعة ليدن، 1892 البلدان، 248. وانظر دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، كتاب الشعب، القاهرة، د.ت. مجلد 6 / ص 161، مادة تاهرت.

[11] أبوصوة، محمود أحمد، مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996، ص 138.

[12] يشير أحد المصادر إلى بعض أنصار المذاهب بالمغرب الأقصى ممن قصدوا المشرق في رحلات دراسية بغرض الإلمام بقضايا الدعوات التي ينتسبون إليها، والتفقه في المذاهب الدينية التي اعتنقوها، ومن أولئك مثلاً: يونس القائم بدين برغواطه الذي "رحل إلى المشرق عام 201 هـ مع عباس بن ناصح، وزيد بن سنان الزناتي صاحب الواصلية، وبرغوث بن سعيد التراري، وجد بني عبد الرزاق، ويعرفون ببني وكيل الصفرية، ومناد صاحب القلعة المنادية القريبة من سجلماسة ". ابن عذارى، البيان،1/ 125.

[13] أبو صوة، المرجع السابق، ص 138.

[14] الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، باعتناء نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993، ص 115.

[15] قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتّاب، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، ليدن، (د.ت)، ص 227 – 229.

[16] اليعقوبي، البلدان، ص 359.

[17] ابن حوقل، أبوالقاسم، صورة الأرض، طبعة ليدن، 1927، ص 61.

[18] المصدر نفسه، ص 91.

[19] نفسه، ص 99.

[20] القلقشندي، أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، القاهرة، (د . ت). 5 / 164.

[21] ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1 / ص 215.

[22] هوبكنز، ج، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980، ص 40.

[*] "ومد سجلماسة اثنا عشر قنفلا [وهو مكيال محلي فيما يبدو] والقنفل ثماني زلافات، والزلافة ثمانية أمداد بمد النبي" البكري، أبوعبيد، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق دو سلان، الجزائر، 1857، ص 151.

[23] البكري، المصدر السابق، ص 148.

[24] قدامة، المصدر السابق، ص 227 – 229.

[25] أبو زكرياء، يحي، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1982، ص 89 . 92.

[26] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 6.

[27] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 99 ، 100.

[28] الشماخي، أحمد بن سعيد، كتاب السِّير، نشره سليمان بن مسعود النفوسي، قسنطينة، الجزائر، (د . ت)، ص165. . أبو صوة، المرجع السابق، ص 250.

[29] دبوز، محمد، تاريخ المغرب الكبير، دار الفكر، بيروت، ج 3، ص386.

[30] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 37.

[31] النفوسي، المصدر السابق، ص 88.

[32] الدرجيني، المصدر السابق، ص 94.

[33] اليعقوبي، البلدان، ص 353.

[34] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 34– 45.

[35] المصدر نفسه، ص 6 . 7.

[*] "كان أبو اليقظان ولي عهد أبيه الإمام أفلح قد توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج، أو ربما للتفقه على أيدي شيوخ المذهب في المشرق، وأبلغ رسل بني العباس المصاحبين للقافلة سلطات الخلافة العباسية أن أبا اليقظان ربما جاء لبث الدعوة في المشرق، فألقى القبض عليه وحمل إلى دار السلام حيث أودع السجن هناك، وأجري عليه العطاء إلى حين عودته الى تاهرت بعد وفاة أبيه الإمام أفلح وكانت الإمامة قد آلت إلى أخيه أبي بكر". ابن الصغير، المصدر السابق، 19، 20.

[36] نفسه، ص 23.

[37] نفسه، ص 20 ، 21. – عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي الكبير، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1978، ج 1، صص 356 ،357.

(38) عبد الحميد، المرجع نفسه، ج 1 / ص 364.

(39) ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31 ، 32.

(40) المصدر نفسه، ص 31 . 35 . . زغلول، المرجع السابق، صص 364 ، 365 .

(41) ابن الصغير، المصدر السابق، ص 25، 38، 41. . النفوسي، المصدر السابق، ص250-269.

(42) ابن الصغير، مصدر السابق، ص 18.

(43) المصدر نفسه، ص 10، 36. . النفوسي، المصدر السابق، ص 121، 245.

(44) سِيَر الأئمة وأخبارهم، ص 125.

(45) هوبكنز، المرجع السابق، ص 40.

(46) ابن الصغير، مصدر سابق، ص 9.

(47) اليعقوبي، البلدان، ص 348 . . ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1 / ص 117.

(48) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979، ج 6 / ص 156. . ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4 / ص 196.

(49) الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية "184 . 296 هـ" ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1985، ص367.

(50) الشابي، محمد، الأغالبة ونظامهم الإداري والسياسي، الدار التونسية للنشر، ط1 ، 1970، ص 18.

(51) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6 / ص ص 56، 57. - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4 / ص 196.

(52) ابن الأثير، المصدر السابق ، ج 7 / ص 87.

(53) الطالبي، المرجع السابق، ص 369.

(54) ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1 / ص 123.

[55] عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية، مكتبة المنار تونس، 1965 ، 1966، 1973، القسم الأول، ص 194.

[56] المرجع نفسه، ص 196.

[57] المقري، أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر بيروت، (د . ت)، ج 3 / ص 143.

[58] عبد الوهاب، ورقات، القسم الأول، ص 234 .

[59] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6 / ص 331. . ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1 / ص ص 136،137.

[60] النويري، أحمد، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وهو جزء من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 276، 277.

[61] ابن عذاري، المصدر السابق، 1 / 136.

[62] المصدر نفسه والصفحة.

[63] عياض، القاضي أبو الفضل، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968، ص 104. . الدباغ، عبد الرحمن، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، باعتناء محمد الأحمدي أبوالنور ومحمد ماضور، مكتبة الخانجي بمصر و المكتبة العتيقة بتونس، (د . ت). ج 2 / ص ص 87، 88.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979.

(2)البكري، أبوعبيد، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق دو سلان، الجزائر، 1857.

(3)البلاذري، أحمد، فتوح البلدان، باعتناء عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987.

(4)ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة ، (د . ت).

(5) ابن حوقل، أبوالقاسم، صورة الأرض، طبعة ليدن، 1927.

(6)ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971.

(7)الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، باعتناء نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993.

(8)الدباغ، عبد الرحمن، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، باعتناء محمد الأحمدي أبوالنور ومحمد ماضور، مكتبة الخانجي بمصر و المكتبة العتيقة بتونس، (د . ت).

(9) أبو زكرياء، يحي، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1982.

(10)السيوطي، جلال الدين،تاريخ الخلفاء، دار المعرفة، بيروت،ط4، 1999.

(11)الشماخي، أحمد بن سعيد، كتاب السِّير، نشره سليمان بن مسعود النفوسي، قسنطينة، الجزائر، (د . ت).

(12)ابن الصغير، المالكي، تاريخ الدولة الرستمية بتاهرت، إعادة طبعة مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر 1905.

(13)عياض، القاضي أبو الفضل، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968.

(14)قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتّاب، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، ليدن، (د . ت).

(15)القلقشندي، أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، القاهرة، (د . ت).

(16) المراكشي، ابن عذاري، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، ط 3، 1983.

(17) المقري، أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر بيروت، (د . ت).

(18) النويري، أحمد، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وهو جزء من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

ثانياً: المراجع:

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، كتاب الشعب، القاهرة، د.ت. مجلد 6.

(2) دبوز، محمد، تاريخ المغرب الكبير، دار الفكر، بيروت.

(3) سالم، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، (د.ت).

(4) سالم، عبد العزيز، المغرب الكبير، دار النّهضة العربية، بيروت، 1981.

(5) الشابي، محمد، الأغالبة ونظامهم الإداري والسياسي، الدار التونسية للنشر، ط1، 1970.

(6) شلق، الفضل، الحسبة: دراسة في شرعية المجتمع والدولة، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العدد الثاني، شتاء 1989.

(7) أبوصوة، محمود أحمد، مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي و الاقتصادي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996.

(8) الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية "184 . 296 هـ" ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1985.

(9) عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي الكبير، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1978.

(10) عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية، مكتبة المنار تونس، 1965 ، 1966، 1973.

(11) هوبكنز، ج، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980.

المنهج الأركوني في الفكر الاستشراقي

د. مصطفى على خليفة المزلوط

عضو هيئة التدريس بقسم الفلسفة بكلية التربية يفرن

ملخص الدراسة:

إن المعرفة الاستشراقية ذاتها تحولت لدى الكثير من الباحثين العرب إلى منهجية بحث والمفكر الجزائري محمد أركون صاحب رؤية فلسفية في هذا الجانب فدرس الاستشراق دراسة موضوعية ويقصد بذلك تطبيق المناهج والاختصاصات العلمية وإدخال عامل النقد على كافة التراث من أجل معالجة محتواه.

المقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة محمد أركون من خلال أعماله حول التراث العربي الإسلامي ،هذا المفكر الذي يتميز بثرائه المعرفي و تفكيك الخطابات الذي يعد الإستشراق واحد منها . فالخطاب الاستشراقي هو خطاب غربي يطبق منهجية النقد على التراث ، فاركون يرى هناك تجاهل في واقع الأمر من المستشرقين في ما توصلت إليه العلوم الإنسانية و الاجتماعية وعدم الثقة بها في فهم التراث ، إذ لا يمكن خلخلة البنية الفكرية التقليدية إلا إذا تما مراعاة النقد المنهجي ، إذ كل علم أنساني يضيء جانبا من التراث وبالتالي هذه العلوم لها أهميتها القصوى باعتبارها علوما تمارس النقد ألتفكيكي . فيشخص واقع حياته مع الاستشراق كما تميز بقدرته على تفكيك الخطابات المتعلقة بالإسلام سواء في صورتها التقليدية أم الحديثة فدرس الإستشراق دراسة موضوعية متجاوزا النقد التقليدي في هذا الجانب ، ويقصد بذلك ترجمة

- الهوامش موجوده نهاية الدراسة

الأعمال المخصصة للدراسات الإسلامية الذي ينتجها المستشرقون فهو يدعو إلى مناقشتها على أساس علمي لا عقائدي لأنه نظر إليها على أساس أنها خطاب غربي يطبق فيه منهجية النقد على معالجة التراث في محتواه .

أولا : أهمية الدراسة:

مما تجدر الاشارة إليه ان هذه الدراسة سوف تساهم مساهمة فعالة في معرفة المنهجيات الذي كان يستخدمها أركون في دراساته، كما أنها ستكشف عن الأسباب التي دفعة أركون إلى طرق مثل هذا النوع من الموضوعات.

ثانيا : اشكالية الدراسة:

1- موقف أركون من ترجمة أعمال المستشرقون.

2- كيف نظر أركون إلى المنهج في الفكر الإستشراقي.

ثالثة : منهجية الدراسة:

اقتظت هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي، استجابة للجوانب المختلفة للموضوع.

رابعا : فقد قسم البحث إلى مباحث:

المبحث الأول: معنى القيمة الوثائقية للنص وفهم مصطلح الاسلاميات التطبيقية واستعماله في العلوم الانسانية.

أما المبحث الثاني: حياته العلمية في الجزائر.

أما بخصوص المبحث الثالث: فقد تناولنا المنهج عند أركون وهذا يعتبر أحد الاشكاليات التي واجهة الفكر العربي المعاصر لذا اعتمدنا أركون باعتباره نموذجاً يؤكد على الحداثة.

أما المبحث الرابع: ركزنا على مستويات النقاش لأن أركون يفرق بين كل خطاب وآخر على سبيل المثال لا الحصر.الخطاب الاستشراقي والخطاب الاسلامي.

أما المبحث الخامس: الذي كان عنوانه الفليلوجي(اللغوي) وبعض الجزئيات التي يقف عنها أركون مثل التجربة الصوفية ونقده لمناهج عملية التعليم التقليدي.

المبحث الأول : حياته مع الاستشراق:-

يقول محمد أركون منذ أن كنت طالبا في كلية الآداب بجامعة الجزائر كان ذلك في عام 1950م ، ففي ذلك الوقت الذين يقومون بتدريسه هم من جنسيات فرنسية لم يتعرضون برأيه للمشاكل التي كان يعانى منها المجتمع الجزائري ولا مشاكل المجتمعات العربية الأخرى . ويقصد بذلك أنهم:

((كانوا ينظرون إليها من منظور الإنسية البرجوازية الفرنسية هذه الإنسية الشكلانية التي نهض ضدها فوكو وأمثاله في ما بعد)).(1)

- يفهم من النص السابق بأن محمد أركون كان يدرك وبكل وضوح مشاكل مجتمعه الجزائر ، وهذه المهمة التي كانت في ذلك الوقت تتشكل بدايات تفكيره في تشخيص الوضع في المجتمعات العربية والإسلامية.

ففي حين الثقافة الغربية في ذلك تعتبر هي نفسها عالمية، قد جاءت الى الجزائر: ((من أجل تحضير المتوحشين الجزائريين وليس من أجل الاستعمار، إدخالهم في الحضارة إذا كانت الثقافة الفرنسية تعتز بتفوقها على كل الثقافات الأخرى ، ترفض الاعتراف بكل الثقافات أو حتى بلغتها القومية وكان الإسلام مهمشا مثل المسيحية فقد جاء مبشرون إلى الجزائر لكي يدخل من يريد إلى المسيحية.)) (2)

– فأركون في واقع الأمر كان يعيش حياته الاستشراقية أي بمعنى آخر له وجهة نظره الشخصية ، وهو يمثل ذلك في التفاعلات الثقافية من حياته لذا نجده يرصد ويكشف عن ما هو مخفي، من خلال ما حدث معه.

المطلب الأول : حياته العلمية بالجزائر:–

فنجده يقول: ((عشت أيام الاستعمار ضمن مناخ من الكبت والإحباط الأخرس الصامت. لأني لم أكن أجرؤ على مجرد البوح به أو فتح فمي للاعتراف. ففي الجزائر ما قبل التحرير ما كان يحق للجزائري أن يعترض او يناقش.....ومنذ ذلك الوقت تبرعمت في نفسي بدايات الرفض للإسلاميات الكلاسيكية (الاستشراق) بكل مناهجها وطرائقها)) (3) نلاحظ من البداية انه يشير على انه عمل على فتح: ((علم الإسلاميات على الإشكاليات الجديدة والتساؤلات التي تطرحها الآن علوم الإنسان والمجتمع)).(4)

كما يهدف محمد أركون إلى الخروج من دائرة الثقافة الكلاسيكية التي سيطرت على الوعي الإسلامي لفترة طويلة من التاريخ اذ يقول بأنها هي عبارة عن: ((ثقافة منغلقة كليا داخل الفضاء العقلي للقرون الوسطى، هذا لأنها تختلف بشكل جذري وقطعي عن الثقافة الحديثة للعقل الجدلي. وعن ثقافة وسائل الإعلام)).(5) هكذا نلاحظ أن أركون له رؤيته الفلسفية في هذا الجانب بأنه يرفض رفضا صريحا الدخول في دائرة واحدة دون الخروج منها بمعنى عدم الوقوف داخل الاستشراق القديم الخاص بالدراسات العربية والإسلامية، وهكذا أراد أركون في واقع الأمر أن يخرج من الاستشراق التقليدي يعنى به ذلك أنهم لا يقيموا إلا بالثقافة العربية والإسلامية وهذا ما دفعه للقول لقد أصبحت الحاجة ماسة لوجود المنهج الفيلولوجي الذي يبحث عن أصول الأفكار كما يركز في دراساته على التراث والتحقق منه علميا وهذه تمثل الخطوة الأولى فى المنهج الأركوني.

المبحث الثاني : المنهج عند أركون:–

كان أركون يتتبع الأحداث من حيث شكلها التاريخي ومن هنا نجده يرفض المنهج الذي يتعامل مع التحليل اللغوي للنص مع إهماله لعامل تفاعل الإنسان مع هذا النص والتجليات الواقعية لهذا

النص كما أنه يهتم أيضا بالتراث المكتوب فهو في الواقع في دراسته للتراث يفتح أفاقا جديدة للمعرفة والبحث. انه في دراسته للتراث يتعدى البحث عن القيمة الوثائقية للنصوص إلى القيمة الضمنية التي تنطوي على هذه النصوص وهذه القيمة من وجهة نظره هي: ((تحليل المعلومات الضمنية التي عليها كل نص أو كل خطاب))(6). كما يرى أن كل هذا يؤدى إلى:((تشكيل العلم المتكامل أو المعرفة متعددة المناهج والاختصاصات هذا ما يحصل في عصرنا الراهن، عصر العلوم الإنسانية بامتياز))(7). فهو يدعو في حقيقة الأمر إلى الانفتاح الشامل او الكامل إلى ما توصلت إليه العلوم الإنسانية من علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التحليلى هذا حسب رأيه فأنها تتيح دراسة جميع جوانب التراث المكتوب والشفوي ويساهم مساهمة كبيرة في الكشف والتنقيب عن العوامل والظروف التي تشكل فيها العقل الإسلامي. كما يذهب إلي تحقيق نقد العقل الإسلامي من خلال: ((حمل الفكر الذي ينتجه الي مجال معرفي أصولي جديد ما ينفتح به على التجديد المستمر))(8).

وفى موضوع آخر فان رفضه لهذه المدرسة كان واضحا اذ يقول: ((بسبب إيديولوجية الاستشراق غير البريئة فى ترك العقل الإسلامي خارج مجال النقد وذلك لتحقيق غرض استعماري))(9).

الرأى الأول:-

يفهم من خلال ما سبق بأن محمد أركون كان قد أشار سابقا إلى قصور هذا المنهج في دراسة العقل الإسلامي، وذلك نظرا إلى محدودية أدواته المعرفية وتصوره المحدود للعقل ومن وجهة نظر أخرى فان هذه المدرسة من خلال نظرتها المحدودة لا تخدم البحث العلمي بقدر ما تخدم الأغراض الاستعمارية.

الرأى الثاني:-

أهم خصائص هذا المنهج من خلال التأكيد على تصوره للمعنى كجوهر الهي موجود في النص، مع هذه الحقيقة المبثوثة في النص، والتي تتكفل المعرفة اللغوية بالوصول إليها ، وبالتالي هي حقيقة واحدة غير قابلة للتعدد فهناك قراءة واحدة صحيحة للنص الديني، وكل ماعدا هذه قراءات خاطئة.

المبحث الثالث :النظرة الأرثوذكسية *:-

ويقصد بذلك امتلاك الحقيقة من هذا العقل بتكريسها عبر قرون طويلة ، وذلك بتحالفها مع السلطات الرسمية، وتبريرها للوضع السياسي القائم وبالتالي فهي تحولت من وجهة نظره من

سلطة جماعية إلى تبرير شرعيتها بل هي تذهب إلى أبعد من ذلك، أنها تنظم نوعا من المسرحية السياسية من أجل: ((نشر وتعميم الوهم القائل بأنها تنتج الحقيقة وتحميها لذلك نجد

سلطة جماعية إلى تبرير شرعيتها بل هي تذهب إلى أبعد من ذلك، أنها تنظم نوعا من المسرحية السياسية من أجل: ((نشر وتعميم الوهم القائل بأنها تنتج الحقيقة وتحميها لذلك نجد أن السلطة استندت زمنا طويلا في الماضي إلى الدين))(10).

هذا الخطاب يقول أركون بأنه عبارة عن جانب من المسرحية إلى الاكتفاء بالسرد والوصف المدحي كما يوجه أركون سهام نقده إلى منهج القدامى لأنه يخلو من النزعة النقدية التي ينادى بها في التعاطي مع القرآن والتراث كما نلحظ عند دراسته للنزعة الإنسية في القرن الرابع الهجري لدى جيل مسكوية والتوحيدي يقول: ((يتبلور مع الفقهاء القدامى والعلماء المسلمين في القرون الأولى للإسلام الذي مازال يعيش على رهانات الماضي))(11).

وتأسيسا على ما سبق فأن أركون ينتقد المنهجين السابقين فى التعامل مع التراث بشكل عام والقرآن بشكل خاص .

---

*لأرثوذكسية : يقصد بها أركون هي عبارة عن المذاهب المتشكلة في السياقات الأسلامية مثل الشيعة و السنة وغيرها .

المطلب الأول : الإسلاميات التطبيقية*:

هو عبارة عن مفهوم استعاره واستفاد محمد أركون به من المنهجيات الغربية في رأيه أنه يهدف إلى استعمال جميع ما توصلت إليه العلوم الإنسانية خاصة في الفترة الأخيرة . فهو يرى أنه يجب الاستفادة بها في دراسة التراث الإسلامي مع تطبيق منهجية متعددة الجوانب والاختصاصات، من أجل أثراء البحث العلمي للتراث . كما يحث على تجاوز المناهج التي تستعملها العلوم الاستشراقية والعلوم الإسلامية.

أنها ممارسة علمية تهدف إلى خلق الظروف الملائمة إلى تحرير فكر إسلامي من المحرمات و الأيدلوجيات النائشة حديثا .

المبحث الرابع : *معنى القيمة الوثائقية للنص:-

فهو يشير الى ذلك من خلال التموضع والتمحور حول النص من خلال الرجوع إلى معرفة العصر الذي كتبت فيه هذه النصوص، والكشف عن معرفة العوامل الفاعلة والأساسية في إنتاج هذه الوثائق والمعارف هذه القيمة هي شرح المعنى الضمني أو: ((تحليل المعلومات الفنية التي ينطوي عليها كل نص أو كل خطاب)).(12)

في واقع الأمر يبحث أركون عن نظام سير المعرفة الصحيح من وجهة نظره في تلك الفترة كل هذا يصل بنا إلى قوله:((تشكيل العلم المتكامل أو المعرفة متعددة المناهج والاختصاصات، هذا ما يحصل في عصرنا الراهن عصر العلوم الإنسانية)).(13)

يفهم من خلال النص السابق دعوة أركون إلى الانفتاح على آخر ما توصلت إليه علوم الإنسان مثل علم النفس الاجتماعي وعلم التحليل النفسي وغيرها فهو يرى أن جميع هذه العلوم لكي تلقى الضوء على النص من المدرس من مختلف جوانبه حتى يكون المجال مناسبا في رأيه في دراسة جميع جوانب التراث المكتوب والشفوي، الرسمي المعترف به ، وكذلك المهمش ويساهم في التعرية والتفتيش على العوامل والظروف التي تشكل فيها العقل الإسلامي. وذلك من أجل إدخال عامل النقد بدل أن يبقى التراث في دائرة التقديس والتعالي البعيدة على نظرة تاريخية.

---

* يعني الرجوع إلى زمن كتابة الوثيقة التي كتب فيها النص للتحقق من صحته .

هكذا نلحظ كيف يربط محمد أركون ربطا وثيقا بين ما يسميه القداسة والجانب التاريخي أو بعبارة أخرى رفع الهيبة القدسية عن التراث تماما لان العقل الإسلامي من وجهة نظره متشكل في التجربة الإسلامية وتأسس على معطى الوحي.

ومن القول المفيد عند أركون بأنه يرى عدم الفصل بين الحضارات على السواء شرقية أو غربية ، وبمعنى آخر أمكانية فهم الحضارات دون النظر إليها على أنها شكل غريب من الآخر، وهو ينتقد الاستشراق المبنى على هدا النوع . فأنه ينحو منحى آخر فهو يوجه نقدا للجميع مسلمين ومستشرقين فهو يطالب بزحزحة النقاش من الأرضية الأكاديمية والانفعالية والإيديولوجية التي كان قد بقي رازحا تحتها حتى الآن نحو أرضية جديدة تتمثل بالمقابلة المنهجية بين الخطابات الإسلامية والخطابات الاستشراقية(14).

إن محمد أركون يهدف إلى إقامة مسافة نقدية بين الخطابات الإسلامية والخطابات الاستشراقية ، وبذلك يهدف الي احتلال موقع نموذجي يختلف عن المواقع التي ينتمي إليها الخطابان المذكوران . أن الهدف من هذا الطرح الذي ينادى به أركون هو إبعاد خطاب الرفض والكره

والأحقاد من أجل تحرير النقاش او الحوار بين الإسلام والغرب من ثقل وضغط التطورات العتيقة التي كانت قد كونت الخيال لكلا الطرفين منذ عدة قرون.

المطلب الثاني : * مستويات النقاش عند أركون:-

1 – ما هو دون مستوى النقاش = (الحوار) وما هو ورائها أي يتجاوزها.

2- الخطابات الإسلامية والخطابات الاستشراقية.

1- المواضع أو المواقع الإستراتيجية لتدخل الفكر العلمي.

2- هذه الموضوعات من أجل خضوع الصراع على جبهتين هما:-

أولا:- الصراع ضد الخطابات الإسلامية التي تدعى البراءة وحسن النية وتدين مجمل إنتاج الاستشراق المتعدد والمعاد والمتغير المتنوع.

ثانيا: الصراع ضد موقف عدد كبير من المستشرقين الذين يرفضون الدخول في أية منافسة ابستمولوجية مع زملائهم الغربيين المشتغلين في منطقة مادون مستوى الحوار.(15)

بعد تقديم هذه التبريرات الفكرية التي تعيق المهمة بالاستشراق وجدل الحضارات عموما، يقوم بشرح تلك المستويات الثلاثة التي تؤثر سلبا على الحقيقة موضحا محدوديتها الفكرية وملابساتها الإيديولوجية وما هو دون مستوى النقاش، يدخل في هذا الإطار كل ما يتعلق بالأشياء الشخصية والنظم والأخلاق الجامعية والظروف المؤقتة أو كل ما هو عرض وعابر وخاص بالزمن الراهن.(16)

* يقصد أركون بالنقاش العلمي الهادف .

وإذا طبقا لهذه المعايير على الباحثين المسلمين فهم إذ ينتقدون المستشرقين يأخذون بعين الاعتبار أنهم ينتمون إلى نفس منهجية العلم الغربي وروحه الذي هو نابع أساسا من قيم الحضارة التي ترى في نفسها أنها الوحيدة الجديرة بأن تسيطر على العالم: أي الحضارة الرأسمالية. إن معظم أولئك الكتاب يتموضعون معرفيا ضد الاستعمار وضد الهيمنة أكثر ما هي حريصة على أعادة ملخص دراسة الموضوعات الأكثر عرضة للأخلاق والجدل في المجال العربي والإسلامي ودون تقديم أي تنازلات على المستوى القومي أو الديني (17). وبعد هذا النقد عند محمد أركون يقترح ما يسميه بالتالي:-

المطلب الثالث : المواقع الإستراتيجية لتدخل الفكر العلمي في المجال الإسلامي

وهذه الإستراتيجية يجدها أركون في البحث النظري المنهجي أي :-

أ- النقد الابستمولوجي الجذري الذي يتجاوز كل الخصوصيات الثقافية.
ب-التفكيكي والمترابط.

ج- الناسف لكل التسريبات الإيديولوجية، حتى ضمن الخطاب الذي تنتجه الذات. ذلك أن العرف عبارة عن جهد ديناميكي ، وهى مستقلة عن كل غاية مباشرة أو منفعة فورية تكون موضوعة تحت تصرف الجميع ثم أنها تتغذى بالمقابل بالدلالات والمعاني والتجارب التي ينتجها الفاعلون في المجتمع.

المطلب الرابع : المنهج الفيلولوجي* (اللغوي)

كما يحاول أركون الانتقال من القديم إلى الحديث ، ويمكن القول بأنه أعتمد هذا المنهج الفيلولوجي الذي أستخدمه غيره من المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي ، ويهتم هذا النوع بالقصور المنهجي وذلك بسبب إهماله لمعطى أساسي في تعامله مع النص القرآني وهو معطى المجاز حيث يقول: ((أما الدراسات الفيلولوجية التي طبقها المستشرقون على التراث الإسلامي، فقد أهملت هي الأخرى بلورة نظرية حديثة للمجاز والكتابة وتطبيقها على الخطاب الديني)).(18)

هكذا يقول أركون بأن المفسرين المسلمين القدماء يركزون على المعنى الحرفي أو النص المباشر، بالرغم من الإيحاءات التجسيمية أو التشبيهية التي يؤولوها هذا النوع من التفسير كما يقع أركون في مغالطة كبيرة جدا مع القرآن الكريم وتعتبر تهجم في حد ذاتها على هذا المصحف المقدس الذي أنزله الله سبحانه وتعالى إلى هذه الأمة الإسلامية قاطبة على اعتبار المجاز القرآني هو وسيلة لتحلية الأسلوب كما هو سائد في النظرة التقليدية إليه، اذ يقول في هذا الصدد: ((وأما التعبير الأرثوذكسي فلا يزال محصورا بالتحديد التقليدي للمجاز يصفه وسيلة بلاغية هدفها تحلية الأسلوب وتجميله))(19).

يوضح لنا أركون من خلال النص السابق دراسة المجاز وكيفية اشتغاله وتوليده للمعاني لدى المتلقي المسلم وبالتالي دوره في تشكيل الخيال الجمعي للمسلمين.

---

*المنهج الفيلولوجي يعني الحفر في فهم اللغة .

المطلب الخامس : التجربة الصوفية وعلاقتها بالله عند أركون:-

يوضح لنا محمد أركون من خلال هذه التجربة الصوفية في علاقتها بالإله التي استفادت كثيرا بالقيمة الرمزية للخطاب القرآني، كما فعل التيار الباطني في التاريخ الإسلامي، حيث يصف أركون

أحد أقطاب هذا المنهج الصوفي بصاحب الخيال الخلاق حيث يرى أنه: ((أعتمد عليه وأستثمره في سبيل الوصول إلى نتائج لا تتعدى الفهم الاستشراقي للإسلام والمسلمين)).(20)

نقد أركون في عملية التعليم

ينتقد أركون المنهجيات التي تعلم بها سابقا والتي كانت سائدة في ذلك الوقت لذا نجده يقول: ((عندما أصبحت مدرسا في السربون بداية الستينات أتبعت فورا المنهجيات التي تختلف جذريا عن منهجيات المستشرقين فمثلا أولئك الذين تابعوا دروسي مند بدايتها أي منذ العام 1990 تحديدا يعرفون مدى الاختلاف بين منهجي وأساليبي وبين منهجية التاريخ الحديثة ومنهجية الاستشراق)).(21)

الخـــاتمـة

بعون من الله وتوفيقه أصل إلى نهاية هذا البحث المتواضع الذي أتمنى من الله العزيز القدير أن يقع بين يدي كل من يهتم بالعلم والمعرفة من أجل الإفادة . هذا وبعد هذه الإطلالة البسيطة في الفكر الأركوني عن الإستشراق.

ومن النتائج الذي توصل إليها الباحث هي الوصول والكشف عن أحداث محمد أركون مصطلح جديد يسميه بالإسلاميات التطبيقية ومن استخدام ما توصلت إليه علوم الإنسان ، مثل علم النفس والاجتماع وغيرها ويوظفها في دراسة التراث الإسلامي.

أن ما يميز الإسلاميات التطبيقية أيضا عن علم الاستشراق هي أنها لا تعتمد فقط على العلوم المكتوبة وإنما تعتمد على الآداب الشفوية وعلى الأدبيات غير الرسمية. حيث تهتم بطريقة اللباس و الأعراف و العادات و التقليد المختلفة للجمعات البشرية .

وكذلك النتيجة الثانية فهو يدعو إلى استخدام العقل النقدي الإسلامي من أجل الوصول إلى الحداثة. وهذه الجزئية لم تطرق في الفكر العربي والإسلامي. كما يربط أركون مفهوم العقل بالمنهج فأحيانا يتطابق مفهوم العقل عنده مع المنهج وينتج المعرفة ، كما يخالف العقل عنده بأنه غير المفهوم السائد عند الفلسفة المسلمين و اليونانيين أنه ليس جوهر متعاليا لا يخضع لأي تاريخية و إنما هو نتاج الظروف المحيطة به سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك ، بمعنى أخر له تاريخيته . والنتيجة الثالثة خصص جزء للنص الديني القرآن والسنة ، محاولا تطبيق قراءاته التفكيكية عليه متجاوزا في نفس الوقت القراءات المعاصرة للتراث

النتائج :

كما نخلص إلى الانتقادات التي وجهت إلى المنهج عند محمد أركون في هذه الدراسة .

1_ اعتماد أركون على المناهج الغربية في دراسة التراث الإسلامي .

2_ أن هذه المناهج مرتبطة أشد الارتباط بالنموذج الغربي ولها ما يبررها عند المجتمع الغربي ، ولكن عند تطبيقها عند الحالة الأسلامية نجد النتائج غير واقعية في أغلب الأحيان و الظروف لأنا المجتمعات العربية و الأسلامية لها خصوصياتها .

3_ نلاحظ أستخدام أركون للعديد من المناهج في وقت واحد وهذا كثير ما يؤدى بالدراسات إلى التناقض لأن هذه المناهج لها أصول تنطلق منها ومسلمات تخضع لها .

المصادر والمراجع :-

1- د محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هـ صالح (دار الساقي للطباعة والنشر ، ط1 ، 1992م) . ص256.

2- محمد أركون ، مصدر سابق: نفس الصفحة.

3- محمد أركون ، مصدر سابق: ص 268.

4- محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي(ترجمة هـ صالح ،دار الساقي، ط1، 1997) ص67.

5- محمد أركون ، مصدر سابق، نفس الصفحة.

6- د محمد أركون ، معارك كم أجل الانسنة في السياقات الإسلامية (ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط1، 2001 م) ص200.

7- محمد أركون ، مصدر سابق ، ص201.

8- مختار الفجاري ، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون (دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2005 م) ص30.

9- مختار الفجاري ، مرجع سابق ، ص33.

10- د محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي والإسلامي (ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ،ط3، 1998 م) ص34.

11- مختار الفجارى ، نقد العقل الاسلامى عند محمد أركون، مرجع سابق ،ص37.

12- د محمد أركون: معارك كم أجل الانسنة في السياقات الإسلامية، مصدر سابق ص200.

13- محمد أركون مصدر سابق ، ص201.

14- د محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي والإسلامي، مصدر سابق،ص245.

15- محمد أركون ، مصدر سابق ، نفس الصفحة.

16- محمد أركون ، مصدر سابق ، ص247.

17- محمد أركون ، مصدر سابق ، نفس الصفحة.

18- د محمد أركون ، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني (ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار الطليعة ، بيروت، 2005 م) ص33.
19- محمد أركون ، مصدر سابق ، ص32.
20- محمد محفوظ ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء ، 1998 ، ط1) ص 196.
21- محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ص269.

لغة القرآن الكريم

أ . صالح جقلول

ملخص البحث

يهدف هذا البحث للوقوف على اختلاف الباحثين في معنى القرآن لغة، وفي أصل اشتقاقه، ورجحت ما إرتأيتُه صوابا معززا هذا الترجيح بالأدلة العلمية، كما يهدف هذا البحث إلى معالجة قضية اللغة التي نزل بها القرآن الكريم معالجة علمية محايدة لا تقوم على الثناء غير المسوغ أو الهجوم الذي لا يستند على أسس علمية، مع مناقشة المقولة التي قيلت في هذه المسألة الشائعة بين كثير من العلماء، وهي أن القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش.

معنى القرآن لغة

اختلاف العلماء في معنى القرآن لغة، وفي اشتقاقه على أوجه منها:

الأول: أنه مصدر مشتق من قرأ، يقال: "قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عَنِ الزَّجَّاجِ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، الأُولى عَنِ اللِّحْيَانِيِّ، فَهُوَ مَقْرُوءٌ".[cxxxiii]

الثاني: أن القرآن غير مشتق من الفعل قرأ، ويلزم من ذلك أنه غير مهموز، وممن ذهب هذا المذهب الشافعي حيث يقول: "القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل".[cxxxiv]

الثالث: أن القرآن مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به لقران السور والآيات والحروف فيه.[cxxxv] قال ابن دريد: "والقُران من لم يهمزه جعله من قرنتُ الشيءَ بعضَه إلى بعض".[cxxxvi]

والذي أراه أن هذا الرأي فاسد وذلك من الوجوه التالية:

1. أن القُرَان مصدر الفعل قرأ، وحدث فيه نقل وحذف؛ لتخفيف الهمزة، فقد تم نقل حركة الهمزة إلى الحرف الساكن قبلها وحذفها، فأصبح قُرَان من قرأ وليس من قرن.

2. أن الجمع والضم من قرن يكون مصدره بكسر القاف قِرانا قال ابن سيده: ""وَمِنْه قرن الحجّ بالعُمرة قِراناً".[cxxxvii]

وقال ابن منظور: "والقِرانُ: الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وقَرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ والعمْرة قِراناً، بِالْكَسْرِ".[cxxxviii] فالجمع والضم إذاً يكون بكسر القاف وليس بضمها.

3. أن المادتين مختلفتان فقرنت مادته قرن، وقرأت مادته قرأ.

ومن هنا أبطل قول من قال إن القرآن نونه أصلية وهو مشتق من الفعل قرن، بل أرى أن نونه زائدة، وهو مشتق من الفعل قرأ، إلا أنه حدث فيه نقل وحذف، فنقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة فأصبحت قُرَان، وبها قرأ ابن كثير.[cxxxix]

وهذا ما ذهب إليه الزجاج بقوله: "هذا القول سهو والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها".[cxl]

الرابع: وينسب للزجاج حيث قال: "هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته، قال أبو عبيدة وسمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض".[cxli]

وهذا القول فاسد للأسباب التالية:

1. أن القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع. فهذا القول فاسد لاختلاف المادتين. فجمع الماء من باب: قري، وليس من باب: قرأ قال الأزهري: "وأَنَّ قَوْلهم: قريتُ الماءِ فِي الْحَوْض وإِن كَانَ قد أُلزِم الْيَاء فَهُوَ جَمَعْتُ".[cxlii]

2. ما أورده الزركشي عن بعض المتأخرين قولهم: "لا يكون القرآن وقرأ مَادَّتُهُ بِمَعْنَى جَمَعَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[القيامة: 17] فَغَايَرَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا مَادَّتُهُ قَرَأَ بِمَعْنَى أَظْهَرَ وَبَيَّنَ، وَالْقَارِئُ يُظْهِرُ الْقُرْآنَ وَيُخْرِجُهُ".[cxliii]

3. أغلب القدامى والمحدثين يرون أن القرآن مشتق من الفعل قرأ قراءة، قال ابن قتيبة: "ويكون القرآن مصدرا كالقراءة، يقال: قرأت قراءة حسنة وقرآنا حسنا.... قال الشاعر في عثمان بن عفان:

ضحوا بأشمط عنوان السّجود به يقطّع الليل تسبيحا وقرآنا

أي: تسبيحا وقراءة".[cxliv]

وقال قطرب: "إنما سمي قرآنا؛ لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه".[cxlv]

وقال قوم منهم اللحياني: "هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر".[cxlvi]

والذي يظهر لي بعد هذا التجوال أن القرآن لغة: مصدر مرادف للقراءة، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله. وذلك للأسباب التالية:

1. أن أول تكليف صدر من الله ﷻ في القرآن الكريم كان الأمر بالقراءة، ومن بين القراءة التي أمر الله ﷻ بها قراءة القرآن الكريم قال تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17 . 18]

أي: جمعه وقراءته ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أي: قراءته.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: "فإذا بيَّنَّاه لك بالقراءة فاعمل بما بيَّنَّاهُ لك".[cxlvii]

2. أن المعاجم اللغوية ذكرت أن القرآن مصدر للفعل قرأ.

3. أن من قرأ: قُرَان، فهو من باب النقل والحذف، فقد نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذفت.

4. أن كلا من قرأ وقرآن مادتهما واحدة، وأن كثيرا من المعاجم ذكرت أن مصدر قرأ قراءة وقرآن، قال الزرقاني: "أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل أي: موضوع من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة، ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة".[cxlviii]

5. تلازم ورود: قرأ وقرآن معا في أكثر من موطن في القرآن الكريم، أو تلازم أحدهما بمعنى الآخر[cxlix]. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: 204]

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل: 4]

6. للقرآن الكريم مسميات وأوصاف كثيرة، عدد منها أصله مصدر كـ الذكر والتبيان والشفاء والتنزيل والكتاب، هذه المصادر المسمى بها القرآن الكريم جعلتني أذهب إلى أن القرآن كذلك مصدر.

7. التقارب بين معنى الكتاب والقرآن فمعنى الكتاب جمع الحروف وضم بعضها إلى بعض في الخط، ومعنى القرآن جمع الحروف وضم بعضها إلى بعض في النطق.

9. أن القراء السبعة.[cl] إلا ابن كثير على الهمز.

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم

ذهب عدد من العلماء إلى أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش فقط، ولم ينزل بغيرها من لهجات العرب، وحجتهم في ذلك:

1. كون الرسول ﷺ من مكة، ومكة موطن قريش. فلا بد من نزول كتاب الله ﷻ بلسانهم، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[إبراهيم: 4]

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[مريم: 97، والدخان: 58]

"فعلى هذا تكون لغة القرآن لغة قريش".[cli]

2. ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلا أقرأه ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[يوسف: 35] يقرأه: لَيَسْجُنُنَّهُ عتَّى حِينٍ، فكتب إليه" ... فَإِن الله أنزل الْقُرْآن فَجعله قُرْآنًا عَرَبيا مُبينًا، وأنزله بلغَة هَذَا الْحَيّ من قُرَيْش..."[clii]

3. ما أخرجه البخاري في صحيحه أن عثمان رضي الله عنه قال للرهط القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: "إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ".[cliii]

4. ما ذهب إليه كثير من العلماء أن لغة قريش هي أفصح اللغات، قال ابن منظور:" قَالَ قتادةُ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَبِي، أَي: تَختار، أَفضل لغاتِ العَرب، حَتَّى صَارَ أَفضلَ لغاتِها لغَتُها، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَا".[cliv]

وقال شوقي ضيف: "أن هذه اللهجة الفصحى؛ إنما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم".[clv]

مناقشة قول من قال إن القرآن الكريم نزل بلغة قريش

1. إن الرسول ﷺ عاش بعد البعثة ثلاثة وعشرين عاما، منها ثلاثة عشر في مكة، وعشرة في المدينة، وكانت سور القرآن الكريم وآياته على قسمين: مكي، ومدني فمن قوم الرسول ﷺ فهل هم القريشيون أم الأنصار؟

2. وصفت كثير من الآيات الكريمة القرآن الكريم بأنه عربي، أو بلسان عربي، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف: 2]

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل: 103]

فالآيتان السابقتان وغيرهما كثير وصفت القرآن الكريم بأنه عربي، أو بلسان عربي، ولم تقل قرشيا،[clvi] فلغة الرسول ﷺ أي: لهجته قرشية، ولكن لسانه هو اللسان العربي الواحد لجميع العرب. قال جواد علي: "ولو نزل بلغة قريش لما سكت الله تعالى عن ذلك".[clvii]

3. فإن صح ما زعموا، بأن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش، أفلا يعد ذلك تحيزا من القرآن للهجة قريش على حساب بقية اللهجات !

فلو حدث ذلك لأظهر بقية العرب . وهم أكثر العرب وعامتهم . لأظهروا ردود أفعال حيال ذلك، كأن يعترضوا على عدم نزول القرآن بلهجات قبائلهم، بل نجد عكس ذلك تسليما ورضى رغم أنهم كانوا أهل عصبية ما فارقتهم في كثير من المواطن بعد الإسلام.

ومن هنا يمكن ملاحظة أن كل قبيلة كانت تضع في الحسبان لغة القرآن، وأنها أقرب ما تكون إليه.

4. وأما قول عمر وعثمان رضي الله عنهما بأن القرآن الكريم نزل بلغة قريش فلا يجب أن يُحْمَلَ هذا القول محمل قول الصحابي الملزم في الأمور الفقهية؛ لأن قول الصحابي يكون ملزماً حين لا يتعارض مع صريح نص القرآن الكريم، وصريح نص الحديث الشريف. فقد وردت بعض الأحاديث في صحيح البخاري تنص على أن الرسول ﷺ أمر بأخذ القرآن عن بعض الصحابة من غير قريش، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ".[clviii]

وفي حديث ثان قال : "قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – فَبَدَأَ بِهِ –، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ".[clix]

وفي حديث ثالث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: " جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ".[clx]

فهذه الأحاديث الثلاثة التي أخرجها البخاري تدل على أنه كان من الصحابة من غير قريش من جمع القرآن وتمرس بقراءته، وكان حجة في عهد الرسول ﷺ. كما أنه يوجد خبر مفاده أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما همَّ بجمع القرآن، بعد إلحاح عمر رضي الله عنه عليه بذلك، أجلس خمسة وعشرين رجلًا من قريش، وخمسين رجلًا من الأنصار، وقال: اكتبوا القرآن، واعرضوا على سعيد بن العاص رضي الله عنه، فإنه رجل فصيح، ولو كان القرآن قد نزل بلغة قريش، لما اختار هذا العدد الكثير من الأنصار، وهم من غير قريش".[clxi]

كما أن هناك من قال إن عثمان رضي الله عنه قال للرهط الذين أمرهم بجمع القرآن وكتابته قال لهم: "اجعلوا المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف".[clxii] وليست هذيل ولا ثقيف من قريش.

5. قد يكون معنى قول الصحابيين عمر وعثمان رضي الله عنهما أن أغلبه وأكثره قد نزل بلغة قريش، فهو من باب تغليب الأكثر على الأقل؛ لأنه لا يوجد دليل يدل على أن كله بلغة قريش، فقد ورد قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف وطه والزمر وفصلت والشورى والزخرف: 2. 113. 28. 3. 7. 3] ولم يقل: قرشيا، وقد وردت لفظة عربيا في ست آيات في القرآن الكريم، وكلمة العرب تضم جميع القبائل، قَالَ الْبَاقِلَّانِيِّ: "مَعْنَى قَوْلِ عُثْمَانَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ أَيْ: مُعْظَمُهُ، وَأَنَّهُ لَمْ تَقُمْ دَلَالَةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّ جَمِيعَهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا﴾ [الزخرف: 3] أَنَّهُ نَزَلَ بِجَمِيعِ أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَرَادَ مُضَرَ دُونَ رَبِيعَةَ، أَوْ هُمَا دُونَ الْيَمَنِ، أَوْ قُرَيْشًا دُونَ غَيْرِهِمْ فَعَلَيْهِ الْبَيَانُ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْعَرَبِ يَتَنَاوَلُ الْجَمِيعَ تَنَاوُلًا وَاحِدًا، وَلَوْ سَاغَتْ هَذِهِ الدَّعْوَى لَسَاغَ لِلْآخَرِ أَنْ يَقُولَ: نَزَلَ بِلِسَانِ بَنِي هَاشِمٍ مَثَلًا؛ لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ".[clxiii]

والذي يؤيد ما ذهبت إليه من أن المقصود من نزل بلغة قريش أنه أغلبه وأكثره الإحصائية التي قمت بها من كتاب لغات القبائل العربية الواردة في القرآن الكريم تبين أن قريشا تحتل الترتيب الأول في عدد مرات ذكرها فقد وصل عدد مرات ذكرها إلى 90 مرة.[clxiv]

6. ذهب بعضهم أن معنى نزل بلغة قريش، بداية نزوله بلغة قريش، ولكن لما دخل الناس في دين الله أفواجا ابتداء من العام التاسع للهجرة تعذر على كثير من الداخلين في الإسلام قراءة القرآن بلهجة قريش؛ نظرا لانطباع ألسنتهم على لهجاتهم، فسأل رسول الله ﷺ ربه التخفيف، فجاءت الرخصة من الله ﷻ بجواز قراءة القران بلهجات العرب الفصيحة المتداولة، فإذا كان في كلمةٍ لهجتان فصيحتان أو أكثر جازت قراءة القران بها،ويستندون على ما رواه مسلم عن أبي بن كعب أن الرسول ﷺ كان عند أضاة بني غفار[clxv] "فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ،

فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا".[clxvi]

قَالَ أَبُو شَامَةَ: "يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ أَيِ ابْتِدَاءُ نُزُولِهِ ثُمَّ أُبِيحَ أَنْ يُقْرَأَ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ".[clxvii]

ومن خلال بحثي لم أعثر على دليل يدل على أن أول نزوله كان بلغة قريش.

7. لو كان القرآن الكريم قد نزل بلهجة قريش، لما احتاج الناس إلى شعر العرب ونثرهم لفهم المشكل والغريب فيه، فقد كان ابن عباس رضي الله عنه يرجع في فهم الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم إلى الشعر فقد روي عنه أنه قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه.[clxviii]

وروى ابن الأنباري عنه أيضاً أنه قال: "إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".[clxix]

وقد نقل العلماء والمحدثون والمفسرون وقائع كثيرة استشهد فيها ابن عباس رضي الله عنه بالشعر القديم والعريق في العربية، وهذه الوقائع غير المسائل التي سألها نافع بن الأزرق وأجاب ابن عباس رضي الله عنه عنها، ومن هذه الوقائع:

"روى طلحة بن عمرو عن عطاء قال: سمعت ابن عباس إذا سئل عن عَرَبية القرآن أنشد الشعر، فقيل له: ما ﴿زَنِيمٍ﴾[القلم: 13]

فقال: زنيمٌ تداعَاهُ الرجالُ زيادةً

كما زيدَ في عرض الأديم الأكارعُ

وعن ابن مليكة قال: سُئل ابن عباس عن ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17]

فقال: وما جمع، ألم تسمع قول الشاعر:

إن لنا قلائِصاً حَقائقاً مُستَوسِقاتٍ لو يَجِدنَ سائقا".[clxx]

وقد سبق ابنَ عباس رضي الله عنه في تلمس معاني القرآن من الشعر عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، ومما يروى عنه: "فبينما هو على المنبر قال: يا أيها الناس: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾[النحل: 47] فسكت الناس، فقال شيخ من هذيل: هو لُغتنا يا أمير المؤمنين، التخوّف: التنقُّص. فقال عمر: أتعرفُ العربُ ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا، أبو كبير الهُذَلي ـ يصف ناقة تنقَّصَ السَّيْر سَنامَها، بعد تمْكه واكتنازه:

تَخَوَّف الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِدا كما تَخوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[clxxi]

فقال عمر: يا أيها الناس: عليكم بديوانكم، شِعْرِ الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم.[clxxii]

والروايات في فهم معاني الألفاظ الغريبة من القرآن الكريم بالشعر الجاهلي كثيرة منها:

"روى ابن عباس . نفسه . :أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: أي علم القرآن أفضل؟ فقال النبي ﷺ: عربيته فالتمسوها في الشعر.

وقال ﷺ: "إن من الشعر لحكمة، فإذا ألتبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنه عربي".

ويذكر الطبري: أن ابن عباس رضي الله عنه قال تبعاً للنبي ﷺ في مقاله: "وإذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي."[clxxiii]

مما تقدم يدل على أن القرآن الكريم لم ينزل بلهجة قريش، فلو صح ما زعموا، لما احتاج الناس إلى شعر العرب ونثرهم على فهم المشكل والغريب فيه.

قال جواد علي: "ولو كان القرآن قد نزل بلسان قريش، لما احتاج الناس إلى الشعر للاستشهاد به على فهم المشكل والغريب، وكان عليهم الرجوع إلى شعر قريش ونثرهم للاستشهاد به في توضيح ما فيه من مشكل وغريب، لا إلى شعر العرب وكلامهم من غير قريش".[clxxiv]

8. وجود مشكل وغريب وحروف خَفِيَ أَمْرُ فَهْمِهَا على العلماء دليل على أن القرآن الكريم لم ينزل بلهجة قريش، وإنما نزل بلسان عربي مبين، قال جواد علي: " ثم إن في قولهم بوجود مشكل وغريب فيه، وحروف خفي أمر فهمها على العلماء، هو دليل في حد ذاته على أنه لم ينزل بلسان قريش، وإنما بلسان عربي مبين، فلو كان قد نزل بلسانهم لما خفي أمره على رجالهم، من مثل أبي بكر وعمر وغيرهما من رجال قريش".[clxxv]

قال ابن عباس رضي الله عنه: "كُنْتُ لَا أَدْرِي: مَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ، حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا".[clxxvi]

ومما يروى أيضا عن عدم معرفة قريش لبعض ألفاظ القرآن الكريم أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾[الصافات: 62]

لم تعرف قريش الزقوم، حتى قدم رجل من إفريقية وسئل عن الزقوم فقال الإفريقي: الزقوم بلغة إفريقية الزبد والتمر فقال أبو جهل هاتي يا جارية تمرا وزبدا نزدقمه فجعلوا يتزقمون منه ويأكلونه وقالوا أبهذا يخوفنا محمد.[clxxvii]

9. أن قبيلة قريش اكتسبت هذا التمجيد لكون الرسول ﷺ من قبيلة قريش.

وبعد هذه المناقشة فإن الرَّأْي عندي أنه يجوز لقبيلة قريش أن تكتسب هذا التَّمجيد، ولكن هذا لا يمنع أنْ يكون غير لهجتها موجوداً في القرآن الكريم والأدلة على ذلك واضحة مما سبق ذكره.

نتائج البحث

اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

2. ذهب بعضهم أن معنى نزل بلغة قريش، بداية نزوله بلغة قريش، إلا أنني من خلال بحثي لم أعثر على دليل يدل على أن أول نزوله كان بلغة قريش.

3. إن سبب الاختلاف في تعيين اللهجة أو اللغة التي نزل بها القرآن الكريم هو اختلافهم في معنى قوله تعالى﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ فالقائلون بنزول القرآن بلغة قريش يعتبرون قوم الرسول ﷺ هم قريش، والقائلون بعدم نزول القرآن الكريم بلغة قريش يعتبرون قوم الرسول ﷺ هم العرب جميعا.

4. أبطل البحث القول القائل بأن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم هي لغة قريش، لكون كافة الأدلة التي جمعها الباحث . والتي سيقت دليلا على أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، أدلة تفتقر إلى الدقة.

الهوامش

1 . ابن منظور،محمد بن مكرم،لسان العرب،تحقيق اليازجي وآخرون،الناشر دار صادر،تاريخ الطبع 1414هـ، بيروت لبنان،ط الثالثة، "قرأ" 339/2

2. السيوطي، جلال الدين،الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، الناشر مجمع الملك فهد، المملكة السعودية، تاريخ الطبع بلا،ط الأولى، 339/2.

3.المصدر السابق، 340/2.

4. ابن دريد، أبو بكر،جمهرة اللغة،تحقيق رمزي بعلبكي،الناشر دار العلم للملايين بيروت . لبنان ، تاريخ الطبع 1987،ط الأولى، 794/2.

5.ابن سيده،أبو الحسن،المحكم والمحيط الأعظم،تحقيق هنداوي،الناشر دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، تاريخ الطبع 2000، رقم الطبعة بلا، 374/3.

6.ابن منظور، محمد بن مكرم، "قرن" 336/13.

7. الداني، عثمان بن سعيد،التيسير في القراءات السبع،تحقيق اوتو تريزل،الناشر دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، تاريخ الطبع 1984،ط الثانية، ص. 79.

8.المصدر السابق.

9.المصدر السابق، 341/2.

10. الأزهري، محمد، ،تهذيب اللغة،تحقيق محمد مرعب،الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان، تاريخ الطبع 2001،ط الأولى، باب القاف والراء، 210/9.

11. الزركشي،بدر الدين، البرهان في علوم القرآن،الناشر دار إحياء الكتب العربية، تاريخ الطبع 1957،ط الأولى، 277/1.

12. ابن قتيبة، عبد الله،غريب القرآن،تحقيق سعيد اللحام،الناشر بلا، ص35.

13. السيوطي،جلال الدين،الاتقان في علوم القرآن، 341/2.

14. المصدر السابق، 340/2.
15. الجوهري، أبو نصر،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق أحمد عطار، الناشر دار العلم للملايين بيروت، تاريخ الطبع 1987،ط الرابعة، "قرأ" 65/1
16. الزرقاني،محمد، مناهل العرفان،تحقيق فواز زمرلي،الناشر دار الكتاب العربي بيروت . لبنان، تاريخ الطبع 1995،ط الأولى، 16/1. 17.
17. سالم،محي الدين، علل القراءات القرآنية،أطروحة، سنة 2005، ص12.
18. القراء السبعة هم: نافع المدني،ابن كثير،أبو عمرو البصري،ابن عامر، عاصم الكوفي،حمزة، الكسائي.
19. علي، جواد،المفصل في تاريخ الأدب العربي،الناشر دار الساقي، تاريخ الطبع 2001،ط الرابعة، 238/16.
20. السيوطي،جلال الدين،الدر المنثور في التفسير بالمأثور،الناشر دار الفكر العربي، 535/4.
21. البخاري،محمد،صحيح البخاري،تحقيق محمد زهير،الناشر طوق النجاة، تاريخ الطبع 1422هـ،ط الأولى، 180/4، و 183/6.
22. ابن منظور، محمد بن مكرم، "عرب" 588/1.
23. شوقي ضيف،أحمد،تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي،الناشر دار المعارف مصر، تاريخ الطبع 1960، ص. 132
24. ابن كثير،أبو الفداء، فضائل القرآن،تحقيق بلا، الناشر مكتبة ابن تيمية، تاريخ الطبع 1416هـ،ط الأولى، ص. 135.
25. علي،جواد، المفصل في تاريخ العرب، 241/16.
26. البخاري، محمد، صحيح البخاري 36/5.
27. المصدر السابق،باب مناقب أبي بن كعب.
28. المصر السابق،باب مناقب زيد بن ثابت،37/5.
26. علي، جواد،المفصل في تاريخ العرب، 240/16.
30. ابن فارس،أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ...،تحقيق أحمد بسج، الناشر محمد بيضون، تاريخ الطبع 1997،ط الأولى، ص. 32.
31. العسقلاني،أحمد، هدي الساري فتح الباري شرح صحيح البخاري،تحقيق محمد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب،الناشر دار المعرفة بيروت لبنان، تاريخ الطبع 1379هـ، رقم الطبعة بلا، 9/9.
32. الإحصائية من كتاب لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لابن سلام المتوفى سنة 224 هـ.

33.أضاة بني غفار :مستنقع ماء بالقرب من المدينة المنورة ينسب لبني غفار.

34. مسلم،ابن الحجاج،صحيح مسلم،تحقيق محمد فؤاد،الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان، تاريخ الطبع 1954، رقم الطبعة بل،ا/562

35. العسقلاني،أحمد،هدي الساري فتح الباري شرح صحيح البخاري، 9/9

36. ابن عباس،عبد الله، مسائل نافع بن الأزرق،تحقيق عبد الكريم حدبان،دار النشر بلا، رقم الطبعة بلا، ص. 57

37.الذهبي،محمد، التفسير والمفسرون،الناشر مكتبة وهبة القاهرة، تاريخ الطبع بلا، رقم الطبعة بلا، 58/1

38. ابن عباس،عبد الله، مسائل نافع، ص. 58. 59

39. معنى البيت: أن السير قد أنقص من سنامها الذي كان مكتنزا، كما تنقص الشيء الذي ينحت به.

40. الهابط، فوزي،معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم،الناشر مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، تاريخ الطبع 2000،رقم الطبعة بلا، ص. 12. 13

41. المصدر السابق.

42. علي، جواد،المفصل في تاريخ العرب، 297/16

43. المصدر السابق.

44. البغدادي،أبو عبيد القاسم،فضائل القرآن ومعالمه وأدبه،تحقيق مروان العطية وآخرون، الناشر دار ابن كثير دمشق، تاريخ الطبع 1995،ط الأولى، ص. 345

45.الفراهيدي،الخليل،العين،تحقيق المخزومي والسامرائي،الناشر دار ومكتبة الهلال،تاريخ الطبع بلا، رقم الطبعة بلا، 94/5.

العلوم الزراعية

تأثير أشعة جاما على صبغيات الشعير (Hordeum vulgare L.) في الجيل الإشعاعي الثاني خلال الإنقسام غير الإختزالي

د. محمد علي الحاجي[1] د. راضية عمر الغزيوي[2] د. خالد الأخضر العيساوي[3] د. محمد رضا أبوشاقور[4]

1، 2، 3 و 4 : قسم المحاصيل ، كلية الزراعة ، جامعة طرابلس.

المستخلص

أجـــريت هذه الدراســـة في محطة الأبحاث ومعمل الوراثة بكلية الزراعة، جامعة طرابلس خلال الموسم الزراعي 2010-2011 لتقييم نباتات الجيل الإشعاعى الثاني لأربعة أصـــــناف وســـلالة واحدة من الشعير سداسي الصفوف (Hordeum vulgare L.) (Acsad-0 ،123 ،Gatara ،Arig-8 ،Rihane ،Mari/Atns*2). عرضـت البذور لجرعات من أشـعة جاما (100، 200، 300 و 400 جراي) ثم زرعت بحقل التجارب. حصـــدت بذور الجيل الإشعاعي الثاني ثم أنبتت في المعمل ودرست أطوار الإنقسام غير الإختزالي (Mitosis) لتقدير تأثير الأشعة على الإنحرافات الصبغية. إزدادت الإستجابة السيتولوجية للجرعات المستعملة طردياً مع زيادة جرعة الإشعاع في كل المعاملات. وحفزت الجرعات المستعملة من أشعة جاما مدى واسعاً من الشذوذ والإنحرافات الصبغية مثل التصاق وتلكؤ الصبغيات في الطور الإستوائي، إلى جانب تكون الصبغيات الحلقية والسلاسل الصبغية وظهور الأقطاب المتعددة. وتشكل الجسور الفردية والمزدوجة والشظايا عديمة القسيم المركزي في الطورين الإنفصالي والنهائي وتبعثر وعدم انتظام انفصال الصبغيات بالطورين الإستوائي والإنفصالي على التوالي، كما ظهرت خلايا ثنائية النواة وخلايا بأنوية دقيقة، وزادت نسبة هذه الشواذ والإنحرافات في كل المدخلات مع زيادة جرعة الإشعاع، وسجل التصاق الصبغيات أعلى نسبة انحراف في كل الجرعات الإشعاعية المستعملة لكل المدخلات المدروسة. استخدم مؤشر دليل الإنقسام غير الإختزالي (Mitotic Index) لتقدير تأثير أشعة جاما على معدل الإنقسام ، وكانت العلاقة بين دليل الإنقسام غير الإختزالي وجرعة الإشعاع عكســية، حيث انخفض هذا الدليل تدريجيــاً مع زيــادة جــرعة الإشعاع في كل الطرز الوراثية المستخدمة في هذه الدراسة.

خطة البحث

المقدمة وتشمل لمحة عامة عن أهمية استعمال المطفرات للتحسين الوراثي وعن أهمية الشعير كمحصول استراتيجي في ليبيا والدراسات السابقة في هذا المجال ثم ذكر إشكالية البحث ومبررات وأهمية الدراسة وأهدافها. ذكرت بعد ذلك المواد المستعملة في الدراسة وطريقة تصميم التجربة وطريقة إجرائها وتجميع النتائج منها والتحليل الإحصائي للنتائج. تعرض بعد ذلك نتائج البحث بشكل تفصيلي ومناقشة هذه النتائج على ضوء المعارف والدراسات السابقة ثم أخيرا الخروج بخلاصة وتوصيات مختصرة لهذه الدراسة.

المقدمة

يعد الإشعاع وسيلة آمنة ومؤكدة في استحداث الطفرات النباتية بالمقارنة بالمطفرات الكيميائية، ولذلك اهتم الكثير من الباحثتين باستخدام الإشعاع لإنتاج طفرات نباتية ناجحة أمكن استخدامها مباشرة كأصناف جديدة أو إدخالها في برامج التربية لتحسين الصفات التجارية للأصناف الحالية (3). وتعد التغيرات التي يحدثها الإشعاع في تركيب الصبغيات أو أشكالها من الظواهر المهمة لعلماء الخلية والوراثة، فالمعلومات التي يتم الحصول عليها في هذا الجانب تضيف أهمية بالغة تتعلق بالحساسية الإشعاعية لخلايا الكثير من الكائنات الحية، وبالتغيرات المتعلقة بتنظيم أو سلوك الصبغيات خلال عملية الانقسام (1). كما يستخدم الاختلال في الخصائص الطبيعية والكيميائية للسيتوبلازم وتثبيط الانقسام غير الاختزالي ومقدار الانحرافات الصبغية وكمية الطفرات الحاصلة في الجيل الأشعاعى الثاني والثالث كمؤشر لتقدير الحساسية الإشعاعية (1،15). واعتمدت هذه الدراسات في بداياتها على الأشعة السينية بصورة رئيسية، ثم أصبحت أشعة جاما هي السائدة فيما بعد وبدرجة أقل النيوترونات السريعة أو الحرارية (2).

يمثل الشعير (Hordeum vulgare L.) نموذجا ممتازا للدراسات البحثية لمعظم علماء الكيمياء الحيوية والفسيولوجيا و البيولوجيا الجزيئية والوراثة، خاصة الأبحاث المتعلقة بدراسة تأثير الإشعاع على الخلية الحية، وذلك لأهمية هذا المحصول واعتباره مادة تجريبية يسهل التعامل معها، كما أنه يحتوي على عدد قليل نسبيا من الصبغيات (2ن = 14)، بالإضافة لكبر حجم هذه الصبغيات إلى حد ما (6-8 ميكروميتر)، وحجم الجينوم 5.5 بيكو جرام/ الجينوم الأحادي وذلك يساوي 5.3×10^9 زوج قاعدة، وتكون التتابعات المتكررة 50-60% من الجينوم (11،16)

تناولت العديد من البحوث والدراسات التأثيرات الأولية للأشعة المؤينة على الكائنات الحية، حيث أظهرت وجود تباين في حساسية الكائنات الحية للأشعة المؤينة واحتلت النباتات وضعية وسطية بينها، ويعد تحديد الحساسية الإشعاعية للنباتات أمراً ضرورياً جدا لإختيار الجرعات المثلى التي تعطي تغيرات وراثية مرغوبة لاستخدامها في الدراسات الوراثية وتربية

النبات (1). و تتفاوت الأنواع النباتية في درجة حساسيتها للأشعة المؤينة، فقد وجد أن درجة تأثر الأنواع المختلفة التابعة لنفس الجنس بالإشعاع تختلف باختلاف التركيب الوراثى للأنواع من حيث عدد وحجم الصبغيات ، فقد وجد عموما أن الصبغيات صغيرة الحجم أكثر مقاومة للأشعاع من الصبغيات كبيرة الحجم، كما أن زيادة عدد الصبغيات يترتب عليه زيادة المقاومة للإشعاع وبالتالي فإن الأنواع السداسية أكتر مقاومة من الأنواع الرباعية وتلك أكتر مقاومة من الثنائية (2،31). ففي تجربة لدراسة مدى الحساسية الإشعاعية لخمسة أنواع نباتية (الخردل الأصفر واللفت والكتان والقمح والشعير) من جراء تشعيع بذورها بجرعات مختلفة من أشعة جاما تراوحت بين 100 و1600 جراي، وجد أن الشعير كان أكثر حساسية للتشعيع وأعزي ذلك لكبر حجم صبغياته و قلة عددها مقارنة مع الكتان والخردل الأصفر ذات الصبغيات صغيرة الحجم وكثيرة العدد (28). لوحظ أيضا أن الأنواع النباتية ذات البذور صغيرة الحجم أكثر تحملاً للإشعاع من الأنواع النباتية الأخرى ذات البذور كبيرة الحجم (2،3). ففي تجربة لدراسة حساسية 500 نوع نباتي للإشعاع وجد أن الشعير من المحاصيل المتوسطة الحساسية وأن الجرعة المميتة له هي 50 كيلو راد (1). وتتباين الحساسية الإشعاعية حتى ضمن أفراد النوع الواحد، ففي دراسة للحساسية الإشعاعية لمجموعة من أصناف الشعير لأشعة جاما، وجد أن أصناف الشعير تختلف فيما بينها في استجابتها للإشعاع، وأن أقل الأصناف مقاومة للإشعاع ظهرت به انحرافات صبغية بنسبة 48.8% أما أكثر الأصناف مقاومة للإشعاع فقد ظهرت بها انحرافات صبغية بنسبة 5.9% (24)

لقد أشارت أغلب الدراسات الجارية في هذا المجال إلى أن الطور الإنفصالي هو أفضل الأطوار لتسجيل كمية الإنحرافات الصبغية (22)، إلا أن البعض يعتقد أن الطور الأستوائي أكثر دقة من الطور الانفصالي في تحديد درجة الإنحرافات الممكن قياسها خاصة في بداية الانقسام غير الاختزالي لإنبات البذور (23). ويعتبر تجمع والتصاق الصبغيات والصبغيات الحلقية من أهم الإنحرافات الصبغية الملاحظة في الطور الأستوائى (17)، أما في الطور الإنفصالي فأن أغلب الإنحرافات الصبغية المسجلة خاصة في نبات الشعير هي الجسور والشظايا الصبغية، وقد لاحظ كالديكوت وسميث (22) أن معظم الجسور المتكونة والناتجة من الأشعة المؤينة كانت مزدوجة، والتي إما أن تكون منفصلة ومتوازية أو متلاصقة ومتقاطعة، وأحياناً متشابكة، وأيا كانت الجسور المتكونة مزدوجة (صبغية/ Chromosome bridge) أو مفردة (صبيغية/ Chromatid bridge) فهي أفضل معيار لقياس أثر الإشعاع (34)، أما الشظايا فهي إما أن تكون مفردة أو في أزواج أو مقترنة بتكوين الجسور (22). وتحصلت شلبي (5) على نتائج مشابهة عند تعريض بذور سلالتين من الشعير لجرعات مختلفة من أشعة جاما، حيث انخفض مؤشر الإنقسام غير الإختزالي مع زيادة الجرعة الإشعاعية. وهناك ارتباط خطي موجب بين الجرعة

المستعملة وعدد الأنوية الدقيقة المتكونة، كما وجد ارتباط مهم بين محتوى ح م ن لكل نواة وعدد الأنوية الدقيقة المتكونة بعد التشعيع (30).

يعتبر بناء الأحماض النووية من أكثر العمليات حساسية للإشعاع، ومن المعتقد أن العوامل التي تساعد على إتلاف مصادر الطاقة في الخلايا الحية تكون هي المسئولة عن تثبيط بناء الحامض النووي ح م ن وبالتالي تؤدى إلي تثبيط الانقسام غير الاختزالي (3،1). كما أن الأشعة المؤينة تعمل على تحفيز كسر الحلزون المزدوج للحامض النووي ح م ن وإعادة ربطه بطريقة خاطئة تؤدي إلى ظهور الإنحرافات الصبغية ويعتمد مسار إنتاج هذه الإنحرافات على جرعة الإشعاع ونوعيته و نسبيا، على مدى إحكام حزمة الأشعة (25). ففي دراسة على فعالية أشعة جاما في استحداث كسور في الجدائل الفردية من ح م ن في بذور الشعير الساكنة (25)، لوحظ وجود علاقة خطية موجبة بين عدد كسور الجدائل الفردية المستحدثة لكل جرام ح م ن وجرعة الإشعاع المستعملة، كما حدث انخفاض في سرعة الترسيب لعينات ح م ن في بذور الشعير الساكنة المشععة بجرعات (10 و20 و30 و40 كيلوراد) على النحو التالى: 80، 70، 40، 30 %، على التوالي عن الشاهد. وفي دراسة مماثلة على إصلاح كسور الجدائل الفردية من ح م ن المستحدث بأشعة جاما في أجنة الشعير(32)، لوحظ إصلاح واضح في الكسور المستحدثة في الأجنة المشععة خلال ساعتين بعد النقع، كما لوحظ انخفاض في الوزن الجزيئي من ح م ن من 0.93×10^{-8} دالتون في الجنين الجاف غير المشعع إلي 0.15×10^{-8} دالتون في الجنين المشعع بالجرعة 30 كيلوراد، هذا الانخفاض في الوزن الجزيئي يعود إلي 0.52×10^{-8} دالتون يسبب الإصلاح، كما أن نسبة الإصلاح كانت 64% عند 25مْ و43% عند 2مْ.

إشكالية البحث: تعد إنتاجية وحدة المساحة من المحاصيل الإستراتيجية في ليبيا خاصة محاصيل الحبوب متدنية جدا ولا يمكن الإعتماد عليها لتوفير الأمن الغذائي للدولة وبهذا كان من الضروري العمل على إيجاد السبل التي تؤدي إلى رفع كفائة القدرة الإنتاجية لهذه المحاصيل باستعمال طرق تربية النبات المختلفة والتي من بينها إيجاد طفرات مفيدة باستعمال الأشعة المؤينة.

مبررات وأهمية البحث: إن الغرض من اللجوء إلى استخدام الإشعاع هو تحفيز الإنحرافات الصبغية واستحداث طفرات تزيد في توفير المصادر الوراثية الجديدة اللازمة لبرامج تربية وتحسين المحاصيل الزراعية. حيث تظهر معظم هذه التباينات التي يسببها الإشعاع في الجيل الإشعاعي الثاني (M2)، ولهذا تبدأ برامج تربية الطفرات عادة من هذا الجيل، حيث تنعزل فيه الطفرات بشكل مستقل وتكون متماثلة وراثيا.

أهداف البحث: هذه الدراسة تهدف لتقييم الإنحرافات الصبغية الناتجة عن أشعة جاما في أطوار الإنقسامات الخلوية لأربعة أصناف وسلالة واحدة من الشعير وتحديد مدى حساسية نباتات الجيل الإشعاعي الثاني (M2).

مواد وطرائق البحث

أجريت هذه الدراسة بمحطة الأبحاث ومعمل الوراثة بقسم المحاصيل كلية الزراعة، جامعة طرابلس خلال الموسم الزراعي 2010 – 2011 بهدف تقييم نباتات الجيل الإشعاعي الثاني لأربعة أصناف وسلالة واحدة من الشعير (Hordeum vulgare.L)، وهي Acsad– 1230 ، Gatara ، Arig–8 ، Rihane و Mari/Atns*2 . عرضت بذور هذه التراكيب الوراثية لأربعة جرعات من أشعة جاما (100 ، 200 ، 300 و 400 جراي) ثم زرعت في حقل محطة أبحاث كلية الزراعة وعند نضج النباتات حصدت بذور الجيل الإشعاعي الثاني وأجريت لها تجربة إنبات بالمعمل لدراسة الإنحرافات الممكن الحصول عليها خلال الإنقسام غير الإختزالي حسب الخطوات التالية:

1 – الإنبات:

استخدم للإنبات أطباق زجاجية متوسطة الحجم (قطر 9 سم) عقمت هذه الأطباق في درجة حرارة 180مْ لمدة ثلاث ساعات، أما أوراق الترشيح فعقمت تحت ضغط بخاري 1 بار لمدة عشرين دقيقة.زرع بكل طبق عشر بذور سبق تعقيمها في محلول هيبوكلورات الصوديوم بتركيز 10٪ لمدة خمس دقائق، كما استعمل ماء مقطر ومعقم لترطيب أوراق الترشيح داخل الأطباق واستعمل لكل معاملة 5 مكررات (أطباق) ثم وضعت الأطباق في حضان درجة حرارته 20 درجة مئوية.

2– التثبيت:

قطعت قمم الجذور النامية من باذرات المعاملات المختلفة بطول 0.5 – 1.5 سنتيمترا، وأجريت لها معاملة التثبيت في محلول حامض الخليك الكحولي (ثلاث أجزاء كحول إيثيلي مطلق إلى جزء واحد من حامض الخليك الثلجي)، وبعد 24 ساعة نقلت الجذور إلى كحول إيثيلي 70% وحفظت.

3– الإماهة:

وضعت جذور المعاملات المطلوبة للفحص في حامض الهيدروكلوريك (1 عياري) داخل حمام مائي درجة حرارته 60 مْ لمدة 10 دقائق، ثم غسلت الجذور بعدها مباشرة بماء مقطر، لتصبح جاهزة للإستعمال.

4- تصبيغ وإعداد الشرائح:

أخذت القمم النامية لثلاث جذور مختلفة من مكررات المعاملة الواحدة للأصناف و السلالة، ووضعت على شرائح زجاجية ، وهرست في صبغة الأسيتوكارمن 2%، وغطت بالغطاء الزجاجي وجففت الصبغة الزائدة بورق ترشيح .

5- الفحص المجهري:

فحصت الشريحة للتعرف على سلوك الصبغيات وملاحظة أي انحرافات صبغية في الطورين الإستوائي والإنفصالي وتسجيل البيانات التالية:

5 . 1: نسبة الانحراف:

سجل عدد الخلايا المنقسمة وعدد الخلايا المنحرفة، وحددت نسبة الخلايا المنحرفة باستعمال المعادلة التالية (6): نسبة الإنحراف (%) = (عدد الخلايا المنحرفة)/ (عدد الخلايا المنقسمة) × 100.

5 . 2: مؤشر الإنقسام غير الإختزالي Mitotic Index:

مؤشر الإنقسام غير الاختزالي(MI) هو عبارة عن نسبة عدد الخلايا المنقسمة إلى العدد الكلى للخلايا المسجلة معبراً عنها بنسبة مئوية (7). ومؤشر الإنقسام غير الإختزالي (%) = (عدد الخلايا المنقسمة)/ (العدد الكلى للخلايا) × 100. وحسب العدد الكلي للخلايا وعدد المنقسم منها باستخدام طريقة العد المجهري المباشر(4).

6- التصوير الضوئى:

لتوثيق الإنحرافات الصبغية المسجلة ومقارنتها بالخلايا الطبيعية أخذت بعض الصور الضوئية المجهرية لبعض الخلايا المنقسمة الطبيعية وكذلك الخلايا التي حدثت بها انحرافات صبغية بواسطة جهاز التصوير Automatic letiz Dialux 20، الذي يركب مع كاميرا 35 مليمتراً، واستعملت أفلام AGFA أو SOLARIS الملونة.

النتائج والمناقشة

يتضح من هذه الدراسة أن العلاقة بين مؤشر الإنقسام غير الإختزالي وجرعات الإشعاع المستخدمة كانت علاقة عكسية (جدول 1)، وهذا يتفق مع النتائج المتحصل عليها في دراسات سابقة عند معاملة نباتات مختلفة بأشعة جاما (12،14،33). وبمقارنة مؤشر الإنقسام للأصناف المختلفة لوحظ انخفاض هذا المؤشر تدريجياً مع زيادة جرعة الإشعاع، وأعطى الصنف-Acsad

1230 أعلى مؤشر انقسام عند كل الجرع المستعملة، وهذا يعكس مدى درجة تأثر الأصناف الأخرى بالإشعاع مقارنة بالصنف Acsad-1230. وقد اعتبر الانخفاض في مؤشر الانقسام غير الاختزالي تأثيراً عاما يحفز بالأشعة المؤينة وهو مرتبط مع الأضرار السيتولوجية الكلية للصبغيات (20،27). كما اقترح سكوت (27) أن تثبيط الانقسام غير الاختزالي بالإشعاع أو المطفرات الكيميائية ربما يعزى لإغلاق الدورة غير الاختزالية (Mitotic cycle) خلال الطور البيني التي قد تنتج من امتداد فترة النمو الثانية G2 أو تثبيط تصنيع ح م ن، بينما أشار داتا وآخرون (12) إلى أن سبب النقص في عدد الخلايا المنقسمة ربما يرجع إلى تثبيط الطور التمهيدي واضطراب في عمل المغزل. وبشكل عام فان التغيرات في تكرار الخلايا المنقسمة تعد دليلاً وعلامة لدرجة ونوع الضرر الناتج من الإشعاع، فقد وجد أن تثبيط الانقسام غير الاختزالي له علاقة وطيدة بالانخفاض في كمية ح م ن وح ر ن (10)، كما اعتقد أن العوامل التي تساعد علي إتلاف مصادر الطاقة في الخلية تكون هي المسئولة عن تثبيط تكاثر الحامض النووي ح م ن وبالتالي تثبيط الانقسام (3). كما تم تقدير نسبة الانحرافات الصبغية المستحدثة بأشعة جاما في الانقسام غير الاختزالي للطرز الوراثية المدروسة وتبين من الدراسة المفصلة لأطوار الانقسام المختلفة أن الاستجابة السيتولوجية للجرعات المستعملة تزداد طردياً مع زيادة جرعة الإشعاع في كل المعاملات، و جدول 1 يوضح نتائج تأثير الجرعات المستعملة بالجراى علي نسبة الانحراف الكلية للصبغيات للأصناف والسلالة المختبرة حيث يمكن الاستنتاج أن السلالة Mari/Atns*2 والصنف Rihane كانا أكثر حساسية للإشعاع مقارنة بباقي الأصناف المختبرة. فقد يرجع هذا بسبب الاختلاف في حساسية سلالات النوع الواحد إلي الاختلاف في كمية ح م ن، برغم من أنها تكاد تكون متطابقة بكل منها (18). الجرعات المستعملة من أشعة جاما حفزت مدى واسعا من الانحرافات الصبغية كلزوجة وتلكؤ الصبغيات والصبغيات الحلقية عند الطور الأستوائى، وتشكل الجسور الفردية والمزدوجة في الطورين الانفصالي والنهائي وشظايا عديمة القسيم المركزي، وتبعثر وعدم انتظام الصبغيات بالطورين الأستوائى والانفصالي على التوالي، كما ظهرت خلايا ثنائية النواة، وخلايا بأنوية دقيقة في الطورين البيني والنهائي. إلى جانب ظهور سلاسل صبغية Chained chromosomes والاستوائي متعدد الأقطابMultipolar metaphases والتضاعف الصبغى Polyploidy (جدول 1). وقد بينت هذه الدراسة ازدياد الإنحرافات الصبغية في كل من الأصناف والسلالة مع زيادة جرعة الإشعاع، فقد كانت أعلى نسبة لمعظم الإنحرافات عند الجرعة 400 جراى. التصاق الصبغيات (شكل1-أ)، وهو أحد المظاهر السائدة في الطور الاستوائي لخلايا قمم الجذور، سجل أعلى نسبة ظهور عند كل الجرعات المستعملة، وسجلت أعلى نسبة في السلالة Mari/Atns*2 والصنف Acsad-1230 عند الجرعة 400 جراي فكانت 0.85% و0.82% على التوالي ، بينما أعطت الأصناف Gatara و8-Arig

وRihane 0.72% و0.67% و0.60%، على التوالي عند نفس الجرعة. ويعد التصاق الصبغيات أول المظاهر المرئية سيتولوجياً لتأثير الإشعاع على الصبغيات (33)، وعادة يحدث الالتصاق بين الصبغيات في الطور الاستوائي حين تتخذ الصبغيات مواقعها في محيط المغزل وتترتب بانتظام ثابت فيحدث التلامس بينها، ويعزى التغير في لزوجة الصبغيات والتغير في خواص سطحها إلى التأثير الفسيولوجي للإشعاع (3) أو ربما يكون ناشئا عن طي خاطئ للألياف الصبغية في الصبيغي المفرد والصبغي (8). لقد كانت الصبغيات الحلقية (شكل1– ب) والأقطاب المتعددة (شكل1–ج)، أهم الإنحرافات الصبغية المشاهدة في الطور الإستوائي بحيث ظهرت أعلى نسبة لهما في الصنف Gatara عند الجرعة 400 جراى (0.546%، 0.364% على التوالي)، كما لم تسجل ظاهرة الإستوائي متعدد الأقطاب في الصنف Acsad–1230 في كل الجرعات المستعملة. وتشكل الصبغيات الحلقية ينتج عن حدوث كسر في ذراعي الصبغي الواحد الذي يعقبه التحام النهايات المكسورة للصبيغيات الشقيقة (شكل2– أ). إن التفسير الأكثر قبولاً لتشكل الإستوائي متعدد الأقطاب والتوزيع غير المتساوي للصبغيات هو أنه ربما يكون ناتجا عن تشكل أكثر من قطبين يعقبه تطور أكثر من مغزل واحد. وحالة تعدد الأقطاب حددت بموقع وعدد الأقطاب بالخلية، وعدد الأقطاب في الخلية يعتمد على موقع تجمع أو تركيب ح ر ن وعديدات التسكر التي تبقى معكرة في الهلام. من خلال الدراسة لوحظ تشكل الجسور الصبغية في الطورين الإنفصالي والنهائي، ومعظم هذه الجسور كانت فردية (شكل1– د) والقليل منها مزدوجة (شكل1– هـ) والجسور المزدوجة يمكن أن تكون متقاطعة(شكل1–ح) أو مفصولة وشبه متوازية(شكل1– ز)، وكانت أعلى نسبة سجلت للجسور الفردية في الصنف Arig–8 عند الجرعة 400 جراي فكانت 0.33% بينما كانت أعلى نسبة سجلت للجسور المزدوجة

جدول 1. دليل الإنقسام غير الإختزالي والنسب المئوية للإنحرافات الصبغية الكلية وأنواعها المختلفة والظواهر غير الطبيعية المحفزة بجرعات من أشعة جاما في أربعة أصناف و سلالة من الشعير

الصنف أو السلالة	جرعة الإشعاع (Gy)	عدد الخلايا الكلي	عدد الخلايا المنقسمة	دليل الانقسام غير الاختزالي% ±SE	عدد الخلايا المنحرفة	النسبة المئوية للانحراف ±SE	النسبة المئوية للأنواع المختلفة من الانحراف بالنسبة للعدد الكلي للخلايا المنقسمة									
							التصاق	الصبغيات الحلقية	تبعثر في الصبغيات	متعددة الأقطاب	عدم انتظام في الانفصال	تلكؤ	جسر فردي	جسر مزدوج	شظايا	خلايا ثنائية النواة	أنوية دقيقة
Acsad-1230																	
	100	41081	2967	22.7±54.1	33	0.94±0.65	0.427	—	0.342	—	—	—	—	—	—	0.17	—
	200	50463	3043	03.6 ± 42.1	41	1.3±1.19	0.5	0.083	0.42	—	—	—	0.083	—	—	0.25	—
	300	52491	2916	5.56±1.8	56	1.9±0.60	0.61	0.174	0.522	—	—	—	0.17	—	—	0.435	—
	400	64157	2789	4.35±0.47	76	2.73±1.03	0.82	0.273	0.73	—	0.091	—	0.273	—	—	0.546	—
المتوسط		52048	75.2928	5.79±1.19	5.51	1.72±0.78	0.59	0.133	0.504	—	0.023	—	0.132	—	—	0.35	—
Gatara																	
	100	70496	3474	4.93±0.38	38	1.1±0.709	0.219	0.146	0.292	0.146	0.15	—	—	—	—	0.146	—
	200	72778	3373	4.60±0.47	61	1.8±0.85	0.376	0.226	0. 451	0.226	0.23	—	—	—	—	0.301	—

—	0.42	0.168	—	0.084	—	0.34	0.252	0.67	0.42	0.588	2.9±1.1	89	4.30±0.52	3018	69989	300	
—	0.455	0.273	—	0.182	—	0.36	0.364	0.818	0.546	0.727	3.73±1.296	104	3.85±0.54	2789	72525	400	
—	0.331	0.11	—	0.067	—	0.27	0.247	0.558	0.335	0.478	2.38±1.16	73	4.42±0.46	5.3163	71447		المتوسط
																	Arig-8
—	.0582	—	—	—	—	—	—	—	—	0.291	0.349±0.51	15	4.59±0.81	4356	94840	100	
—	0.152	—	—	0.075	—	—	—	—	—	0.38	0.61±0.89	20	4.50±0.93	3341	74210	200	
—	0.31	0.102	—	0.102	—	0.2	0.204	0.511	0.2	0.613	2.25±0.87	56	4.10±0.76	2482	61114	300	
—	0.417	0.333	—	0.33	0.167	0.25	0.25	0.583	0.25	0.667	3.2±1.35	99	3.68±0.78	3043	82668	400	
—	0.234	0.109	—	0.127	0.042	0.113	0.113	0.274	0.113	0.488	1.6±1.36	5.47	4.2±0.42	5.3305	78208		المتوسط
																	Rihane
0.179	0.179	0.089	—	—	—	0.089	0.089	0.268	0.179	0.268	1.34±1.18	38	4.59±0.69	2840	61874	100	
0.336	0.42	0.17	—	—	0.084	0.252	0.168	0.504	0.252	0.42	2.6±1.65	78	4.53±0.58	3018	66692	200	
0.41	0.492	0.25	0.082	0.082	0.164	0.328	0.246	0.656	0.328	0.574	3.6±0.994	111	4.45±0.67	3094	69482	300	
0.451	0.526	0.301	0.15	0.226	0.226	0.376	0.301	0.752	0.376	0.602	4.3±1.38	145	4.35±0.48	3373	77597	400	
0.344	0.4	0.203	0.058	0.077	0.119	0.261	0.201	0.545	0.284	0.466	2.96±1.29	93	4.48±0.10	25.3081	3.68911		المتوسط

Mari / Atns*2																
	100	49702	2637	5.3±0.72	38	1.44±1.3	0.48	0.096	0.577	—	0.096	—	0.096	—	—	0.096	—
	200	65425	2939	4.49±0.8	63	2.16±0.76	0.6	0.173	0.604	0.086	0.17	0.086	0.173	0.086	—	0.173	—
	300	57310	2434	4.25±0.69	76	3.13±1.4	0.83	0.313	0.729	0.104	0.31	0.10	0.208	0.21	—	0.313	—
	400	68468	2663	3.89±0.58	106	4.0±1.24	0.85	0.381	0.952	0.191	0.38	0.19	0.286	0.29	—	0.476	—
المتوسط		25.60226	25.2668	4.48±0.60	75.70	2.68±1.12	0.69	0.241	0.716	0.095	0.239	0.094	0.191	0.147	—	0.264	—

SE : الخطاء القياسي. قيمة أقل فرق معنوي عند مستوي معنوية 1% للمقارنة بين الجرعات = 0.3848 %. الأصناف= 0.4302 % . تداخل الجرعات مع الأصناف = 0.8605 %.

في السلالة Mari/Atns*2 0.29%عند نفس الجرعة، ولم يلاحظ ظهور الجسور المزدوجة في الأصناف Acsad-1230 ،Gatara ،Arig-8 عند كل الجرع المستعملة، وتشكل جسور الطور الإنفصالي ربما ينشأ من كسر وإعادة التحام النهايات المكسورة على مواضع أخرى، وهذا النوع من الجسور يستمر ظهوره حتى الطور النهائي المبكر (27،8). الشظايا عديمة القسيم المركزي أمكن ملاحظتها في الطورين الإستوائي والإنفصالي، وتكون عادة مقترنة بجسر (شكل1- ح) أو مفردة (شكل1- ط) أو في أزواج (شكل1- ي)، ويتراوح حجم هذه الشظايا، بشكل عام، من النقاط الدقيقة إلى حجم الصبغي الكامل تقريباً. وسجلت أعلى نسبة للشظايا في الصنف Arig-8 و Gatara 0.33% و0.30% على التوالي عند الجرعة 400 جراي، بينما لم تظهر الشظايا في الصنف Acsad-1230 و السلالة Mari/Atns*2 عند كل الجرع المستعملة، وهذا يعكس درجة مقاومة صبغياتها للكسر أو سرعة إلتئام الكسور الصبغية فيها. وتعد الشظايا والجسور نتائج مباشرة لكسر وإعادة التحام النهايات المكسورة بشرط عدم مرور وقت طويل بين التشعيع والإنبات (34). ويمكن تفسير ذلك حسب ميكانيكية الكسر وإعادة الالتحام التي اقترحها ساكس (26) والتي ترتكز على أساس أنه إذا كانت الصبغيات جدائل مفردة أو متضاعفة أثناء التعرض للإشعاع فينتج عنها انحرافات صبغية أو صبيغية على التوالي. ظاهرة تلكؤ الصبغيات كانت من ضمن الإنحرافات الصبغية المسجلة في الأطوار الإستوائي (شكل2- ب) والإنفصالي(شكل2- ج) والنهائي(شكل2- د) على التوالي، وهو بطأ وتأخر في حركة الصبغيات. فقد كانت أعلى نسبة له في الصنف Rihane (0.226%) عند الجرعة 400 جراي وقد أعزي التلكؤ إلى تأثير الإشعاع على خيوط المغزل (19). التبعثر وعدم انتظام توجه الصبغيات ظهر في كل من الطورين الإستوائي والإنفصالي على التوالي، فقد سجلت أعلى نسبة لتبعثر الصبغيات (شكل2- هـ، و) في السلالة Mari/Atns*2 والصنف Gatara حيث كانت 0.952% و0.818% على التوالي عند الجرعة 400 جراي، بينما سجلت أعلى نسبة لظاهرة عدم انتظام توجه الصبغيات(شكل2- ز) في السلالة Mari/Atns*2 والصنف Arig-8 فكانت 0.38%و0.37% على التوالي عند نفس الجرعة. وتعزى هاتان الظاهرتان إلى عجز وقصور في تكوين الخيوط المغزلية بسبب تأثير الأشعة المؤينة على توليف البروتينات المسئولة عن الجهاز المغزلي (27). ظاهرة الخلايا ثنائية النواة سجلت في الطورين البيني والنهائي (شكل2، ح، ط)، وكانت أعلى نسبة لها في الصنفين Acsad-1230 ،Rihane (0.546 ، 0.526%) على التوالي عند الجرعة 400 جراي. وقد أعزي تشكل الخلايا ثنائية وثلاثية ورباعية الأنوية إلى تثبيط انقسام السيتوبلازم (29). الأنوية الدقيقة (شكل2- ي) نذر وجودها، فلم تظهر إلا في الصنف Rihane عند كل الجرعات وكانت أعلى نسبة لها عند الجرعة 400 جراي حيث كانت

0.451%. وهذه الانوية الدقيقة تتواجد عادة في الطور البيني، ويرجح أنها صبغيات أو شظايا متلكئة (9). كذلك سجلت أنواع أخرى من الإنحرافات الصبغية اشتملت على السلاسل الصبغية والتي يعزى تكونها إلى تأثير الإشعاع على الأطراف Telomeres الصبغية مما يؤدي إلى لزوجتها العالية والتصاقها ببعضها مكونة سلاسل صبغية (35). التضاعف الصبغى Polyploidy كان من ضمن الظواهر المسجلة، ويرجع تكونها إلى تأثير الإشعاع على الخيوط المغزلية أو لإخفاق الخلية في المرور إلى الطور الانفصالي (2). إلى جانب ذلك، لوحظ تحلل المادة الوراثية في الطورين الإستوائي والإنفصالي والتي فسرت على أساس أن الإشعاع يعمل على تحفيز كسر الحلزون المزدوج مما يؤدي إلى تحلله بإنزيمات الإندونيوكلياز Endonuclease التي تقوم بتحليل الأحماض النووية بإحداث كسور داخلية (13،21).

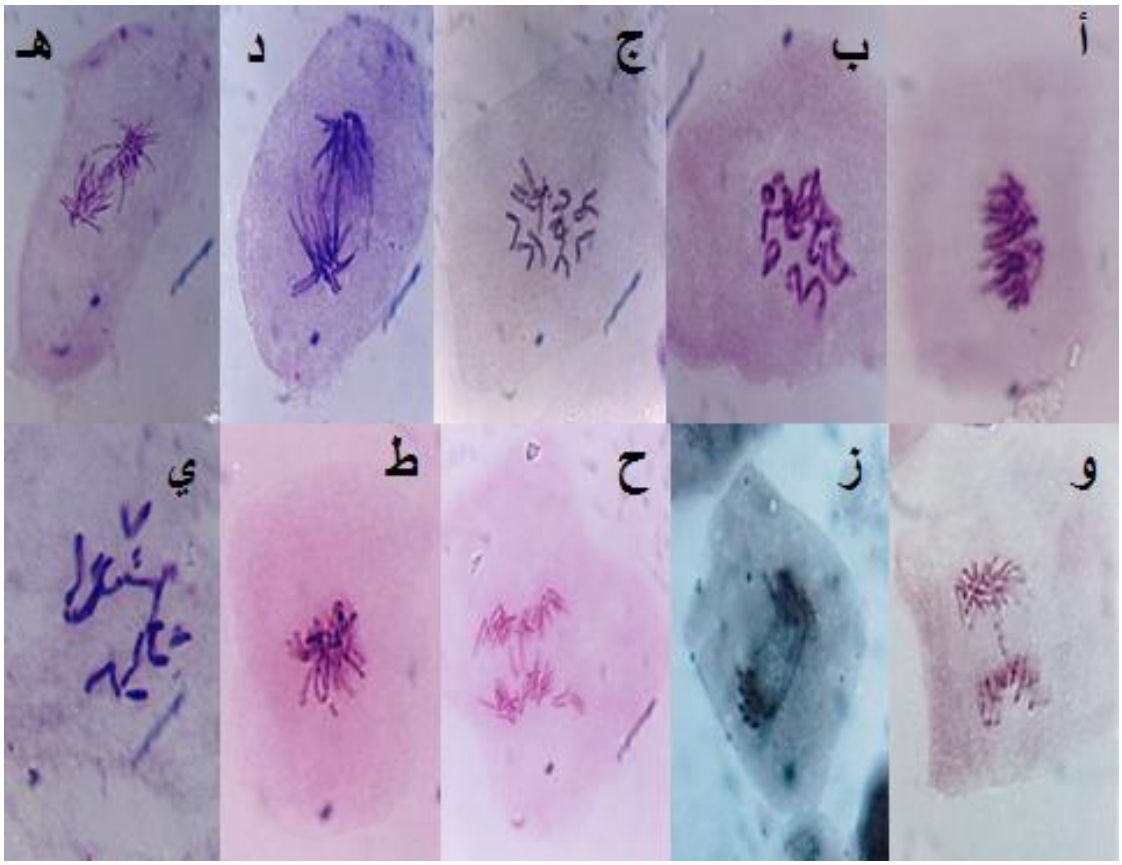

شكل1. الإنحرافات الصبغية المستحدثة بأشعة جاما في الانقسام غير الاختزالي، (أ) التصاق الصبغيات في الطور الاستوائي. (ب) حلقة صبغية في الطور الاستوائي. (ج) طور إستوائي متعدد الأقطاب. (د) جسر مفرد في الطور الإنفصالي. (هـ) جسر مزدوج متوازي في الطور الإنفصالي.(و) جسر مفرد في الطور النهائي. (ز) جسر مزدوج متوازي في الطور النهائي. (ح) جسر مزدوج متقاطع مع شظية صبغية مزدوجة في في الطور الإانفصالي . (ط) شظية صبغية مفردة في الطور الإستوائي. (ي) شظية صبغية مزدوجة في الطور الإستوائي.

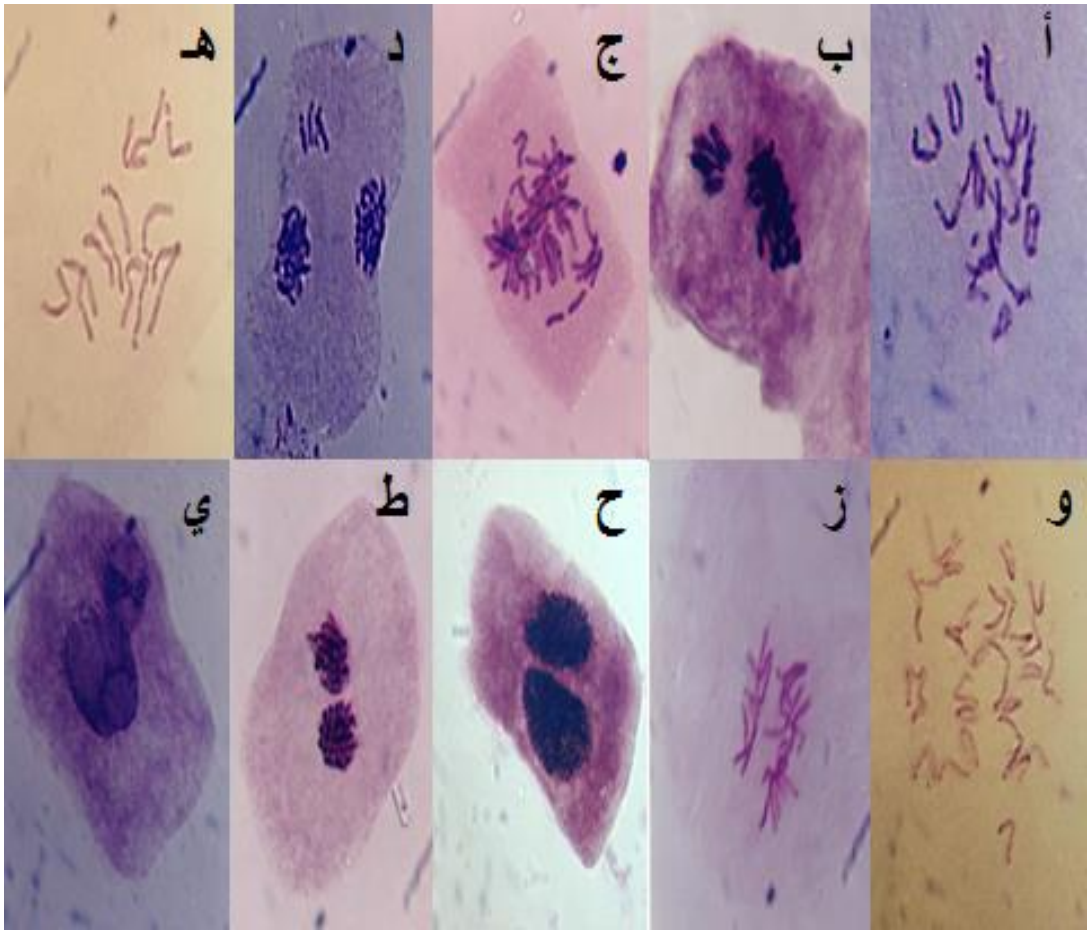

شكل 2. الإنحرافات الصبغية المستحدثة بأشعة جاما في الانقسام غير الإختزالي، (أ) شظية صبغية مزدوجة مع حلقة صبغية في الطور الإستوائي (ب) صبغيات متلكئة في الطور الإستوائي. (ج) صبغيات متلكئة في الطور الإنفصالي. (د) صبغيات متلكئة في الطور النهائي. (هـ) تبعثر الصبغيات في الطور الإستوائي. (و) تبعثر وعدم انتظام انفصال الصبغيات في الطور الإنفصالي. (ز) عدم انتظام توزيع الصبغيات في الطور الإنفصالي. (ح) خلية ثنائية النواة في الطور البيني. (ط) خلية ثنائية النواة في الطور النهائي. (ي) نواة دقيقة Micronucleus في الطور البيني في الطور الإنفصالي.

الخلاصة

أشارت النتائج المتحصل عليها إلى علاقة عكسية بين مؤشر الإنقسام غير الإختزالي والزيادة في الجرعة الإشعاعية وقد كان الصنف Acsad-1230 الأقل تأثرا. وبشكل مماثل فإن نسبة الإنحرافات الصبغية بصفة عامة قد ازدادت مع زيادة شدة الجرعة الإشعاعية خاصة عند الجرعة 400 جراي. لقد كانت السلالة Mari/Atns*2 و الصنف Rihane أكثر

المدخلات حساسية للإشعاع. تلخصت هذه الانحرافات الصبغية في لزوجة وتلكؤ الصبغيات والصبغيات الحلقية عند الطور الأستوائى، وتشكل الجسور الفردية والمزدوجة في الطورين الإنفصالي والنهائي وشظايا عديمة القسيم المركزي، وتبعثر وعدم انتظام الصبغيات بالطورين الأستوائى والانفصالي على التوالي، كما ظهرت خلايا ثنائية النواة، وخلايا بأنوية دقيقة في الطورين البيني والنهائي إلى جانب ظهور سلاسل صبغية Chained chromosomes والاستوائي متعدد الأقطابMultipolar metaphases والتضاعف الصبغى Polyploidy.

المراجع

أولاً المراجع العربية:-

1- إبراهيم، إسكندر فرنسيس ،1990. تطبيقات التقنيات النووية في الدراسات النباتية. منشورات منظمة الطاقة الذرية العراقية , بغداد .

2- المشري، صالح محمد وبسام الصفدى ،1995. استخدام التقنيات النووية في تحسين الإنتاج النباتي . منشورات الهيئة العربية للطاقة النووية ,تونس.

3- تكنولوجيا الإشعاع في الأغذية والزراعة،1996. المنظمة العربية للطاقة الذرية، الخرطوم .

4- سيالة، عبد الرؤوف حموده،1990. مذكرات في البكتريولوجيا العملية.ELGA، بيرن .

5- شلبى، فاطمة ،2001. دراسة تأثير أشعة جاما على صبغيات الشعير Hordeum vulgare L. دراسة خلوية. رسالة الإجازة العالية (الماجستير)، كلية الزراعة، جامعة طرابلس، طرابلس.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:-

6- Abdel-Rahem. A. T. and P. A. K. Ragab, 1989. Somatic chromosomal aberration induced by benzoyl phenyl urea (XRD437and IKI7899) in Vicia faba L. and Hordeum vulgar . L .Cytologia , 54:627-634

7- Abo-el-Khir, Z. A. and G . M. Abo-el-Khir, 1992. Cytological effect of certain active constituents of peganum harmala L.1.effect harmol and harmin alkaloids on mitosis of Allium cepa .J. hinysaud univ .Science; 4(1)37-45

8- Akhter, F. N.; G. Kabir.; M. A. Mannan. and N. N. Shaheen, 1992. Aging effect of wheat and barley seeds upon germination mitotic index and chromosomal damage. Journal of Islamic Academy of Sciences, 5:44-48

9- Amer, S. M. and Odett R, Farah, 1985. Cytological effects of pesticides. XV Effect of the insecticide methamidophos on root-mitosis of Vicia faba L. Cytologia, 50:521-526.

10- Badr, A, 1986. Effect of the S. Triazine herbicide turbutryn on mitosis chromosomes and nucleic acid in root tips of Vicia faba . Cytologia, 51:571-577.

11- Briggs. D. E, 1978. Barley. John Wiley and Sons Inc New York, USA.

12- Datta, Animesh. K and Amal K. Biswas, 1986. Cytogenetic studies in two induced leaf mutant lines of Nigella sativa L . Cytologia, 51:309-317.

13- EL-Metaing. A.; M. Takagi.; S. Tan and H. Yamayuchi.1971. Radiation induced single-strand breaks in the DNA of dormant barley seeds. Mutation Res, 13:337-344.

14- Encev, J. A. B. and P. Fedin, 1970. Cytogenetic, physiological and biochemical changes in barley after irradiation with γ-rays and neutrons.Pl. Breeding Abs.140. (4):pp979.

15- Gong, Bendi.; Quan Chea and Almasan, 1998. Ionizing radiation stimulates mitochondria gene expression and activity. Radiation Res.150(5):505-512.

16- Grosch, Daniel. S. and E. H. Larry, 1979. Biological effect of radiation. Academic Press, London, UK.

17-Gozukirizi, N, 2003. Pioneering biotechnological works on Hordeum vulgare L. CVS performed in collaboration with the Istanbul University, Biology Department and the Tubitak Research Institute for Genetic Engineering and Biotechnology. Turk. J. Bot, 27:243-248.

18- Haque, M. Z and M. B. E. Godward, 1986. Comparison between two genera, species and cultivars in Lactuceae. IV. Effect of seed-irradiation on mitosis. Cytologia, 51:349-357.

19- Jones, Emma and Anna Morris, 1998.Cell Biology and Genetics. Mosby, London, UK.

20- Kaur , P. and I. S. Grover, 1985. Cytological effects of some organophosphorus pesticides, I. Mitotic effects. Cytologia, 50:187-197.

21- Kuzin, A. M.; A.V. Mal tsev and B. A. Seise, 1970. Effect of ionizing radiation on the content of hestones and DNA in nuclei of plant cells .Radiobiologiya,10:103-105.

22- Manual on Mutation Breeding, 1977. Technical Reports Series, International Atomic Energy Agency, Vienna, No-119.

23- Nicoloff, H. and K. Gecheff, 1976. Methods of scoring induced chromosome structural changes in barley. Mutation Res.34:233-244.

24- Pastushenco-sterelets, N. A.1980. Duration of mitotic cycle in root tips of barley seedling with different radiosensitivity.Pl. Breeding Abst. l50, 5.

25- Ruiz, D. R. and B. R. Garay, 2002. Aberrat meiotic behaviour in Agave tequilana Weber var. azul. BMC Pl. Bio. l2:1-4.

26- Sax, K, 1940. An analysis of induced chromosomal aberration in tradescantia. Genentics. 25:41-68.

27- Scott, D, 1968. The additive effect of X-ray and maleic hydrazidein inducing chromosomal aberrations at different stages of the mitotic cycle in Vicia faba L. Mutat. Res. 5:65-92.

28- Sflab, 2001.Irradiation seeds. Riso. Res. Cent. DK-4000 Roskilde. Denmark.

29- Somashekar , R. K.; M. T. Gowda and P. Venkatasubbaiah, 1984 . Cytological effects of fungicide topsin in Allium cepa L. Cytologia .49:171-175.

30-Sparchez, C.; V. Soran. and Z. Uray, 1979.The effect of X-ray on root meristems of broad bean(Vicia faba L.)II variation of micronuclei number after irradiation. Rev. Rou. Biol.Veg.24(1):51-54.

31- Sparrow, A. H.; R. C. Sparrow.; K. H .Thompson and L. A. Schairer, 1965. The use of nuclear and chromosomal variables in determining and predicting radiosensitivities. Supplement to Radiation Bot. 5:101-132.

32- Tano, S. and H. Yamaguchi, 1977. Repair of radiation induced single strand breaks in DNA of barley embryo. Mutation Res. 4:71-78.

33- Tarar, J. L. and V. R. Dnyasagar, 1983. Gamma-ray and ethyl methane sulphonate induced mitotic abnormalities in Turner ulmifolia Linn .var anyustifolia willd. Cytologia. 48:459-465.

34- Yagyu, P. and R. Morris, 1957.Cytogenetic effects of X-ray and neutrons on dormant tomato seeds. Genetics. 42:222-238.

35- Yuffa, A. M..; R. F. Da silva.; L. Rios and N. X. de Enrech, 2000. Mitotic aberration in coffee (Coffea arabica cv. catimor) leaf explants and their derived embryogenic calli. Issue of August. 3.2:161-166.

ABSTRACT

This study was carried out at the experimental station and the genetics laboratory of the College of Agriculture, University of Tripoli during the 2010/2011 growth season to evaluate the irradiated M2 generations of four cultivars and one strain of six-rowed barley (Hordeum vulgare L.) (Acsad-1230, Gatara, Arig-8, Rihane and Mari/Atns*2). Seeds were exposed to four levels of gamma radiation (100, 200, 300 and 400 Gray) and planted in the experimental field. Seeds of M2 generation were harvested and germinated in the lab and mitosis cell division stages were studied to determine chromosomal abnormality and Mitotic Index. Gamma rays stimulated a wide range of anomalies such as, sticky, laggards chromosomes on metaphase. In addition, the appearance of ring formations, multipolars, bridges (double and single) and pericentric fragments on metaphase and anaphase. As well as disturbance chromosomes, binucleate cells and micronuclei cells were observed. These anomalies were observed in all tested materials, but sticky cells were the highest percentage of all radiation doses. Mitotic Index was affected by the increase of radiation dose, where there was a reverse relationship between MI and increase of radiation level. MI decreased gradually with the increase of radiation dose in all genotypes.

العلوم الهندسية

تقويم حالة سطح الرصف الاسفلتي لطريق غريان نالوت (قطاع الزنتان- الأصابعة)

أ: سمية عبدالله المليقطة

*** – عضو هيئة تدريس متعاون بجامعة طرابلس**

***–عضو هيئة تدريس بجامعة الجبل الغربي**

ملخص الدراسة

أن الهدف الاساسي لدراسة حالة رصف طريق قطاع الزنتان– الاصابعة هو وجود أضرار كبيرة بسطح الطريق وطبقات الرصف والطبقة الطبيعية في بعض الأجزاء من الطريق. ومن المتعارف عليه عند تنفيذ أي مشرع للطرق أنه يجب أن يكون لكل طريق برنامج صيانة معين خلال العمر الافتراضي للطريق تتخلله مجموعة من الصيانات ونتيجة لإهمال الصيانة الدورية فان الأضرار تتفاقم والخسائر تزداد وبالتالي لابد من القيام بعمليات الصيانة التي قد تأخذ شكلا أكبر مما يجب في حالة عدم الالتزام ببرامج الصيانة الدورية وبإهمال عمليات الصيانة الموصى عليها من قبل فريق عمل تنفيذ الطريق أو القيام بعمليات الصيانة البسيطة الغير مكلفة, فان ذلك يقودنا إلى إعادة إنشاء الطريق مما يستلزم الكثير من الجهد والوقت والتكاليف. وبإعتبار أن طريق (الزنتان – الاصابعة) طريق حيوي ويوجد به العديد من الأضرار على طول الطريق الممتد لمسافة حوالي 65كم قمنا بأجراء دراسة نظرية (بصرية) حول الأضرار التي تعاني منها الطريق.

المقـدمــة

تصميم الطرق يجب أن تكون وفقاً للمواصفات والمعايير الهندسية والفنية للطرق اللازمة للحصول على طريق قادر علي أداء وظيفته على الوجه الأكمل، وذلك خلال العمر التصميمي المفترض للطريق، إلا أنه نتيجة للإستخدام والتقادم تحدث العديد من التغيرات في منشأ الطريق وفي خواص المواد الداخلة في تركيبه (مواد الرصف) وبالتالي يتعرض الرصف إلى العديد من الأضرار التي قد تكون إنشائية تؤدي إلى انهيار منشأ الطريق نفسه وقد تكون وظيفية لا تؤثر على تكوين الرصف وإنما تؤذي الي نقص في كفاءة الأداء ، و يقصد بتقويم الرصف تحديد مدى الانتشار وكثافة الأضرار التي تصيب الرصف سواء كانت إنشائية أو وظيفية، ويشمل التقويم تحديد المشاكل والعيوب التي تصيب الرصف مثل التخدد والتشققات والتفتت وانخفاض مقاومة سطح الرصف للاحتكاك.

مشكلة البحث:

تعتبر طريق الزنتان– الاصابعة من الطرق الحيوية بالجبل الغربي والتى تستوعب كثافة سكانية وحجم مروري كبير بالاظافة الى انها تربط بين عدة مدن ونظرا لإنقضاء فترة زمنية طويلة على إنشاء الطريق ونتيجة لعدة عوامل أذت إلى حدوث أضرار كبيرة بسطح الطريق وطبقات الرصف وصولاً إلى الطبقة الطبيعية في بعض الأجزاء من الطريق.

أهداف الدراسة:

الهدف العام لهذه الدراسة هو مسح ورفع وتقويم حالة سطح الرصف وبالتحديد فأهداف الدراسة هي:

- اعمال مسح الأضرار لسطح الطريق .
- تقييم حالة الرصف .

1-المنهجية المتبعة للبحث

عند تصميم الطرق يجب أن تكون وفقاً للمواصفات والمعايير الهندسية والفنية اللازمة للحصول على منشأ قادر علي أداء وظيفته على الوجه الأكمل، وذلك خلال العمر التصميمي للطريق. حيث تم مسح مسار الطريق وتقويمه ويقصد بتقويم الرصف تحديد مدى انتشار وكثافة الأضرار التي تصيب الرصف سواء كانت إنشائية أو وظيفية، ويشمل التقويم تحديد المشاكل والعيوب التي تصيب الرصف مثل التخدد والتشققات والتفتت وانخفاض مقاومة سطح الرصف للاحتكاك. هناك العديد من الاختبارات المعملية والحقلية التي تجرى على طبقات الرصف وعلى طبقات التربة قبل القيام بأعمال الصيانة لمعرفة أسلوب الصيانة المناسب للطريق لكن ونظراً لعدم توفر المعدات والمعامل اللازمة لإجراء الاختبارات تم تقييم الحالة الراهنة لحالة الرصف باستخدام طريقة (PCR-(PAVEMENT CONDITION Rating Index دليل مقياس حالة رصف[1].

تعتمد هذه الطريقة على الفحص البصري للرصف والتحديد الدقيق لحالة الضرر إذ تعطي قيم عددية للضرر تعرف بوزن الضرر وقيم عددية أخرى لكل من وحدة الضرر ومدى انتشاره حيث تقسم حدة الضرر الي ثلاث مستويات (عالي ومتوسط ومنخفض), كما يمكن تقسيم انتشار الضرر إلى ثلاث درجات (منخفض ومتوسط وكثيف) يتم في هذه الطريقة تقويم حالة الرصف علي مقياس (0-100) بالشكل حيث يعتبر الرصف في حالة جيد جدا عندما تكون قيمة تقويم حالة الرصف بين (90-100) ويكون الرصف في حالة انهيار اذا كان أقل من 20 , وتفترض هذه الطريقة أن الحالة المثلى للرصف عند قيمة(PCR) تساوي 100 ويتم تخفيضها بناء علي التشخيص الفعلي لحالة الضرر في الموقع باستخدام استمارة خاصة, ويجري حساب ما يعرف

بنقاط التخفيض لكل ضرر وهي عبارة عن حاصل ضرب القيمة العددية لوزن الضرر في القيمة العددية لحدة الضرر في القيمة العددية لمدي انتشار الضرر وبطرح مجموع نقاط التخفيض من 100 نحصل علي قيمة تقويم حالة الرصف كما موضح بالشكل (1.1) مقياس حالة الرصف (PCR).

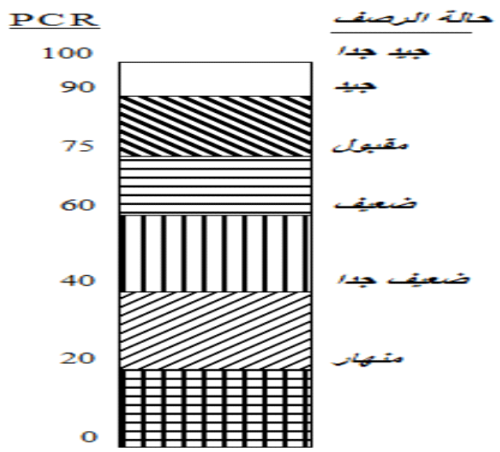

شكل (1.1) مقياس حالة الرصف(PCR)

تم تقسيم الطريق إلى ثلاثة عشر قطاع كل قطاع بطول 5 كلم وتم تسجيل الأضرار بالاستمارة الخاصة بذلك.

$$PCR = (0.60 * SCR) + (0.40 * RCI)^{1}$$

إذا كانت قيمة SCR تساوي الصفر يعني ذلك أن حالة سطح الطريق سيئة جدا very poor وتصبح المعادلة كالتالي: PCR = (0.40 * RCI) أما إذا كانت قيمة RCI تساوي الصفر يعني ذلك لم تكون متوفرة لسبب ما وتصبح المعادلة كالتالي: PCR = SCR

PCI–(PAVEMENT CONDITION INDIX) طريقة دليل حالة الرصف[2]. يعتبر المؤشر PCI دليلاً رقمياً من الصفر حتى المئة يعبر عن الحالة الوظيفية للرصف مرتكزاً على شدة التشوهات المرئية ونوعها والجدول (1–1) يوضح تقييم الرصف حسب قيم PCI[3]. تعتبر هذه الطريقة تقديرية و تعتمد على تقدير المساحين بصرياً لنوعية العيوب وكمياتها وشدتها في المقطع المدروس. هذه الطريقة تعتمد على التقدير (0–100) حيث 100 للطريق الذي تم فتحه للاستثمار ولا تظهر فيه عيوب و (صفر) للطريق المنهار. يتم تحديد العيوب التي تظهر في المقطع المدروس وكذلك مساحة تلك العيوب كنسبة من مساحة المقطع الكلية بالإضافة لمقدار شدة كل عيب هل هو ذو شدة خفيفة أم متوسطة أو شدة عالية. ومن خلال منحنيات خاصة بذلك يتم استنتاج مقدار نقاط الحسم والتي تمثل مقدار كل عيب في حالة السطح، ثم يتم تجميع تلك

النقاط ويتم خصمها من 100 لتعطي قيمة دليل حالة الرصف. والمعادلة التالية تبين كيفية حساب دليل حالة الرصف: $PCI = 100 - \sum (Tij)$

(Tij): نقاط الحسم حسب شدة العيب الموجودة وكثافة انتشار العيب تؤخذ من منحنيات خاصة لكل عيب. يتم تقويم حالة الرصف حسب قيمة PCI، إذ التقدير يبدا من ممتاز عند PCI=100 وضعيف عند PCI=0. يتم استخدام هذا الدليل في تحديد نوعيات الصيانة المناسبة لكل مقطع زمن ثم تحديد قرارات الصيانة المناسبة والتي على اساسها ايضاً يتم تحديد مستويات التدخل المناسبة.

جدول (1-1) تقييم الرصف حسب قيم PCI

تقييم الرصف	قيمة الPCI
Excellent ممتاز	86 – 100
Very Good جيد جدا	71 – 85
Good جيد	56 – 70
Fair معتدل	41 – 55
Poor سيء	26– 40
Very Poor سيء جدا	10– 25
Failure منهار	0– 10

2- أنواع العيوب فى سطح الرصف الأسفلتي المرن:

1.2- التشققات التمساحية (Alligator cracking)

هي سلسلة من الشقوق المتصلة التي تبدأ بالظهور من أسفل طبقة الرصف الى اعلى بسبب الحمولة المتكررة على الطريق، حيث تظهر الشقوق مباشرة فى المنطقة الواقعة تحت مسار إطار المركبات وهي المنطقة المعرضة لأعلى منطقة شد، ويصنف هذا العيب من العيوب الناتجة عن الأحمال المحورية بشكل رئيسي. والشكل (1.2) يبين التشققات التمساحية ومستوي شدة الضرر[4].

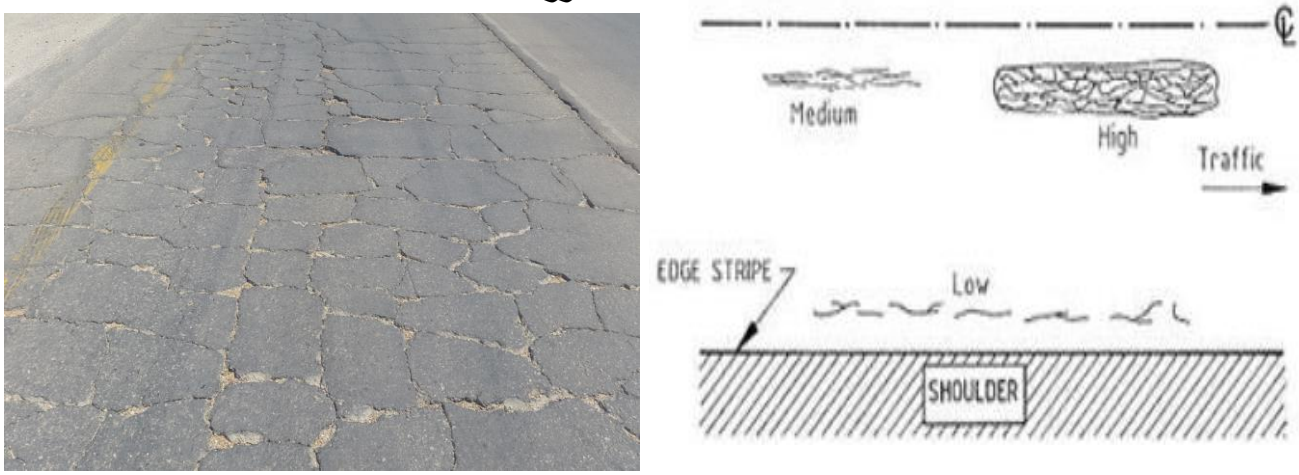

الشكل(1.2) : التشققات التمساحية

اسباب حدوثه :

- الأحمال الزائدة والمتكررة على الطريق.
- ضعف البنية التحتية لجسم الطريق وعدم كفاية سماكة طبقات الرصف[4].
- عدم وجود نظام تصريف للمياه او وجود خلل فى نظام التصريف فى جسم الطريق.

2.2- التدميع (Bleeding)

هو تكون طبقة من المواد الاسفلتية على سطح الطريق، وبسببها يصبح السطح لامعا ولزجا. ويتكون التدميع على سطح الطريق بسبب زيادة مادة الاسفلت فى الخلطة او زيادة المادة الإسفلتية اللاصقة على سطح طبقة الأساس او على سطح الطبقة القديمة او قلة الفراغات الهوائية. وتظهر مثل هذه المشكلة عادة على سطح الطريق فى الجو الحار وتتجمع على السطح مما يؤدى الى زيادة نعومة سطح الطريق وتقليل معامل الاحتكاك مما يؤدى الى حدوث الانزلاقات .والشكل (2.2) يبين التدميع .

الشكل(2.2) التدميع

اسباب حدوثه :

- ارتفاع درجة الحرارة والحمولات المحورية الزائدة.
- زيادة المادة الإسفلتية الرابطة فى الخلطة عن التصميم.
- زيادة المادة الإسفلتية اللاصقة على طبقة الاساس او على سطح طبقة الرصف القديمة وقلة الفراغات الهوائية.

3.2 التشققات المضلعة (Block cracking)

هى تشققات متصلة تقسم سطح الطريق الى قطع مستطيلة وتتراوح أطوال الأضلاع من (30مم) الى (3متر), وتكون الزوايا شبه قائمة. وتحدث هذه التشققات فى سطح الطريق بسبب تقلص سطح الخلطة نتيجة تغيرات درجة الحرارة، ويذل وجود مثل هذا العيب فى الطريق على ان الخلطة الإسفلتية قد فقدت خاصية المرونة. ويوجد ايظاً بالطرق ذات الكثافة المرورية القليلة لأن هذا العيب يعتمد بشكل اساسي عالظروف الجوية.

عندما يكون اتساع التشققات (width≤ 6mm) تكون بحالة جيدة وعندما يكون اتساع التشققات (width> 6mm ≤ 19mm) تكون حالة التصدع عشوائي منخفض[5]. والشكل (3.2) يبين التشققات المضلعة .

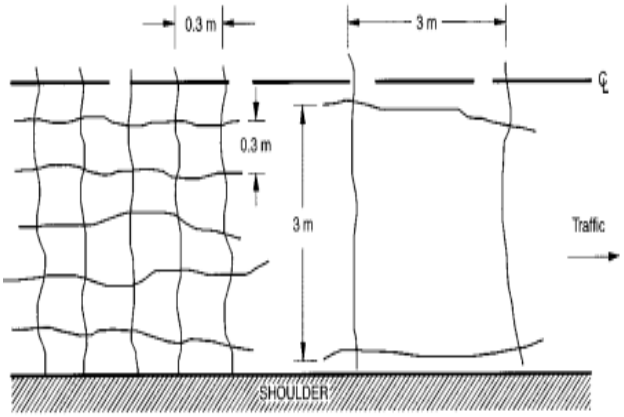

الشكل (3.2) الشقوق المضلعة

سباب حدوثه :

- تباين درجة الحرارة اليومية .
- تقادم المادة الإسفلتية فى الخلطة الاسفلتية .
- عدم اختيار المادة الإسفلتية الرابطة الملائمة للظروف الجوية فى المنطقة .

4.2 – الهبوطات (Depression)

حدوث هبوط فى منسوب سطح الطريق فى منطقة محددة فى جسم الطريق, وإذا كان الهبوط خفيفاً فإنه لا يمكن ملاحظته إلا عند تساقط الأمطار, مما يشكل بقع لتجمعات المياه فى سطح الطريق. والشكل (4.2) يبين الهبوطات.

الشكل(4.2) الهبوطات

اسباب حدوثه:

- هبوط طبقة الأساس مما يؤدي الى انعكاسها على سطح الطريق.
- الدمك غير الكافي في طبقات الرصف وطبقات الخلطة الإسفلتية .

5.2 – تشققات جوانب الطريق (Edge cracking)

هي تشققات تصيب اطراف الطريق فى مراحلها الأولى, وتكون موازية للحافة الخارجية للطريق وعلى بعد (600– 300 مم). وفى مراحلها المتقدمة يحدث انكسار فى جوانب الطريق نتيجة لهذه الشقوق . والشكل (5.2) يبين تشققات جوانب الطريق.

الشكل(5.2) تشققات جوانب الطريق

اسباب حدوثه:

- مرور الحمولات المرورية على الحواف الخارجية للطريق.
- انتفاخ التربة اسفل الحواف الخارجية للطريق.
- جريان المياه على جوانب الطريق مما يؤدي لإنجراف طبقة الإسفلت وطبقات الاساس .
- الدمك غير الكافي لطبقات الرصف على جوانب الطريق .

6.2- التشققات المنعكسة فوق فواصل التمدد (Joint reflection crakes) هي تشققات تظهر عند تنفيذ طبقة الخلطة الإسفلتية فوق البلاطات الإسمنتية، حيث تنعكس اماكن فواصل البلاطات الإسمنتية على طبقة الخلطة الإسفلتية وينتج ذلك عن حركة البلاطات الإسمنتية أسفل طبقة الإسفلت، سواء كانت حركة البلاطات ناتجة عن تغير درجة الحرارة او حدوث هبوط فى البلاطة الإسمنتية. والشكل (6.2) يبين التشققات المنعكسة فوق فواصل التمدد.

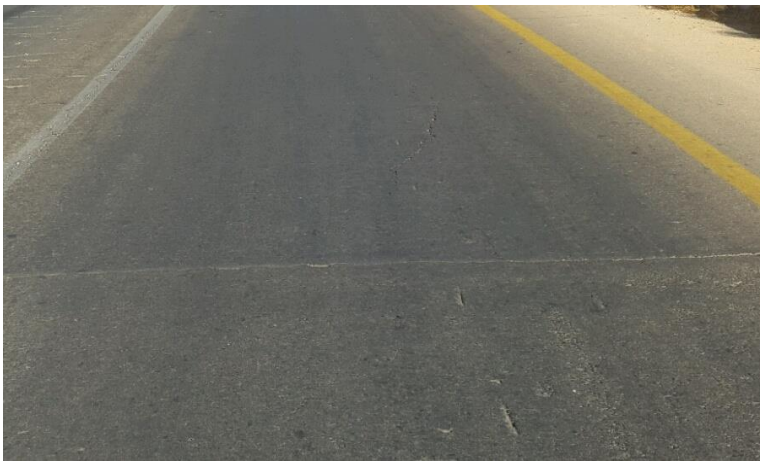

الشكل(6.2) التشققات المنعكسة فوق فواصل التمدد

اسباب حدوثه :

- تمدد وتقلص فى البلاطات الإسمنتية تحت طبقة الإسفلت نتيجة الظروف الجوية .
- حدوث هبوط فى احدى البلاطات الإسمنتية اسفل الخلطة الإسفلتية .

7.2 التشققات الطولية (Longitudinal cracks)

هي تشققات تحدث فى طبقة الخلطة الإسفلتية من جسم الطريق وبشكل طولي وموازى لإتجاه حركة السير. تبدأ هذه التشققات بالظهور من اعلى سطح الطبقة الإسفلتية وتمتد الى اسفلها ويعود السبب الرئيسي لحدوث هذا العيب الى تقلبات درجة الحرارة اليومية. والشكل (7.2) يبين التشققات الطولية[5].

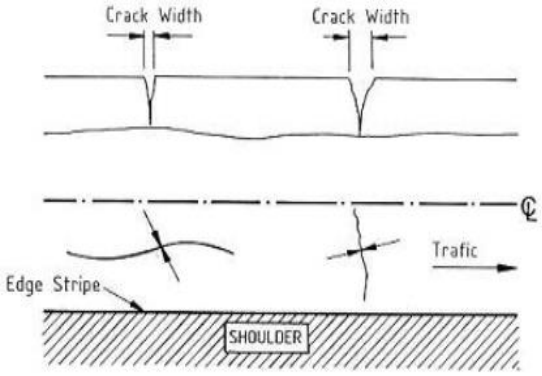

الشكل (7.2) الشقوق الطولية

اسباب حدوثه:

- انعكاس التشققات فى الطبقات السفلية الى الطبقة العلوية.
- وجود خلل فى مكونات الخلطة الإسفلتية.

8.2- التشققات العرضية (Transverse cracking)

هي تشققات تحدث فى طبقة الخلطة الإسفلتية من جسم الطريق وبشكل عرضي وعمودي على اتجاه حركة السير. تبدأ هذه التشققات بالظهور من اعلى سطح الطبقة الإسفلتية وتمتد الى اسفلها ويعود السبب الرئيسي لهذا العيب لتقلبات درجة الحرارة. والشكل (8.2) يبين التشققات العرضية[5].

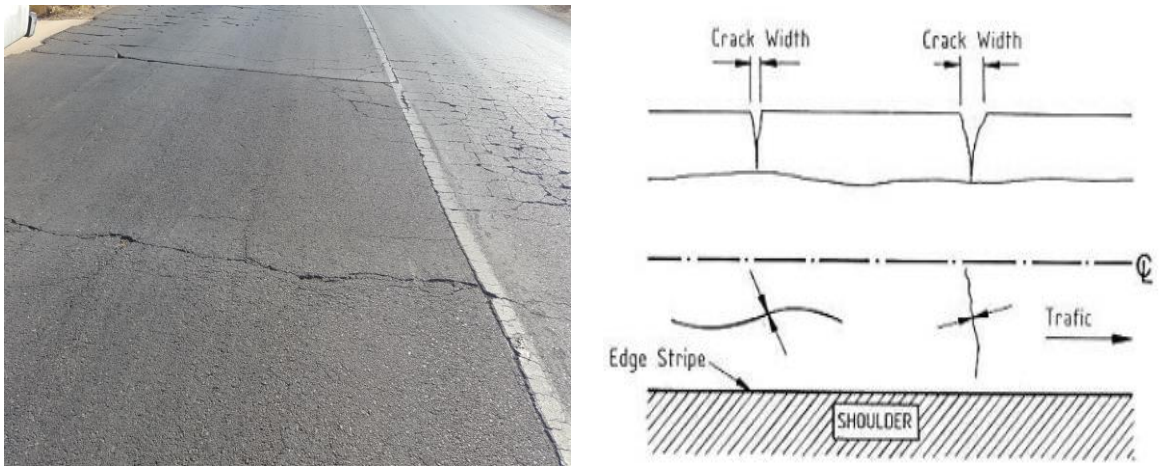

الشكل (8.2) التشققات العرضية

اسباب حدوثه:

- تقلبات درجة الحرارة وسوء تنفيذ اللحامات الطولية أثناء التعبيد.
- انعكاس التشققات فى الطبقات السفلية الى الطبقة العلوية.
- وجود خلل فى مكونات الخلطة الإسفلتية.

9.2- الترقيعات (Patching)

هى مساحة محددة من جسم الطريق تم معالجتها بطريقة الترقيعات, بالإضافة الى المساحات من جسم الطريق التى تم تمديد خطوط خدمات فيها وتم اعادة تعبيدها ,والتى تعتبر بحد ذاتها من انواع العيوب بغض النظر عن طريقة ودقة تنفيذها. والشكل (9.2) يبين الترقيع.

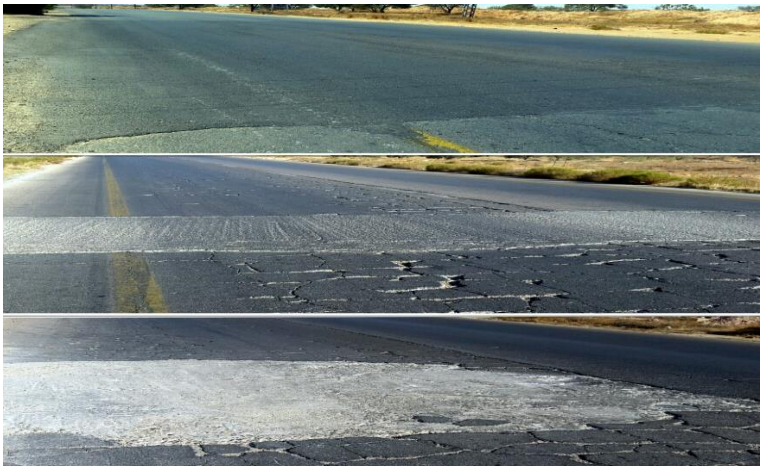

الشكل (9.2) الترقيعات

اسباب حدوثه:

- وجود مناطق متضررة من جسم الطريق والتي تم عمل الصيانة لها.
- وجود مقاطع الخدمات فى جسم الطريق والتي تم اعادة تعبيدها.

10.2- نعومة سطح الطريق (Polished aggregate)

هو حدوث اهتراء في سطح حبيبات الحصى الموجودة على سطح الطريق، نتيجة تكرار مرور اطارات المركبات واحتكاكها به، مما يؤدي الى نعومة سطح الطريق وتقليل معامل الاحتكاك له, الأمر الذى يؤذى الى حدوث انزلاقات. والشكل (10.2) يبين نعومة سطح الطريق .

الشكل (10.2) نعومة سطح الطريق

اسباب حدوثه :

- التكرار المستمر والكثيف لمرور المركبات على سطح الطريق.
- سوء اختيار الحصى المستخدمة فى انتاج الخلطة الإسفلتية وشذوذها عن المواصفات.

11.2- التحفر (Potholes)

وجود حفر صغيرة فى سطح الطريق نتيجة وجود عيب او اكثر فيه, ويزداد حجم هذه الحفر نتيجة لتجمع المياه ومرور حركة المياه. والشكل (11.2) يبين التحفر.

الشكل (11.2) التحفير

اسباب حدوثه:

- تطاير حبات الحصى من سطح الطريق و قلة نسبة المادة الإسفلتية الرابطة فى الخلطة.
- ارتفاع درجات الحرارة فى الخلاطة اثناء الخلط.

12.2- التخدد (Rutting)

هو هبوطات فى جسم الطريق تحدث بمسار اطارات المركبات, مما يؤذى الى حدوث ازاحة جانبية فى الخلطة الإسفلتية وطبقات الاساس, والتي تؤذى الى ارتفاع سطح الخلطة الإسفلتية على جانبي منطقة الهبوط. والشكل (12.2) يبين التخدد.

الشكل(12.2) التخدد

أسباب حدوثه:

يحدث هذا العيب نتيجة للحمولات المحورية العالية مرتبطة بأحد الأساليب التالية:

أ. عيوب فى مكونات الخلطة الإسفلتية:

- زيادة نسبة المادة الإسفلتية بالخلطة ونسبة المادة الناعمة المالئة بالخلطة الإسفلتية.
- قلة نسبة حبيبات الحصى ذات الزوايا فى الخلطة الإسفلتية.
- قلة نسبة الفراغات الهوائية فى الخلطة الإسفلتية.
- عدم كفاية الدمك لطبقة الخلطة الاسفلتية.

ب. عيوب فى البنية التحتية (طبقات التأسيس):

- عدم كفاية سمك طبقات الرصف وعدم كفاية الدمك لطبقات الرصف.
- ضعف مكونات طبقات الرصف.

13.2- الانبعاج والتموج (Shoving)

هو ازاحة طولية تحدث في منطقة محددة في طبقة الخلطة الإسفلتية من سطح الطريق، وتحدث عادة فى مناطق التقاطعات والمنحنيات والتي يكثر فيها استخذام المكابح وتسارع المركبات, وتكون هذه الإزاحة مصحوبة بإزاحة عمودية. والشكل (13.2) يبين الانبعاج والتموج.

الشكل (13.2) الانبعاج والتموج

اسباب حدوث

- عدم ثبات الخلطة الإسفلتية
- زيادة المادة اللاصقة تحت طبقة الخلطة الإسفلتية.
- الدمك الغير الكافي لطبقات الأساس.
- استخذام مواد ذات تدرج واحد في طبقات التأسيس اسفل طبقة الخلطة الإسفلتية.

14.2.2 زحف الطبقات (Pushing shoving and delaminating)

هي تشققات هلالية ذات نهايات مدببة تحدث فى سطح الطبقة الإسفلتية، بسبب انزلاق طبقة الخلطة السطحية عن الطبقة السفلية بإتجاه حركة السير. ويحدث هذا العيب نتيجة حركة السير المتكررة وخاصة في مناطق استعمال المكابح ومناطق التوقف والدوران والمناطق المنحدرة.

والشكل (14.2) يبين زحف الطبقات .

الشكل (14.2) يوضح زحف الطبقات

اسباب حدوثه :

يحدث هذا العيب نتيجة تكرار حركة المرور الكثيفة للمركبات على سطح الطريق مرتبطة بأحد الاساليب التالية:

- ضعف قوة وثبات الخلطة الإسفلتية.
- ضعف القوة الرابطة بين طبقات الخلطة الإسفلتية نتيجة:

أ. زيادة او نقصان المادة الإسفلتية اللاصقة.

ب. نعومة سطح الطبقة الإسفلتية القديمة والمراد تنفيذ طبقة إسفلتية جديدة فوقها او عدم تخشين السطح القديم تخشينا جيدا.

ج. عدم تنظيف سطح الخلطة الإسفلتية المراد تنفيذ خلطة إسفلتية جديدة فوقها تنظيفا جيدا مما يؤدى الى وجود عازل بين الطبقات.

15.2- الإنتفاخ (Swelling)

هو الإزاحة الى الأعلى لطبقة الخلطة الإسفلتية وطبقات الرصف فى مناطق محددة من سطح الطريق, مصحوبة بظهور تشققات. والشكل (15.2) يبين الانتفاخ .

الشكل (15.2) الانتفاخ

اسباب حدوثه :

- وجود تربة طينية تحت طبقات التأسيس و تسرب المياه إليها.
- تأثر طبقات التأسيس والتربة الطينية نتيجة لحدوث تجمد للمياه فيها.

16.2- الانسلاخ (Stripping)

هو فقدان الربط بين حبيبات الحصى والمادة الإسفلتية الرابطة, ويبدا من اسفل طبقة الخلطة الإسفلتية ويمتد الى اعلى, وإذا بدا التسلخ من الأعلى الى الأسفل فانه يعتبر تطاير وتعرية ومن الصعب التعرف على الإنسلاخ لانه يبدا من الطبقة السفلية ويؤذى الى ظهور عيوب اخرى, وللتأكد من هذا العيب يجب أخذ عينة لبية من سطح الطريق وفحص اسفل العينة . والشكل (16.2) يبين الانسلاخ.

الشكل (16.2) الانسلاخ

اسباب حدوثه :

- ضعف في الخواص الكيميائية لسطح حبيبات الحصى.
- وجود الماء في طبقات الخلطة الإسفلتية لسطح الطريق وذلك :

أ. بسبب وجود نفاذية عالية فى الخلطة الإسفلتية.

ب. لعدم وجود نظام لتصريف مياه الأمطار فى الطريق.

3- تقييم الطريق (الزنتان – الاصابعة) باستخدام طريقة PCR:

طريقة تقييم حالة الرصف PCR:

تعتمد هذه الطريقة على الفحص البصري للرصف والتحديد الدقيق لحالة الضرر وطريق (قطاع الزنتان – الاصابعة) الذي تم تقييمه هو طريق بطول 65 كلم وبعرض 12 متر وعرض الأكتاف به 1.20م. حيث تم تقسيم الطريق إلى ثلاثة عشر قطاع كل قطاع بطول 5 كلم وتم تسجيل الأضرار بالإستمارة الخاصة بذلك.

المسح الميداني بطريقة تقييم حالة الرصف (PCR) قطاع رقم (1)

PAVEMENT CONDITION SURVEY FORM FOR FLEXIBLE PAVEMENTS

المشروع : تقويم حالة سطح الرصف الاسفلتي لطريق غريان نالوت (قطاع الزنتان- الأصابعة)	
تاريخ التشخيص: 29 \8\2015	
الموقع: الزنتان – الاصابعة	طول الطريق : 65 كم
القطاع : (000 + 5 - 00 + 0)	
رقم القطاع : 1	مسافة القطاع :5 كم
نوع الرصف السطحي : أسفلت	عدد الحارات في كل إتجاه : 1 م
العـرض : 12 م	عرض الأكتاف : 1.20 م
نوع أكتاف الطريق : أسفلت	

نوع الضرر	وزن الضرر	حدة الضرر			إنتشار الضرر			نقاط التخفيض
		منخفض L	متوسط M	عالي H	طاري O	متكرر F	كثيف E	
تشققات طولية Longitudinal cracks	15	0.40	0.70	1.00	0.50	0.70	1.00	10.5

تشققات عرضية Transverse cracks تشققات تمساحية Crocodile cracks	15	0.40	0.70	1.00	0.50	0.70	1.00	10.5
تشققات الكتل cracks Blocks	15	0.40	0.70	1.00	0.40	0.70	1.00	10.5
تشققات الحواف Edge cracks تشققات هلالية Crescent cracks	15	0.40	0.70	1.00	0.40	0.70	1.00	-
التخدد Rutting الانبعاج Shoving	5	0.30	0.70	1.00	0.60	0.80	1.00	0.9
الهبوط Depression	5	0.50	0.70	1.00	0.30	0.80	1.00	2
التموج Corrugations	2.5	0.40	0.80	1.00	0.50	0.80	1.00	-
النزف Bleeding	2.5	0.80	0.80	1.00	0.60	0.90	1.00	-
البري Polishing	5	0.30	0.60	1.00	0.60	0.80	1.00	-

نوع الضرر	وزن الضرر	حدة الضرر			إنتشار الضرر			نقاط التخفيض
		منخفض L	متوسط M	عالي H	طاري O	متكرر F	كثيف E	
التطاير Raveling	2.5	0.30	0.60	1.00	0.50	0.80	1.00	-
التقشر Delamination	2.5	0.30	0.60	1.00	0.50	0.80	1.00	-
الترقيع Patching	5	0.30	0.60	1.00	0.60	0.80	1.00	0.9
الحفر Pat holes	5	0.30	0.60	1.00	0.60	0.80	1.00	2.4

تكسر حواف الرصف Edge break	5	0.40	0.70	1.00	0.50	0.70	1.00	-
تقويم حالة الرصف = PCR (100 – مجموع نقاط التخفيض) = (100 – 37.7) = 62.3								

رسم بياني يبين قيمه PCR لكل قطاع.

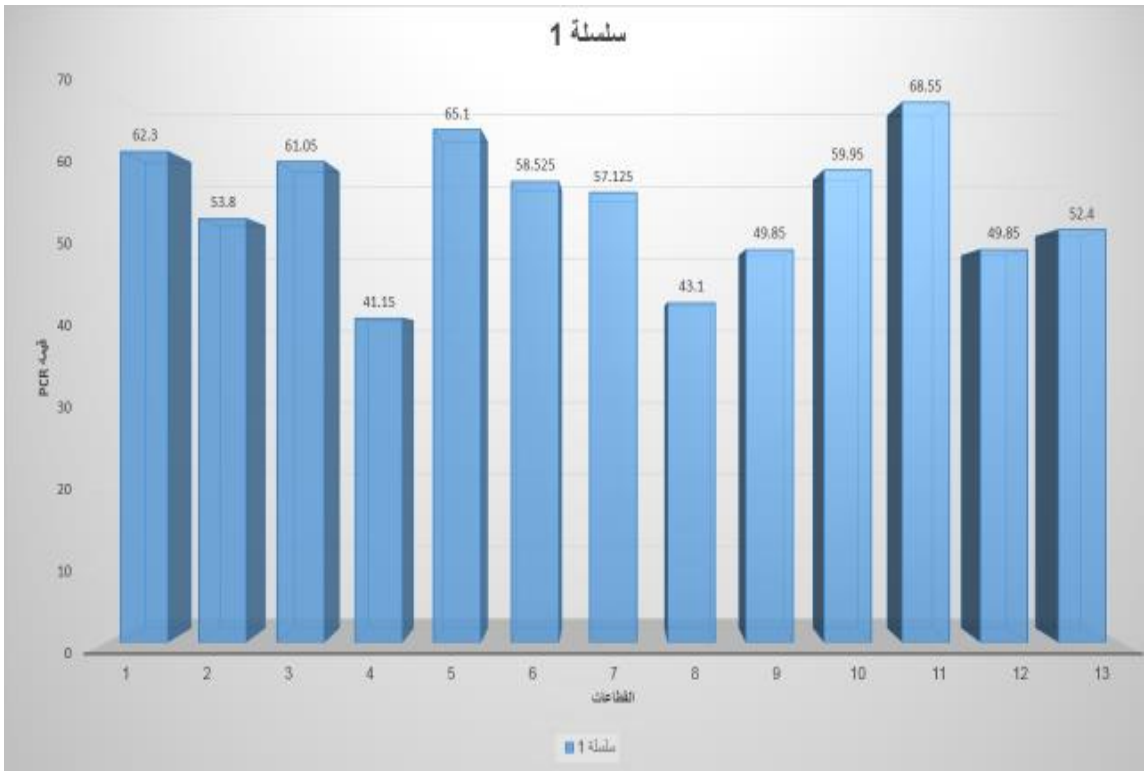

جدول تصنيف القطاعات لحالة الرصف باستخدام طريقة PCR

القطاع	قيمة PCR	حالة الرصف حسب قيمة PCR
الأول	62.3	Acceded
الثاني	53.8	POOR
الثالث	61.05	Acceded

الرابع	41.15	POOR
الخامس	65.1	Acceded
السادس	58.525	POOR
السابع	57.125	POOR
الثامن	43.1	POOR
التاسع	49.85	POOR
العاشر	59.95	POOR
الحادي عشر	68.55	Acceded
الثاني عشر	49.85	POOR
الثالث عشر	52.4	POOR

الاستنتاجات والتوصيات

- يوجد عيوب كثيرة منها كثرة التشققات التمساحية والتشققات الطولية وتشققات الكتل بشكل كثيف وانتشار الضرر بشكل كبير على معظم مسار الطريق.
- الطريق تعاني من كثرة التحفر وهناك حفر مفتعله (انتهاكات لمسار الطريق), وهذه الحفر كانت كبيرة جداً نتيجة لعملية الترقيع بشكل عشوائي مما جعل الطريق مشوه.
- هناك حفر كانت من أثار الحرب على الطريق نتيجة سقوط قذائف عليها مما سبب في ضرر كبير.
- الهبوط على المسار الكلي للطريق يتراوح بين الهبوطات القوية والمتوسطة.
- يمكن أن يكون من أسباب الهبوط والتشققات بالطريق ناجم عن وجود طبقات طينية تحت مستوى الرصف أو قد يكون ناتج عن سوء دمك طبقات الرصف.
- الطريق غير معرضة لظاهرة التطاير والنزف او التقشير بحيث كانت على معظم مسارها ذات ملمس ناعم تقريبيا وليس بالناعم الذي فيه خطورة على السيارات من الانزلاق.

- الطريق بحالة جيدة من ناحية الخطوط وتخطيط المسار مما يجعل الطريق في الليل واضحة والخط الفاصل بالطريق أيضا واضح جدا وهذا يقلل من الحوادث.
- الطريق معرضة لعيوب التدميع لكن بشكل بسيط جداً بالكاد ملاحظته.
- الطريق بحالة جيدة من ناحية ظاهرة التدرج الذي يصيب معظم الطرقات وهذا مؤشر جيد.
- من خلال جدول تصنيف قيم PCR تم ملاحظة أن الطريق كانت جلها في التصنيف الضعيف أي تتراوح القيم مابين 40 الى 60 وهذا مؤشر سيئ لطريق رئيسية.
- عليه نوصي بأن يتم المباشرة بصيانة الطريق بالسرعة القصوى وعلى الوجه الأكمل بحيث يتم تتبع مسار الطريق وعمل كافة الإجراءات اللازمة لتفادي تطور الضرر بالطريق .
- نوصي بأن يتم إجراء الإختبارات الحقلية اللازمة والإختبارات المعملية بأخذ عينات لبية وتصنيف الضرر الملحق بالطريق وعليه يتم البدء بالصيانة وكيفيتها.
- كما نوصي بأن يكون دور الجهات المختصة كمصلحة الطرق والجسور فعالاً ومباشراً لذلك بحيث يتم تتبع صيانة مسار الطريق والعمل عليه.

المراجع

1- Pavement distress identification manual for the NPS Road Inventory Program-Cycle 4, 2006-2009

2- مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية-المجلد الثاني والعشرون-العدد الأول-2006- م.الخضر- ح.الخيمي.

3- مجلة جامعة تشرين-العلوم الهندسية المجلد (35) العدد (9) 2013.

4- مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية-المجلد الحادي والعشرون-العدد الأول-2005 ل.الخطيب-م.سطاس-م.الحفار.

5-Distress Identification Manual for the Long-Term Pavement Performance Program, PUBLICATION No. FHWA-RD-03-031 JUNE 2003.

تواجدات الأحجار الجيرية في شمال غرب ليبيا و إمكانية الاستفادة منها

أ.محمد خليفة حسين

جامعة الجبل الغربي

كلية العلوم الزنتان

المقدمة :

يعتبر الحجر الجيري من الصخور الرسوبية التي تكونت بعدة طرق منها الطريقة الكيميائية و هو في الغالب بحري النشأة و يتكون من كربونات الكالسيوم في معظمه.

تعتبر الأحجار الجيرية المادة الأساسية التي تدخل في عدة صناعات ذات قيمة اقتصادية و من خلال هدا البحث تم التعرف على الوحدات الصخرية المختلفة التي تغطي المنطقة و تحديد عمرها الجيولوجي .

و لأهمية الأحجار الجيرية فقد تم التركيز في هدا البحث على رواسب الأحجار الجيرية المتواجدة بكميات اقتصادية و التي يمكن استغلالها فعلا في الأغراض الصناعية المختلفة و ذات الجدوى الاقتصادية المهمة .

ولذلك كان من المهم دراسة هذه الخامات و معرفة اهم التكوين الجيولوجية المحتوية عليها وتحديد أماكن تواجدها بدقة.

تم التعرف على الوحدات الصخرية المختلفة التي تغطي المنطقة و معرفة عمرها الجيولوجي و التعرف على مواقع خامات الأحجار الجيرية (Liemestone) التي تتواجد في المنطقة بكميات كبيرة و تنتشر في عدة أماكن و هي تكاد تغطي كل المنطقة موضوع الدراسة و أيضا من خلال حساب الاحتياطي وجدنا إن هناك كميات كبيرة من الخام في بعض المناطق حيث تم استثمارها في عدة مواقع لإنتاج مادتي الاسمنت و الجير و لكن توجد كميات كبيرة من الخامات التي لم يتم الاستفادة منها و هناك إمكانية كبيرة للاستفادة منها في العديد من الصناعات ذات الجدوى الاقتصادية .

1-1 موقع الدراسة :

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا بين خطي طول 15-10 شرقا و بين دائرتي عرض 26-29 شمالا, و تحتوي المنطقة على العديد من المعالم الجغرافية ومن اهم هذه المعالم الجبل الغربي الذي يتراوح ارتفاعه مابين 700-900 متر و يحتوي على العديد من التكاوين الجيولوجية الهامة.

1-2 أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى :

1- تحديد أهم مواقع الأحجار الجيرية في منطقة الدراسة .

2- معرفة أهم التكاوين الجيولوجية المحتوية على الأحجار الجيرية.

3- حساب الاحتياطي لهده الخامات في بعض المواقع .

4- تحديد تركيز كربونات الكالسيوم في هده الخامات.

3-1 منهجية البحث :

اعتمدت في هدا البحث على الخرائط الجيولوجية للمنطقة و على الكتيبات التفسيرية لعدد 11 لوحة جيولوجية بمقياس رسم 1:250000 التي تغطي منطقة شمال غرب ليبيا و هذه اللوحات هي لوحة رأس أجدير , لوحة طرابلس, الخمس , نالوت , مزدة , جناين , بني وليد , غدامس , شعواء , القريات الغربية , القريات الشرقية , وأيضا إجراء عمليات التحليل و التفسير لهده اللوحات و تجميع عدد من الخرائط الجيولوجية و الجغرافية للمنطقة و القيام بالعديد من الزيارات الميدانية للتأكد من النتائج , وأيضا نتائج التحاليل الكيميائية لتحديد تركيز كربونات الكالسيوم في الخام .

4-1 الدراسات السابقة :

نظرا لقلة الدراسات على هذا الموضوع و التي تكاد تكون معدومة فقد اعتمدنا بشكل أساسي على مركز البحوث الصناعية و الدراسات التي قام بها على المنطقة و على النتائج التي تحصل عليها و أيضا على بعض المراجع ذات العلاقة و التي ستذكر لاحقا في هذا البحث .

2- جيولوجية المنطقة :

تغطي الصخور الرسوبية معظم المنطقة و التي تتراوح أعمارها بين العصر الرابع و العصر الثلاثي الأوسط بالإضافة إلى تواجد صخور بركانية على شكل انسيابات و تداخلات من البازلت و الفونوليت .

و الجدول التالي يبين التتابعات الصخرية لمنطقة الدراسة :

العصر الجيولوجي	الوحدات الصخرية
الرابع الهولوسين	- رواسب الوديان الحديثة - رواسب رمال الشاطيء - الرواسب الريحية (كثبان رملية) - الرواسب الركامية - الرواسب السبخية

	- الزواسب البحرية
سطح عدم توافق	
البليستوسين	– تكوين قرقارش – تكوين الجفارة – تكوين الهيشة – تكوين قصر الحاج
البليوسين و الرابع	تكوين العسة
الثالث و الرابع	الصخور البركانية (البزلت و الفونوليت)
الميوسين	تكوين الخمس
الأوليجوسين	تكوين معزل نينا
الايوسين	تكوين البشيمه - عضو الرواوغة - عضو وادي زاكم - عضو خير
الباليوسين	تكوين الشرفة - عضو عمور - عضو القلته - عضو ابوراس
الطباشيري العلوي	تكوين زمام - عضو الحاد - عضو الطار العلوي - عضوالطار السفلي تكوين مزدة - عضو تالة - عضو معزوزة تكوين تغرنة تكوين نالوت تكوين سيدي الصيد - عضو يفرن

	- عضو عين طبي
سطح عدم توافق	
الطباشيري السفلي	تكوين ككلة
الجوراسي العلوي و الطباشيري السفلي	عضو الرجبان
الجوراسي الاوسط و العلوي	عضو شكشوك عضو خشم الزرزور
الجوراسي الاوسط	تكوين تكبال تكوين بئر الغنم - عضو الابرق - عضو ابو النيران
الثلاثي العلوي و الجوراسي الأوسط	تكوين الجفارة
سطح عدم توافق	
الثلاثي العلوي	تكوين ابو الغيلان
سطح عدم توافق	
الثلاثي العلوي	تكوين ابوشيبة
سطح عدم توافق	
الثلاثي الأوسط و العلوي	تكوين العزيزية
الثلاثي الأوسط	تكوين كرش

(المبروك , 1986)

و فيما يلي عرض لهده التكاوين الجيولوجية بشكل مفصل من الأقدم الى الأحدث :

2-1- تكوين كرش :

تتألف صخور هذا التكوين من الحجر الرملي و الطين و بعض التداخلات البسيطة من الحجر الجبري و يرجع عمره إلى العصر الثلاثي الأوسط و يحتوي على العديد من المستحاتات الحيوانية و يبلغ اكبر سمك لهذا التكوين 40 متر.

2-2- تكوين العزيزية :

يتألف هذا التكوين أساسا من أحجار جيرية دولوماتية رمادية اللون مع بعض التداخلات الرقيقة من المارل و الطين و عدسات من الصوان و أيضا لوحظ في الجزء العلوي من التكوين تداخلات فوسفاتية و يرجع عمر هذا التكوين الى الفترة الواقعة بين الثلاثي الاوسط و العلوي.

2-3- تكوين ابوشيبة :

يتكون هذا التكوين أساسا من الحجر الرملي مع تداخلات من الطفل و الطين و يعود عمر هذا التكوين الى الثلاثي الأعلى

2-4- تكوين ابوغيلان :

يتألف هذا التكوين من حجر جيري دولوميتي و يبلغ سمكه حوالي 60 متر و يرجع عمره إلى الفترة الواقعة بين الثلاثي المتأخر و الجوراسي المبكر

2-5- تكوين بئر الغنم :

يضم هدا التكوين ثلاثة أعضاء و هي :-

2-5-1- عضو جبس بئر الغنم :

يمثل هذا العضو قاعدة التكوين و يتكون من طبقات من الجبس و الانهيدريت تتخللها طبقات من الحجر الجيري الدولوميتي و يبلغ سمك هذا العضو 200متر.

2-5-2- عضو جبس النيران :

يتكون من طبقة سميكة من الحجر الجيري تعلوها طبقات من الطفل و الطين الأحمر و يبلغ سمكه حوالي 20 متر.

2-5-3- عضو جبس ابريق :

يتكون من طبقات من الجبس و الانهيدريت مع تداخلات من الطين و الطفل و يبلغ سمكه حوالي 70 متر

يتراوح عمر تكوين بئر الغنم بين الثلاثي العلوي و الجوراسي الأوسط .

2-6- تكوين تكبال :

يتكون من الحجر الجيري مع تداخلات من الطين و يرجع عمره إلى الجوراسي الأوسط و يحتوي على العديد من المتحجرات .

2-7- تكوين ككلة:

يعتبر من التكاوين ذات الامتداد الواسع و يتراوح سمكه بين 200-250 متر و يضم هذا التكوين ثلاثة أعضاء و هي:

2-7-1- عضو خشم الزرزور:

يبلغ سمكه 110 متر و يتكون من طبقات متتابعة من الطين و الحجر الرملي و يحتوي على حفريات نباتية و يتراوح عمره بين الجوراسي الأوسط و الأعلى .

2-7-2- عضو شكشوك

يتكون من أحجار جيرية مع تداخلات من الحجر الرملي و الطين و يبلغ سمكه حوالي 20 متر .

2-7-3- عضو الرجبان :

يبلغ سمكه 120 متر و يتكون من حجر رملي في جزئه السفلي و حجر رملي و طين احمر في جزئه العلوي و يرجع عمره إلى الفترة الواقعة بين الجوراسي العلوي و الطباشيري السفلي.

2-8- تكوين سيدي الصيد :

يبلغ سمكه حوالي 140 متر و يضم عضوين هما :

2-8-1- عضو عين طبي :

يتكون من طبقات من الحجر الجيري و يرجع عمره الى الطباشيري المتأخر.

2-8-2- عضو يفرن مارل :

يتكون من طبقات من المارل و يرجع عمره الى الطبا شيري المتأخر .

2-9- تكوين نالوت :

يتكون من حجر جيري دولوميتي ذا لون رمادي مع تداخلات من الصوان و يرجع عمره الى الطباشيري العلوي .

2-10- تكوين قصر تغرنة :

يتكون من أحجار جيرية و مارل ذات لون يميل الى الأحمر و يرجع عمره الى الطباشيري العلوي .

2-11- تكوين مزدة :

يتكون أساسا من الحجر الجيري من العصر الطباشيري العلوي و يضم عضوان هما :

2-11-1- عضو تالة :

يتكون من طبقات من الحجر الجيري ذا لون بين الأصفر و الأخضر و مارل .

2-11-2- عضو معزوزة :

يتكون من الحجر الجيري و الدولومايت و يحتوي على الكثير من المستحاتات .

2-12- تكوين زمام :

يتكون من الحجر الجيري و الدولومايت و طبقات من الطفل و المارل و تعتبر طبقات الحجر الجيري ذات صلابة جيدة و يميل لونها الى الرمادي و يتراوح سمكها بين 2-3 متر و بطول حوالي 2 كم .

ويحتوي هذا التكوين على ثلاثة أعضاء و هي :

- عضو الحاد الجيري
- عضو الطار العلوي
- عضو الطار السفلي

و يرجع عمر هذا التكوين الى الطباشيري العلوي.

2-13- تكوين الشرفة :

يتكون من أحجار جيرية و يضم ثلاثة أعضاء و هي :

2-13-1- عضو عمور :

يتكون من حجر جيري كتلي مارلي .

2-13-2- عضو القلته :

يتكون من أحجار جيرية و طبقات من الجبس مع قليل من الصوان .

2 -13-3- عضو ابوراس :

يتكون من طبقات من الحجر الجيري المارلي و يحتوي على الكثير من المستحاتات .

و يرجع عمر هدا التكوين إلى الباليوسين .

2-14- تكوين البشيمه :

يتكون من طبقات كتلية من الحجر الجيري م عقد من الصوان و يضم ثلاثة أعضاء و هم :

2-14-1- عضو خير :

يتكون من الطين الأخضر و الطين المارلي مع الجبس .

2-14-2- عضو وادي زاكم :

يتكون من الجبس .

2-14-3- عضو الرواغة :

يتكون من طبقات كتلية من الحجر الجيري .

يعود عمر هذا التكوين إلى الايوسيني .

2-15- تكوين معزول نينا :

يتكون من أحجار جيرية و طبقات من الجبس و يعود عمره الى الاوليجوسين .

2-16- تكوين الخمس :

يتكون من حجر جيري و مارل و يعود عمره الى الميوسين المتوسط .

2 -17- تكوين العسة :

يتكون من أحجار جيرية مع الجبس و يرجع عمره الى الباليوسين .

2-18- تكوين قصر الحاج :

يتالف من حصى مختلف التماسك مع طبقات من الكاليش .

2 -19- تكوين الجفارة :

يغطي سهل الجفارة و يتكون من رواسب رملية و غرين مع مستويات مختلفة من صخور الكاليش

2-20- تكوين قرقارش :

يكون السفوح الشاطئية و يتكون من كالكرنيت .

الرواسب السبخية :

و هي عبارة عن فقشرة ملحية مختلطة برمال و غرين .

الكثبان الرملية :

تغطي الجزء الأوسط من سهل الجفارة و تتكون من رمال سيليسية و جيرية .

رواسب الوديان الحديثة :

وهي عبارة عن حصى و غرين و رمال ناعمة .

3-النتائج :

من خلال الدراسة تم التوصل إلى النتائج التالية :

هناك العديد من المناطق التي تحتوي على كميات مهمة من الأحجار الجيرية و قد ثم تحديد هذه المناطق بدقة و تقدير نسبة كربونات الكالسيوم في كل موقع و حساب الاحتياطي لبعض المواقع .

أهم المواقع التي تتواجد بها الأحجار الجيرية بالمنطقة :

3-1- منطقة الخمس :

تتواجد الأحجار الجيرية في المنطقة ضمن تكوين الخمس و بكميات كبيرة في عدة مواقع و هي :-

1- موقع في منطقة (حسنون) و يقع على بعد حوالي 5 كم جنوب غرب مدينة الخمس , حيث تتواجد الأحجار الجيرية باحتياطي كبير يقدر بحوالي 120 مليون طن منها 56 مليون طن من الاحتياطي المؤكد , و أيضا من خلال نتائج التحاليل الكيميائية لبعض

العينات التي اخدت من هذا الموقع دلت على إن نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح بين 44-50 % .

2- موقع منطقة (حسان) الواقع على مسافة 15 كم جنوب شرق مدينة الخمس حيث يصل الاحتياطي الى حوالي 14.5 مليون طن , من خلال التحاليل وجد إن نسبة كربونات الكالسيوم 44.6-50.50% .

3- كما توجد عدة مواقع اخرى في منطقة راس المئوبية و منطقة الرأس الكبير و منطقة الجوما , و يقدر الاحتياطي بحوالي 67 مليون طن و نسبة كربونات الكالسيوم 43-47 % و يتم استثمار هذا الموقع حاليا من قبل مصنع الخمس و مصنع لبدة للاسمنت .

3-2- منطقة زليطن :

تتواجد رواسب الأحجار الجيرية في المنطقة ضمن تكوين الخمس بكميات كبيرة و بسمك يصل الى 100 متر , وذلك في المنطقة الواقعة جنوب غرب مدينة زليطن في منطقة وادي الذكر وأيضا وادي ماجر و يقدر احتياطي الخام بحوالي 168 مليون طن تقريبا , ومن التحاليل وجد ان نسبة كربونات الكالسيوم 46-50 %و يعتبر هذا الخام من النوعيات الجيدة و الصالحة لصناعة الاسمنت . و توجد بالمنطقة كميات أخرى من الخام تقدر بحوالي 32 مليون طن و نسبة كربونات الكالسيوم بها 36-49 % .

3-3- منطقة سوق الخميس :

تتواجد رواسب الأحجار الجيرية الدولوميتية ضمن تكوين العزيزية , و اغلب تلك الخامات تستخدم لإنتاج الشرشور لاستعماله في الخلطات الخرسانية و رصف الطرق , و لكن من خلال الدراسة وجد إن هناك بعض الطبقات من الأحجار الجيرية الصالحة لإنتاج الاسمنت و الجير و ذلك في المنطقة الواقعة على بعد 17 كم من سوق الخميس (موقع كاف بتس , موقع ابوعرقوب , موقع راس اللفع) .

و تبين من خلال نتائج التحاليل الكيميائية لبعض العينات إن نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح بين 49.60-50.40 % , حيث تظهر هذه الرواسب على شكل مجموعة من التلال المنعزلة بلون رمادي , و يقدر الاحتياطي بحوالي 90 طن .

3-4- منطقة نالوت :

تتواجد رواسب الأحجار الجيرية في المنطقة بكميات كبيرة , و هي تكاد تغطي معظم مساحة المنطقة , حيث تتواجد ضمن تكاوين (نالوت , تغرنه , الزمام , مزدة) .

ومن خلال الدراسة تم تحديد عدة مواقع لتواجد الخام و هي :

2- موقع رقم (1) و تتواجد فيه الخامات ضمن تكوين مزدة (عضو معزوزة) علي بعد 35 كم جنوب غرب مدينة نالوت عند منطقة (رأس الحشنة) القريبة من طريق نالوت – سيناون , حيث قدر الاحتياطي بحوالي 169 مليون طن , و من خلال التحاليل الكيميائية لبعض العينات وجد ان نسبة كربونات الكالسيوم تصل الى 96 % مما يجعلها صالحة لصناعة الاسمنت و الجير و يمكن الوصول لهده الخامات بسهولة .

3- موقع (2) و فيه تتواجد الخامات ضمن صخور عضو معزوزة من تكوين مزدة باحتياطي كبير و ذلك في منطقة جنوب غرب نالوت , حيث يمكن استعمال هذه الرواسب مع تكوين تغرنة في صناعة الاسمنت و الجير , و تبين من خلال التحاليل ان نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح بين 53.6-54.3 % .

4- موقع (3) تتواجد الخامات في هذا الموقع في منطقة (قارة بابوس) و منطقة (راسب لعدم) و (قارة شرادة) غرب الطريق المؤدي إلى تونس المتفرع من طريق نالوت سيناون و ضمن صخور تكوين مزدة و تكوين زمام و هي كميات ضئيلة و متفاوتة السمك و لا تصلح الا لعمل الشرشور و رصف الطرق .

3-5- مزدة :

تتواجد الخامات بالمنطقة بكميات كبيرة ضمن تكوين مزدة (عضو ثالة) و (عضو معزوزة) ومن خلال البحث تم تحديد ثلاثة مواقع تحتوي على رواسب الأحجار الجيرية و هي

- بئر الكلاب
- سواني فسانو
- نسمة

و من خلال التحاليل تبين ان نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح بين 46.4-53.2 % و يمكن استغلال هذه الخامات في صناعة الاسمنت و أغراض البناء المختلفة .

3-6- بني وليد :

تتواجد رواسب الأحجار الجيرية في المنطقة بكميات كبيرة ضمن صخور تكاوين (زمام , الشرفة , الهيشه , الخمس) .

و نظرا لاحتياج صناعة الحديد و الصلب الى صخور الاحجار الجيرية التي يتم إضافتها الى شحنات الأفران العالية حيث تعمل على تخفيض درجة انصهار الحديد و المساعدة على اختزاله , ونحتاج هنا خام متفع نسبة اكسيد الكالسيوم و منخفض الشوائب الى ادنى حد , و تم العثور على هذا الخام في منطقة السدادة شرق مدينة بني وليد , حيث توجد كميات كبيرة من الأحجار الجيرية ضمن تكوين زمام , و يقدر الاحتياطي بحوالي 125 مليون طن .

3-7- غدامس :

تتواجد خامات الأحجار الجيرية ضمن تكوين زمام (عضو الطار السفلي) في عدد من المرتفعات و يصل سمكها إلى حوالي 14 متر , و ذلك في الجهة الغربية من الطريق الرابط بين شعوا – درج , و من خلال التحاليل وجد ان نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح بين 85-90 % مما يجعلها صالحة لصناعة الاسمنت .

3-8- درج :

تتواجد الأحجار الجيرية في عدة مواقع من المنطقة الواقعة جنوب و جنوب شرق مدينة درج على النحو التالي :

- جنوب مدينة درج (بئر اماسين) :

تتواجد الأحجار الجيرية في منطقة (حسي الباهين) في وادي العوالي , و ذلك في الجزء السفلي من تكوين زمام في طبقات دات لون اصفر يميل الى الرمادي و ذات صلابة جيدة بسمك يتراوح بين 2-3 متر و بطول يصل الى 2 كم , و تبين من التحاليل ان نسبة كربونات الكالسيوم تصل الى 87 % و بالتالي فهي صالحة لصناعة الاسمنت و الجير , و لكن يعوق ذلك وجود غطاء صخري سميك فوقها بسمك يصل الى 35 متر .

- جنوب شرق درج (وادي تناروت) :

تم التعرف على عدة مواقع لتواجد رواسب الأحجار الجيرية منها منطقة شعبة النجع في وادي مغرغر , و تتواجد ضمن صخور عضو الطار السفلي من تكوين زمام بسمك متر واحد و بطول 2-5 كم , و قد تبين من خلال التحليل الكيميائي ان نسبة كربونات الكالسيوم تتراوح بين 87.7-89.2 % مما يجعاها صالحة لصناعة الاسمنت .

- جنوب شرق مدينة شعوة :

تظهر في هذه المنطقة طبقات من الأحجار الجيرية و الأحجار الجيرية الدولوماتية ضمن الجزء السفلي لتكوين مزدة , و هي ذات صلاحية لإنتاج الاسمنت , و تتراوح نسبة كربونات الكالسيوم مابين 58-55 % .

3-9- هبيط الغردقة :

تتواجد رواسب الأحجار الجيرية ضمن طبقات الجزء العلوي لتكوين زمام (عضو الحاد , عضو الطار العلوي) , و ضمن طبقات الجزء السفلي لتكوين الشرفة (عضو ابوراس) , و من خلال التحاليل تبين إن نسبة كربونات الكالسيوم في تكوين زمام تصل الى 42 % و في تكوين الشرفة تصل الى 48 % وعليه فيمكن استخدامها في اغراض البناء .

3-10- قصر الشويرف :

تتواجد رواسب الأحجار الجيرية ضمن صخور تكوين زمام و تكوين الشرفة , حيث يوجد في المنطقة المحصورة بين وادي نينة و وادي عسيلة , و هي عبارة عن واجهة جبلية تحتوي رواسب الأحجار الجيرية و يبلغ سمكها حوالي 40 متر و تمتد لمسافة 10 كم و تقدر احتياطاتها بحوالي 200 الف طن , تصل نسبة كربونات الكالسيوم الى 56 % , كما توجد في منطقة وادي رواوس عدة مرتفعات تحتوي على رواسب من الأحجار الجيرية تابعة لتكوين الشرفة و تختلط بصخور الكالكارانيت , و تتراوح نسبة كربونات الكالسيوم فيها بين 51.3-56 % و و قد تبين صلاحية هذه الخامات لصناعة الاسمنت و الجير و الزجاج و الحديد و الصلب و أعمال البناء .

3-11- القريات الشرقية :

تعتبر الصخور الكربوناتية اكثر الصخور انتشارا في المنطقة , و ذلت نتائج التحاليل على ان نسبة الدولومايت في الكربونات كبيرة و احيانا تكون دولومايت نقي , و تنتشر في المناطق المحيطة بمدينة القريات الشرقية و شمال و جنوب وادي بي الكبير رواسب من الدولومايت و الحجر الجيري بسمك متفاوت ضمن تكوين زمام و تصل نسبة كربونات الكالسيوم الى 53.2 % .

3-12- القريات الغربية :

تتواجد صخور الحجر الجيري الدولومايتي في عدة مواقع و خاصة في المنطقة الواقعة شمال غرب مدينة القريات الغربية في منطقة بئر الزملة ضمن تكوين زمام و تتراوح نسبة كربونات الكالسيوم 51.6-53.3 % و تستخدم على نطاق واسع في أعمال البناء .

5- الاستنتاجات :

من خلال المسوحات الجيولوجية و الدراسات التفصيلية التي أجريت على المنطقة و كذلك نتائج التخريط الجيولوجي و التحاليل الكيميائية , يتضح انتشار رواسب الأحجار الجيرية و تواجدها بكميات و احتياطات كبيرة في بعض المواقع و ذات خصائص و مواصفات تلبي احتياجات المصانع , و إمكانية إقامة العديد من الصناعات ذات الجدوى الاقتصادية عليها .

5 - التوصيات :

2- إمكانية الاستفادة من رواسب الأحجار الجيرية المتواجدة على طول الجبل الغربي في تكاوين ابوغيلان و تكوين سيدي الصيد (عضو عين طبي) في الصناعات الاقتصادية المختلفة .

3- يمكن الاستفادة من صخور تكوين العزيزية الموجودة في موقع راس الدالي كأحجار زينة لإنتاج الشرائح المصقولة و الجرانيليا لصناعة البلاط .

4- كما يمكن استغلال الأحجار الجيرية الموجودة بمنطقة وادي ميمون كأحجار زينة لإنتاج الشرائح المصقولة و الجرانيليا لصناعة البلاط .

5- إمكانية التوسع في صناعة الاسمنت في المنطقة الغربية و خاصة بمنطقة نالوت لوجود احتياطيات كبيرة من الأحجار الجيرية الصالحة لهذه الصناعة .

6- استكمال الدراسات التفصيلية لبعض المواقع التي أعطت نتائج مشجعة و صلاحيتها في عدة إغراض صناعية .

7- إجراء مزيد من الدراسات على المنطقة .

المراجع

1 – سعد حسن صالح (1997) , الجيولوجبا العامة و البيئة ,دار زهران للنشر ,عمان – الاردن

2 – صلاح الدين محمد التركي (1988) , جيولوجية منطقة النقاط الخمس , مركز البحوث الصناعية – طرابلس .– فاروق صنع الله العمري (1987) , مبادىء علم الطبقات , جامعة الموصل – العراق .

3 – محمد عبدالغني عثمان (2002) , اساسيات علم الارض , جامعة الملك سعود , دار المريخ للنشر .

4 – مصطفى المبروك (1986) , مصادر الجماهيرية المعدنية و الموارد الاولية اللازمة للصناعة , مركز البحوث الصناعية – طرابلس .

5 – خريطة ليبيا الجيولوجية (1985) , مركز البحوث الصناعية – طرابلس .

6 – مركز البحوث الصناعية (1983) , المواد الاولية لصناعة الاسمنت , طرابلس – ليبيا .

العلوم الطبية و البيولوجية

دراسة مقارنة لفترة البقاء على قيد الحياة بعد البدء في عملية الغسيل وبعد زراعة الكلى, وأهم مسببات الفشل الكلوي,وكذلك متوسط أعمار مجموعة من مرضى الفشل في ليبيا

محمد مسعود قنان — **كلية التقنية الطبية بنالوت**

إسراء عبد الحميد — **كلية العلوم بغريان**

راضية كامل — **كلية العلوم بغريان**

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أهم مسببات الفشل الكلوي في ليبيا , كذلك أيهما أفضل لمرضى الفشل الكلوي ,الغسيل الكلوي أم زراعة الكلى, أيضا متوسط أعمار مرضى الفشل الكلوي الذين قاموا بعملية الغسيل الكلوي والذين اجروا عملية لزراعة الكلى ,وذلك من خلال دراسة إحصائية لعدد 196 ملف لمرضى كانوا يعانون من الفشل الكلوي وقاموا بعملية غسيل كلوي لعلاج هذه الحالة وفارقوا الحياة , و96 ملف لمرضى كانوا يعانون من الفشل الكلوي وقاموا بزراعة كلى لعلاج هذه الحالة وفارقوا الحياة . كذلك معرفة أهم مسببات الفشل الكلوي في ليبيا , وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن متوسط مدة البقاء على قيد الحياة لمن قاموا بزراعة كلى هو 7.8 , سنة بينما كان متوسط عمر من قاموا بالغسيل الكلوي هو 3.8 , سنة كذلك تبين من هذه الدراسة أن من أهم مسببات الفشل الكلوي مرض السكري وارتفاع ضغط الدم , وهذا ما تشير إليه الكثير من الدراسات السابقة التي أجريت في هذا الشأن , هذا يجعلنا ننصح مرضى الفشل الكلوي باتخاذ التدابير اللازمة لعلاج كل من مرضي السكري والضغط و الاتجاه إلى زراعة الكلى بدل الاعتماد على الغسيل الكلوي لعلاج هذا المرض وذلك في اقرب وقت ممكن بعد الإصابة بالمرض كلما توافرت الإمكانيات المساعدة على الزراعة (المتبرع ومراكز زراعة الكلى المتخصصة).

كلمات دالة : الفشل الكلوي, الغسيل الكلوي , زراعة الكلى .

المقدمة

يعتبر مرض الفشل الكلوي أو عدم مقدرة الكلية على أداء وظائفها الحيوية من الأمراض المزمنة التي يصاب بها الإنسان , إذ يقدر عدد المصابين بالفشل الكلوي في العالم بخمسمائة مليون مريض حسب الإحصائيات الأخيرة (1) ,كما يبلغ عدد مرضى الفشل الكلوي في ليبيا حسب ما صرحت به وزارة الصحة الليبية ب 3700 مريض , ويرجع السبب في الإصابة بهذا المرض إلى عدة أسباب أهمها الإصابة بمرض السكري وارتفاع ضغط الدم الشرياني والتكيس الكلوي والالتهابات

الكلوية والوراثة بالإضافة إلى عدة أسباب أخرى , وقد فكر المختصين في إيجاد طريقة لعلاج هذه المشكلة منذ مئات السنين , حيث كانت أول عملية لعلاج الفشل الكلوي بطريقة غير استعمال الأدوية من قبل العالم توماس جراهام (Graham Thomas) من مدينة جلاكسو الانجليزية , والذي فكر في إيجاد تجربة لعلاج الفشل الكلوي بغسيل الدم عن طريق نقل المذاب عبر الأغشية شبه النافذة في الجسم سنة 1854 (2), ثم قام العالم ابل بتطوير هذه الفكرة وصمم وطور كلية صناعية سنة 1913 (3) , وكانت أول عملية غسيل كلوي بشري باستعمال تجهيزات بدائية عن طريق الطبيب هاس سنة 1924 (4) , وقد كان العالم كولن أول من استخدم جهاز غسيل كلوي سريري عندما استخدم هذا الجهاز لإنقاذ حياة امرأة كانت تعاني من مرض الفشل الكلوي سنة 1945 (5) , ثم توالت التحسينات على أجهزة الغسيل الكلوي حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من تقنية وجودة عالية لإراحة المريض والإقلال من معاناته خلال ساعات الغسيل وهي في تطور دائم ومستمر, في نفس الوقت كان الكثير من العلماء والمختصين يفكرون في إيجاد طريقة أو آلية أخرى لعلاج الفشل الكلوي والتي تتمثل في زراعة الكلى كعضو من أعضاء الجسم , وكما هو معروف فإن فكرة زراعة الأعضاء يرجع تاريخها على مستوى الحيوانات إلى عام 1902م , عندما قام جابوليه في فرنسا بزرع كلية حيوان لإنسان و بطبيعة الحال فشلت هذه العملية لعدم التطابق , ولكن تلميذه كاربل أجرى تحسينات على هذه العملية وقام بتوصيل الأوعية الدموية بطريقة ناجحة مما أدى إلى نجاح عمليات الزراعة من فصيلة واحدة بشكل نسبي , وفي عام 1933م قام الجراح الأوكراني يوفوروني بأول علمية زرع كلية من إنسان لإنسان و استمرت الكلية في أداء وظيفتها لمدة ست ساعات , ثم قام بعمليات أخرى مماثلة كلها باءت بالفشل وذلك بسبب عملية رفض الجسم لهذه الأعضاء (6), وفي بداية الخمسينات بدأ العالم مورتون دراسته لسبب رفض الكلى المزروعة وغيرها من الأعضاء و بدأت الدراسات تتوالى حول جهاز المناعة حتى توصلوا إلى عقارات تثبيط المناعة في الجسم كالبريدنوزولون والازاثيوبرين والسيكلوسبورين والتاكريلموس وغيرها من الأدوية والتجهيزات التي فتحت أفاقاً جديدة أمام زراعة الأعضاء والتي لم تقتصر على الكلى بل شملت كل الأعضاء ما عدا الدماغ , وأصبحت الأعضاء تؤخذ من الأحياء و الأموات و الأنسجة الجنينية ,وهكذا تطورت عمليات زراعة الأعضاء حتى أصبحت تحقق نجاحا بنسب تفوق 80 % في بعض الزراعات , هذا جعل الكثير من العلماء يقومون بإجراء دراسات مكثفة ومستمرة لمعرفة أيهما أفضل للمريض الغسيل أم الزراعة ,وقد تبين من خلال الدراسات السابقة التي أجريت في هذا المجال أن هنالك عدة عوامل تؤثر في نجاح عمليتي الغسيل الكلوي وزراعة الكلى مثل الدراسة التي أجراها ارينـد وآخرين وامتدت 25 سنة بعد زراعة كلى لمرضى مصابين بالفشل الكلوي , والتي أشاروا فيها إلى أن هنالك عدة عوامل تتحكم في فترة البقاء بعد العملية (7), والدراسة التي

أجراها هيرويق الف وآخرين والتي تبين من خلالها أن قصر أو طول فترة الغسيل ما قبل عملية الزراعة تؤثر تأثيرا واضحا على نتيجة فترة البقاء على قيد الحياة بعد العملية التي أجراها المريض (8) , وكذلك الدراسة التي أجراها الدكتور فرانكس جيمي والتي تبين من خلالها أن هنالك عدة عوامل تؤثر على فترة البقاء بعد البدء في عملية الغسيل الكلوي وزراعة الكلى وفترة البقاء بعد الغسيل غير ثابتة وتختلف من شخص إلى أخر (9) , وهنالك عدة دراسات أخرى وفي كثير من دول العالم في هذا المجال ولكن الدراسات السابقة في هذا المجال في ليبيا شحيحة , وكمحاولة متواضعة منا لمعرفة أهم مسببات الفشل الكلوي وأيهما أفضل بالنسبة للمريض ,الغسيل الكلوي أم زراعة كلى رأينا القيام بهذه الدراسة خاصة وان المجتمع الليبي يفضل الاستمرار في الغسيل بدل الزراعة وهذا ما تم استنتاجه من قبل استبيان وزع على خمسمائة مواطن فضل 78% منهم عملية الغسيل على الزراعة ولأسباب مختلفة, عليه رأينا القيام بهذه الدراسة بالرغم من ندرة البيانات وعدم وجود قاعدة بيانات كاملة على مستوى الدولة الليبية يمكن الرجوع إليها في مثل هذه الدراسات.

الهدف من هذه الدراسة

أسئلة كثيرة يتم طرحها من قبل المواطنين عامة والمرضى خاصة عن أي الطرق أفضل لمرضى الفشل الكلوي هل التوجه إلى الغسيل الكلوي أو التوجه لزراعة الكلى وكذلك عن أهم مسببات مرض الفشل الكلوي ,من هنا أتت فكرة هذه الدراسة ورأينا التوجه إلى المستشفيات والمراكز المتخصصة في الغسيل الكلوي بليبيا وذلك لتجميع بيانات عن مرضى الفشل الكلوي ممن وافتهم المنية في هذه المراكز والمستشفيات وذلك للاعتماد عليها في إجراء هذه الدراسة , وقد تحصلنا على بيانات عن 140 مريض 98 منهم خضعوا للغسيل الكلوي قبل وفاتهم و 42 منم تم إجراء عمليات جراحية لهم لزراعة كلى قبل وفاتهم.

وعليه فإن هذه الدراسة تهدف إلى معرفة متوسط مدة البقاء بعد البدء في عملية الغسيل الكلوي ,كذلك بعد إجراء عملية زراعة كلية عند مجموعة من مرضى الفشل الكلوي في ليبيا ,وحساب متوسط أعمار مرضى الفشل الكلوي تحت عملية الغسيل الكلوي والمرضى الذين تمت زراعة كلية لهم , والأسباب الرئيسية للفشل الكلوي في كل من المرضى تحت عملية الغسيل والمرضى الزارعين للكلى.

المواد المستخدمة في الدراسة وطريقة إجراء الدراسة

1- تم تكليف الطلبة المشاركين في هذه الدراسة بالاتصال بالمسؤولين عن المستشفيات والمراكز المتخصصة في علاج أمراض الفشل الكلوي في بعض المدن الليبية , مصحوبين برسالة رسمية

بطلب بيانات سابقة (Retrospective Study)عن هؤلاء المرضى, مع الالتزام بالاحتفاظ بسرية هذه البيانات , وقد تحصلنا على بيانات لعدد 140 مريض ومريضة وافتهم المنية في أوقات سابقة.

2- البيانات عن المرضى تم الحصول عليها من كل من مركز الزهراء لأمراض الكلى, مستشفى طرابلس المركزي , مستشفى نالوت المركزي وكذلك مستشفى غريان العام.

3- كل البيانات المتحصل عليها تم وضعها في جداول خاصة ليتم تحليلها فيما بعد

4- اقتناء جهاز حاسوب يحتوي على برنامج (Excel) الإحصائي لاستعماله في تحليل وحساب البيانات المتحصل عليها وكذلك لرسم الأشكال البيانية التوضيحية.

5- تم استعمال طريقة التحليل الإحصائي والرسم بالأشكال البيانية لتمثيل البيانات المتحصل عليها من هذه المراكز والمستشفيات.

النتائج

الجداول من الجدول رقم (1) إلى (5) وكذلك الأشكال من رقم (1) إلى (4) تبين النتائج التي تحصلنا عليها من خلال هذه الدراسة والتي ضمت 98 مريض (ذكورا وإناثا) كانوا يعانون من الفشل الكلوي ووافتهم المنية وهم تحت عملية الغسيل الكلوي, و48 مريض (ذكورا وإناثا) أجريت لهم عمليات زراعة كلى ووافتهم المنية بعد إجراء العملية.

الجدول رقم (1) يبين عمر المرضى ومدة البقاء على قيد الحياة بالسنوات بعد بداية الغسيل الكلوي وكذلك سبب الفشل الكلوي.

رقم م.	العمر بالسنوات	البقاء بعد الغسيل بالسنوات	سبب الفشل الكلوي
1	71	1	مضاعفات مرض السكري
2	65	3	مضاعفات ضغط الدم
3	60	1	مضاعفات مرض السكري
4	66	10	مضاعفات مرض السكري
5	72	1	مضاعفات مرض السكري
6	35	5	عامل وراثي
7	40	3	ضمور كلوي

8	60	2	مضاعفات مرض السكري
9	50	3	مضاعفات مرض السكري
10	59	1	مضاعفات مرض السكري
11	95	3	مضاعفات مرض السكري
12	36	1	مضاعفات مرض السكري
13	70	1	مضاعفات مرض السكري
14	55	7	ضمور كلوي
15	60	6	مضاعفات مرض السكري
16	55	1	مضاعفات مرض السكري
17	70	5	أكياس كلوية
18	40	6	مضاعفات مرض السكري
19	38	4	عامل وراثي
20	28	1	ضمور كلوي
21	57	2	مضاعفات مرض السكري
22	65	2	مضاعفات مرض السكري
23	60	1	عامل وراثي
24	66	3	أكياس كلوية
25	33	3	مضاعفات مرض السكري
26	46	1	مضاعفات مرض السكري
27	46	3	مضاعفات مرض السكري
28	52	1	مضاعفات مرض السكري
29	65	1	مضاعفات مرض السكري
30	41	5	عامل وراثي
31	44	4	عامل وراثي
32	63	12	مضاعفات مرض السكري
33	23	2	ارتفاع ضغط الدم

34	80	10	مضاعفات مرض السكري
35	45	1	مضاعفات مرض السكري
36	35	4	مضاعفات مرض السكري
37	75	2	مضاعفات مرض السكري
38	35	3	مضاعفات ضغط الدم
39	85	12	ضمور كلوي
40	43	1	ضمور كلوي
41	43	3	ورم بالكلى
42	65	4	مضاعفات مرض السكري
43	95	2	مضاعفات مرض السكري
44	40	5	مضاعفات مرض السكري
45	63	10	مضاعفات مرض السكري
46	25	6	عامل وراثي
47	35	2	سبب غير معروف
48	49	5	سبب غير معروف
49	37	6	مضاعفات مرض السكري
50	35	1	نزلة برد
51	46	2	التهاب جرثومي
52	31	3	عامل وراثي
53	35	3	مضاعفات ضغط الدم

الجدول رقم (2) يبين تحليل لأسباب الفشل الكلوي بالأعداد وبالنسبة المئوية لإجمالي مرضى الغسيل الكلوي قيد الدراسة.

الرقم	سباب الفشل الكلوي	عدد الحالات	النسبة المئوية
1	مضاعفات مرض السكري	45	% 45.91
2	مضاعفات ضغط الدم	15	% 15.3

3	أسباب وراثية	7	% 7.1
4	التهابات جرثومية	7	% 7.1
5	أكياس كلوية	5	% 5.1
6	ضمور كلوي غير معروف السبب	5	% 5.1
7	أسباب غير معروفة	5	% 5.1
8	نزلة بردية	4	% 4.01
9	أخطاء طبية	2	% 2.04
10	مضاعفات حصى كلوي	2	% 2.04
11	أورام	1	% 1.02

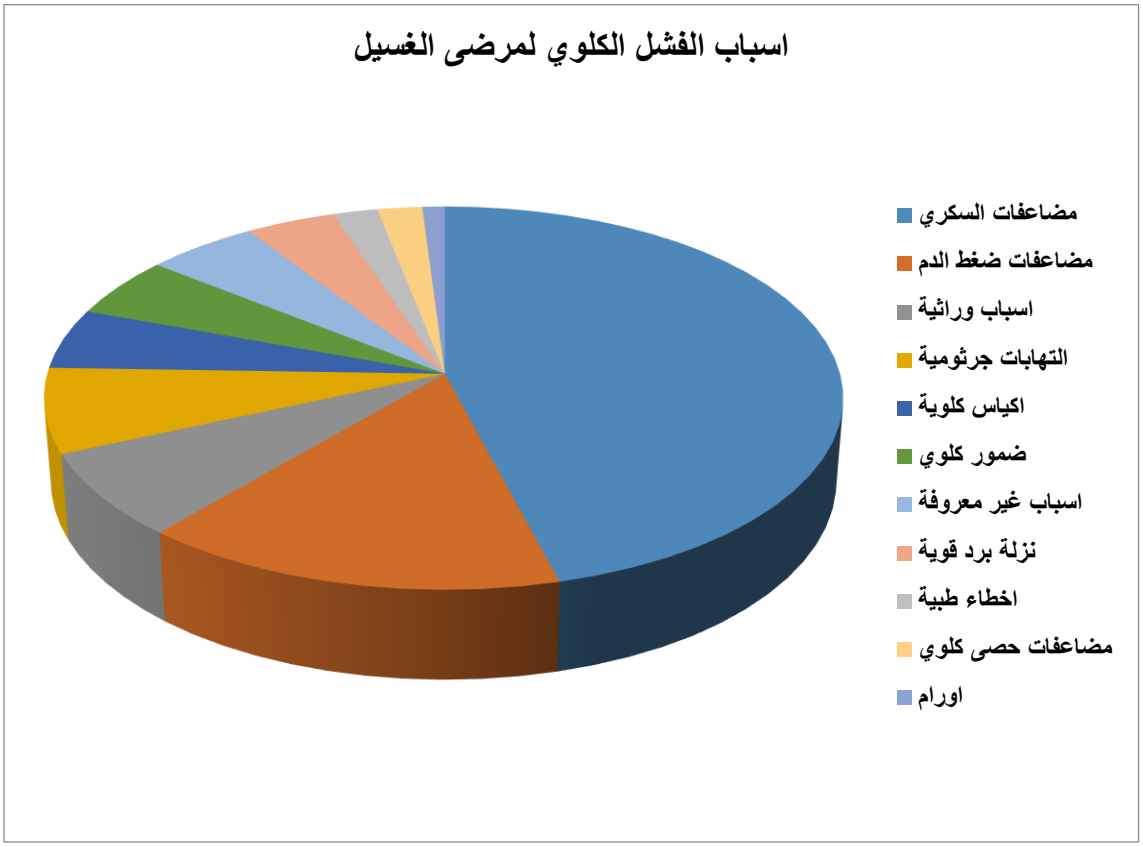

الشكل رقم (1) يبين أسباب الفشل الكلوي عند مرضى الغسيل الكلوي.

الجدول رقم (3) يبين عمر المرضى وكذلك مدة البقاء على قيد الحياة بالسنوات بعد بداية زراعة الكلى وسبب الفشل الكلوي .

الرقم م.	العمر بالسنوات	البقاء بعد الزراعة بالسنوات	سبب الفشل الكلوي

1	23	2	مضاعفات مرض السكري
2	50	5	فقر دم
3	45	4	مضاعفات مرض السكري
4	50	1	مضاعفات ضغط الدم
5	45	2	مضاعفات مرض السكري
6	50	26	سبب غير معروف
7	45	11	مضاعفات مرض السكري
8	50	10	مضاعفات مرض السكري
9	60	11	التهاب كلوي جرثومي
10	54	13	نزلة برد
11	28	4	خطاء طبي
12	25	7	مضاعفات ضغط دم
13	64	19	سبب غير معروف
14	55	5	مضاعفات مرض السكري
15	80	17	مضاعفات ضغط دم
16	40	11	مضاعفات مرض السكري
17	42	18	نزلة برد
18	35	18	نزلة برد
19	50	7	التهاب كلوي جرثومي
20	38	12	التهاب كلوي جرثومي
21	32	17	مضاعفات مرض السكري
22	45	8	التهاب كلوي جرثومي
23	40	1	خطاء طبي
24	42	2	خطاء طبي
25	30	1	خطاء طبي
26	80	2	نقص العلاج
27	25	3	التهاب كلوي جرثومي
28	65	1	التهاب كلوي جرثومي

29	80	1	خطاء طبي
30	38	2	نقص العلاج
31	24	4	خطاء طبي
32	50	4	مضاعفات مرض السكري
33	42	3	ارتفاع ضغط دم
34	40	10	خطاء طبي
35	48	2	التهاب كلوي جرثومي
36	48	4	نقص علاج
37	18	5	فقر دم
38	35	3	ضعف عضلات القلب
39	34	4	نقص العلاج
40	59	10	نزلة برد
41	34	1	التهاب كلوي جرثومي
42	43	11	انسداد المسالك البولية

الجدول رقم (4) يبين تحليل لأسباب الفشل الكلوي بالنسبة المئوية لمرضى الزرع الكلوي.

الرقم	أسباب الفشل الكلوي	عدد الحالات	النسبة المئوية
1	مضاعفات مرض السكري	9	% 21.4
2	مضاعفات ضغط الدم	4	% 9.5
3	التهابات جرثومية	8	% 19
4	فقر دم	2	% 4.8
5	أسباب غير معروفة	2	% 4.8
6	نزلة بردية	4	% 9.5
7	أخطاء طبية	7	% 16.7
8	نقص علاج	4	% 9.5
9	ضعف عضلات القلب	1	% 2.4
10	انسداد المسالك البولية	1	% 2.4

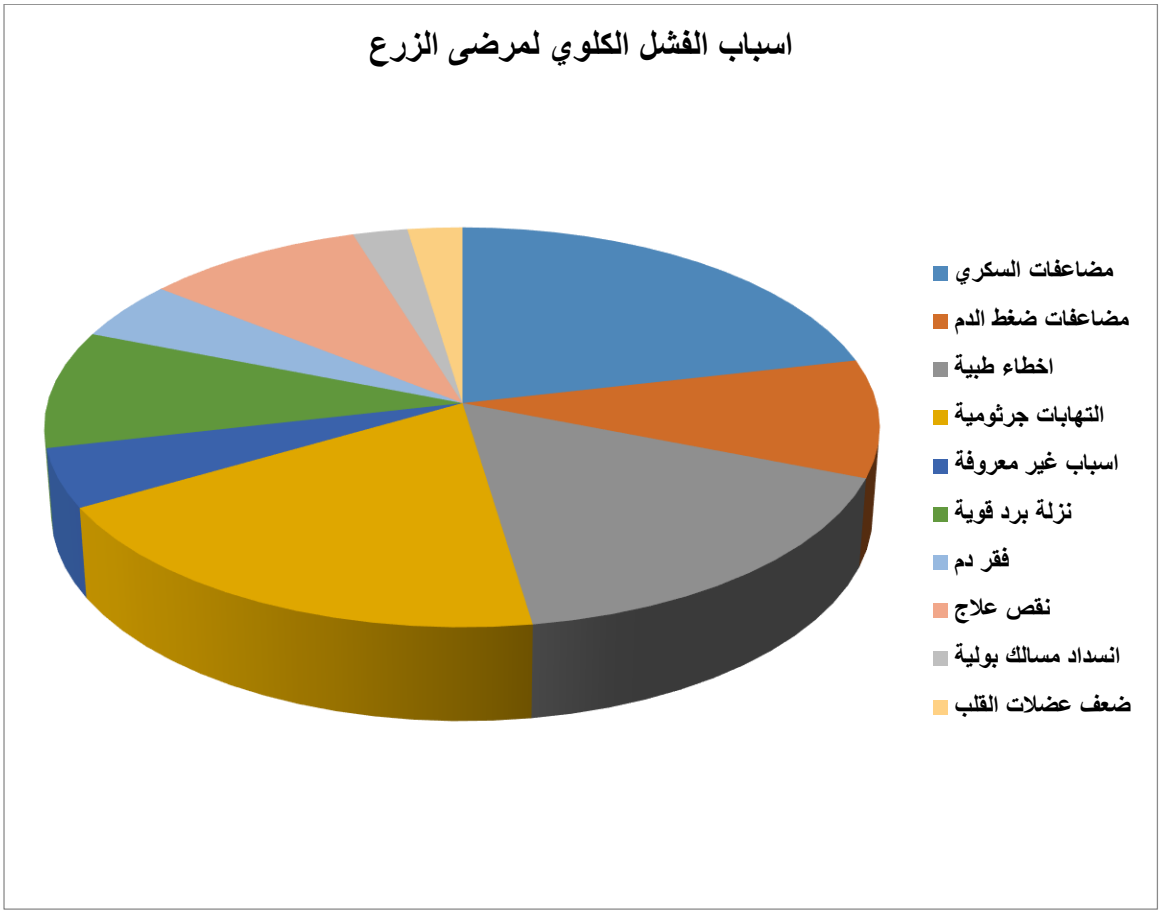

الشكل رقم (2) يبين أسباب الفشل الكلوي عند المرضى زارعي الكلية .

الجدول رقم (5) يبين متوسط عمر مرضى الفشل الكلوي الذين كانوا تحت الغسيل وزارعي الكلى وكذلك مدة البقاء بعد البدء بالغسيل و بعد البدء في الزراعة.

رقم	المؤشر	مرضى كانوا تحت الغسيل الكلوي	مرضى كانوا زارعي كلية
-1	متوسط الأعمار بالسنين	53.5	44.8
-2	متوسط فترة البقاء بعد البدء في العملية بالسنوات	3.8	7.2

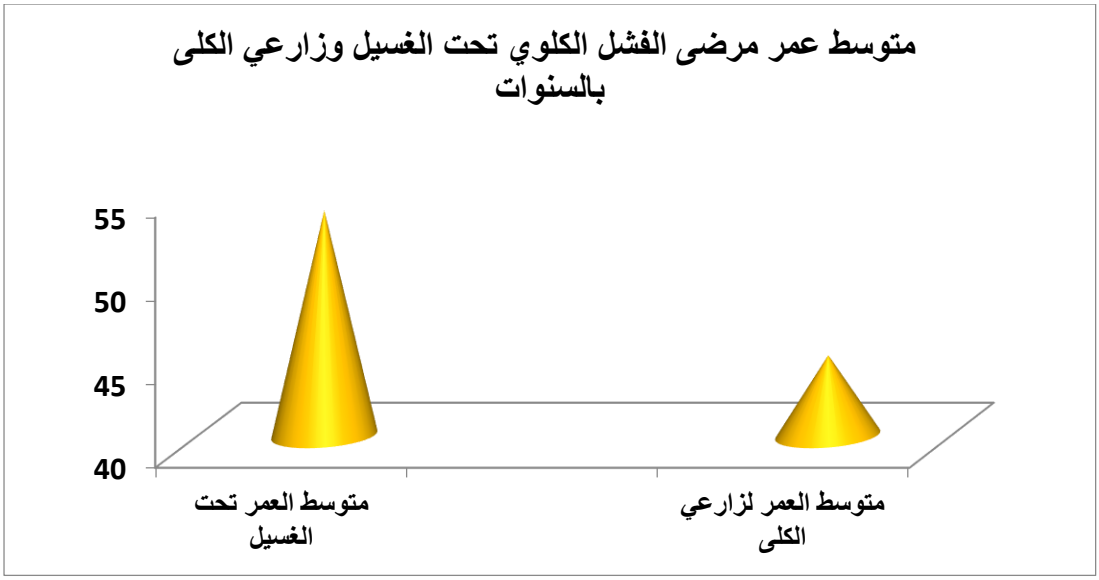

الشكل رقم (3) يبين مقارنة بين متوسط أعمار المرضى تحت عملية الغسيل الكلوي والمرضى زارعي الكلى بالسنوات.

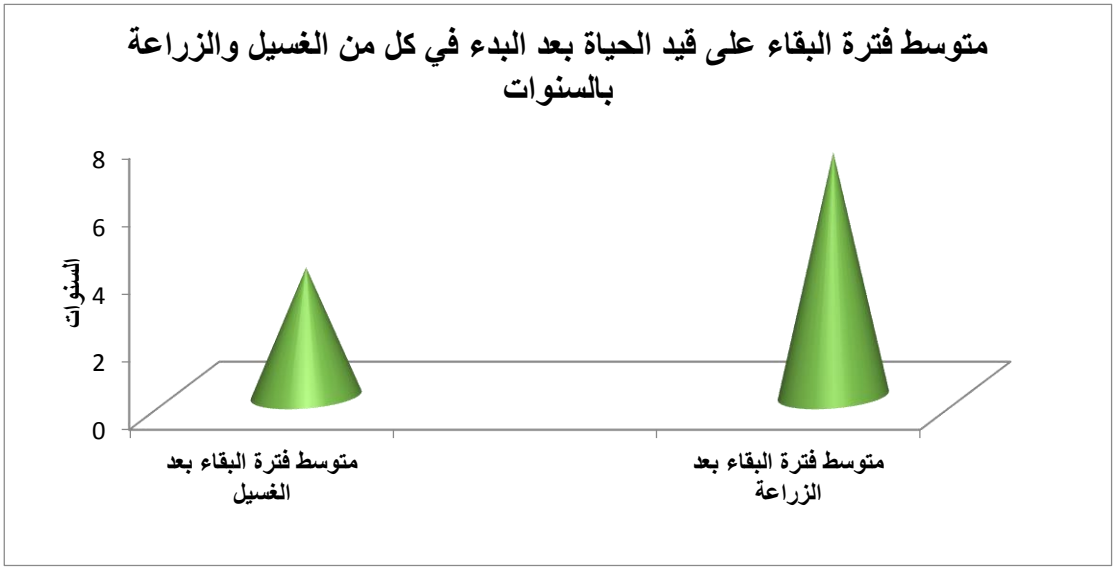

الشكل رقم (4) يبين مقارنة بين متوسط ألبقاء على قيد الحياة بعد البدء في عمليتي الغسيل الكلوي وزارعة الكلية بالسنوات.

المناقشة

هذه الدراسة يتبين لنا الكثير من المؤشرات , أولها أن فترة البقاء على قيد الحياة بعد عملية زراعة الكلى هي أطول من فترة البقاء بعد البدء في عملية الغسيل الكلوي, فبينما كان متوسط فترة البقاء

بعد الزراعة هي 7.2 سنة ,كان متوسط فترة البقاء بعد البدء في عملية الغسيل هي 3.8 سنة , هذا ما تؤيده كل الدراسات السابقة والتي تؤكد أن المرضى الذين يقومون بزراعة الكلى لهم فرصة البقاء على قيد الحياة أكثر ممن يقومون بعملية الغسيل الكلوي (11,10) كذلك تبين الدراسات السابقة أن عملية زراعة الكلى تحسن من جودة حياة المريض بالفشل الكلوي وتقلل من نسبة الوفيات مقارنة بالمرضى الذين يقومون بعملية الغسيل (14,13,12) كذلك فان ما أعلنه مركز معلومات الكلى الأمريكي يتوافق إلى حد كبير مع النتائج التي تحصلنا عليها من خلال هذه الدراسة (15), ومن خلال هذه الدراسة كذلك, يتبين أن من أهم مسببات الفشل الكلوي مرض السكري وضغط الدم وهذا ما تؤكده جمعية الكلى الدولية (National Kidney Foundation) (16) , وأن متوسط أعمار المرضى الذين اتجهوا إلى الغسيل هو 53.5 سنة, بينما كان متوسط أعمار المرضى الذين قاموا بإجراء عمليات زرع الكلى هو 44.8 سنة , وهذا هو السبب في طول مدة البقاء بعد الزراعة لأن اغلب المتجهين إلى اختيار الزراعة يقومون بالزراعة في أعمار صغيرة أي مباشرة بعد الإصابة بالفشل الكلوي , وهذا يؤثر على فترة البقاء بعد الزراعة كما جاء في الدراسات السابقة (18,17) , كذلك من خلال هذه الدراسة تبين أن التهابات الكلى كانت السبب الثاني في حدوث الفشل الكلوي عند المرضى الذين قاموا بزراعة الكلى, وهذا قد يعود إلى عدم اهتمام المرضى بالذهاب إلى الطبيب في الوقت المناسب, أو لعدم تناول الأدوية الموصوفة بالطريقة الصحيحة ,أو لخطاء في التشخيص , كذلك الأكياس الكلوية كانت من الأسباب المهمة للفشل الكلوي بين المرضى , ولعبت الأخطاء الطبية كذلك دورا في الإصابة بالفشل الكلوي, بالإضافة إلى عدة أسباب أخرى غير واضحة , كل هذه النتائج تشجع على أن تجرى دراسات أخرى مفصلة مستقبلا على هذه الأسباب كلا على حده وعلى عدد أكبر من المرضى حتى تكون النتائج المتحصل عليها أكثر دقة .

الإستنتاج

1- نستنتج من هذه الدراسة أن مدة البقاء على قيد الحياة بعد البدء في عملية زراعة كلية هي أطول من مدة البقاء بعد البدء في عمليات الغسيل بالنسبة لمرضى الفشل الكلوي وهذا ما أكدت عليه دراسات سابقة.

2- انه من أهم أسباب الفشل الكلوي مرض السكري وضغط الدم المرتفع بالإضافة إلى أمراض وأسباب مختلفة أخرى.

3- أن أعمار المرضى الذين كانوا تحت الغسيل الكلوي أصغر سنا من المرضى الذين أجروا عمليات زراعة كلى.

التوصيات

1- علاج كل من مرضى السكر والضغط بالطريقة المثلى لكي لا تحصل مثل هذه المضاعفات.

2- إجراء الكشوفات المبكرة للكشف على الأمراض الوراثية المسببة للفشل الكلوي كالأكياس الكلوية وغيرها من الأمراض الوراثية.

3- الاتجاه إلى زراعة الكلى حال توفر الإمكانيات لذلك ,حيث أن هذه الدراسة تبين أن فترة البقاء على قيد الحياة بعد إجراء عملية الزرع أطول من فترة البقاء على قيد الحياة لمن يعتمدون في علاج الفشل الكلوي على الغسيل فقط.

4- إجراء دراسات دقيقة على تأثير كل من السن وفترة الغسيل قبل الزراعة وجنس المريض والأمراض المسببة للفشل الكلوي ,كذلك نوع المعطي أو المتبرع على فترة البقاء بعد البدء في الغسيل الكلوي وزراعة الكلى.

5- إلزام مراكز ومستشفيات علاج الفشل الكلوي بضرورة الاحتفاظ بكل المعلومات الخاصة بالمرضى وإنشاء قاعدة بيانات يمكن الالتجاء إليها في مثل هذه الدراسات للحصول على نتائج أكثر دقة.

6- يلاحظ أن للأخطاء الطبية دورا في التسبب بالفشل الكلوي ,عليه يجب الاهتمام من قبل الأطباء والصيادلة وغيرهم ممن يعملون في علاج المرضى بتوخي الحذر والدقة في عملهم حتى لا تحدث مثل هذه الأخطاء.

المراجع

1- http://www.mee65.tumblr.com

2- Graham T. The Bakerian lecture: on osmotic force. Philosophical Transactions of the Royal Society in London. 1854;144:177–228

3 –Abel , J.J.,Rountree,L.G., and Turner,B.B. The removal of diffusible substances from the circulating blood by means of dialysis.
Tn. Assoc. Am. Phys., 28:51,1913

4- Georg Haas (1886-1971): The forgotten Haemodialysis Pioner ((PDF))

5- Kolff,W.J., and Berk, H.T.J.,Artificial Kidney dialyzer with great area.Geneesk.gids.,21:1944

6- Surgeon Yurii Voronoy (1895-1961), A pioneer in the history of clinical transplantation : in memoriam of the 75th Anniversary of the first human kidney transplant, Transplant international , 22: 1132-1139 ,12/2009

7-S.M. Arend, M. J. Mallat, R. J. Westendorp, F. J. Van and L. Avan Es Patient survival after renal transplantation; more than 25 years follow-up Nephrol. Dial.(1997), 12 (8):1672-1679

8- Herwig –Ulf,, Meier- kriesche and Bruce Kaplan, Waiting time on dialysis as the strongest modifiable risk factor for renal transplantions outcome, Transplantation, 74, 137-1381, 2002

9- Franks J. , What is the longest a patient has survived on dialysis? 2008, http://inhatdialysis.com/Forum/index.php?topic=9672.0, 2011

10-Laupacis A., Keown P., etal. A study of quality of life and cost-utility of renal transplantation. Kidney int. 1996 Jul; 50(1):235-242

11- Wolfe RA., Ashby VB., etal. Comparison of mortality in all patients on dialysis, patients on dialysis and waiting transplantation , and recipients of a first cadaveric transplant. N. Eng. J. Med. 1999 2:341(23):1725-30

12- Shnuelle P. Lorenz D., Trede M., etal. Impact of renal cadaveric transplantation on survival in end stage renal failure: evidence for reduced mortality risk compared with haemodialysis during long time follow-up., J. Am. Soc. Nephrology. 1998; 9(11):2135

13- Port FK. Wolfe RA., etal. Comparison of survival probabilities for dialysis patient vs. cadaveric renal transplant recipient. , JAMA. 1993; 270(11):1993

14- Rabbat CG., Thorpe KE., Russell JD., etal. Comparison of mortality risk for dialysis patients and cadaveric first renal transplant recipients in Ontario , Canada., J.AM.Soc.Nephrol. 2000;11 (5):917

15- US. Renal Data System. Bethesda MD. National Institute of Health, National Institute of Diabetics and Digestive and Kidney Diseases ; 2009.USRDS; 2009 Annual Data Report.

16- http://www.kidney.org/atoz/content/kidneydiscause.

17-Akinlolu O., Ojo., Julie A Hanson etal. Long term survival in renal transplant recipients with graft function. Kidney International(2000)57, 307-313

18- Cosio FG. Alamir A. etal. Patient survival after renal transplantation: The impact of dialysis pre-transplantation. Kidney int. 1998 Mar. 53(3):767-72.

العلوم الأساسية

الأحياء الفطرية المحمولة بالهواء داخل و خارج مستشفى الزّنتان المركزي-ليبيا

Aeromycobiota indoor and outdoor El-Zentan Central Hospital – Libya.

محمد أحمد الرياني[1] وعلى عامر العربي[2].

كلية العلوم – جامعة الجبل الغربي – ليبيا.

Email: mohamedryani@yahoo.com

المستخلص

اصطيد على وسطي السّابرود والبطاطس دكستروز عدد (486) وحدة تكاثرية فطريّة CFU من الهواء الداخلي لقسمي الجراحة والولادة بمستشفى الزّنتان المركزي. تنتمي إلى 11 جنساً تضمّ 28 نوعاً فطريا. وكان أكثرها انتشاراً الفطريات Aspergillus spp. (35.40 %), Cladosporium spp. (25.93 %), Penicillium spp. (10.92 %) and Candida spp. (8.64 %) يليها بنسب انتشار تتراوح ما بين 2.26 – 6.79 % الفطريات التَّالية: Fusarium spp., Alternaria spp., Mucor spp. and Rhizopus spp. و تساوت نسب انتشار الفطريّات Chrysosporium tropicum , Cochliobolus lunatus and Paecilomyces variottii بنسبة انتشار (0.21 % لكل منها). بينما تم اصطياد عدد 1292 وحدة فطريّة تكاثرية CFU من الهواء الجوي المحيط بالمستشفى. تضمّنت 12 جنساً فطرياً صنفت إلى 35 نوعاً. ولقد كانت السّيادة للفطريات Cladosporium spp. (33.51 %), Aspergillus spp.(23.06 %) and Penicillium spp. (19.74 %). يليهم أنواع من جنس الفيوزاريم Fusarium spp. بنسبة انتشار 7.55 %، متبوعاً بالفطريات التَّالية Beauveria sp., Candida spp., Chrysosporium sp., Cochliobolus sp., Mucor spp., Phoma sp., Rhyzopus sp., and Uochladium atrum. بنسب انتشار تتراوح ما بين (0.23 – 3.77 %).

المقدمة

تعد عدوى المستشفيات أو العدوى المكتسبة أثناء الوجود بالمستشفيات، إحدى المشكلات الصّحّيّة الخطرة التي قد تصيب المرضى لاسيمّا: كبار السّن، و ذوي المناعة المحدودة، و الأَطفال، و مرضى الحروق، و الرّعاية المركّزة، و المرضى الذين يتلقّون العلاج لفترات طويلة والمرضى

الذين يعالجون ببعض الأدوية، مثل: المضادّات الحيويّة واسعة المدى، ومثبطات المناعة، والكورتيزون، والعلاجات الكيميائيّة للسرطان.

لذا فإن الإهمال في تطبيق وسائل مكافحة العدوى داخل المستشفيات يؤدي إلى إطالة فترة الإقامة، وفتح المجال أمام ظهور أنواع جديدة من العدوى الجرثوميّة المقاومة للمضادّات الحيويّة، وقد يرفع من معدلات الوفاة، كما يؤثّر بشكل كبير على جودة العمل الطّبّي، بالإضافة إلى زيادة التّكلفة بالمستشفيات، و تعزيز الوعي الأساسي بشأن المسارات المحتملة للعدوى الجرثوميّة يؤدي إلى تحسين السّلوك الإيجابي لمكافحة العدوى الجرثوميّة بالمستشفيات. (على، 2006؛ بودنشاتس وآخرون، 2008؛ عبد وآخرون، 2008؛ ميخائيل و غيت، 2010 و Lewis et al., 2013).

تؤكد الإحصائيّات الصّادرة عن مركز مكافحة الأمراض والوقائية الأمريكي (CDC) Centers for Disease Control and Prevention أن واحداً من بين كلّ عشرين مريضاً يصاب بعدوى المستشفيات نتيجة تلوث معاطف الأطباء، وأعضاء هيئة التّمريض، ومقدّمي الخدمة الصّحّيّة، وأقنعة الوجه، وأغطية الفراش، والهواتف الجوّالة بالجراثيم. وأكّدت الإحصائيّات أن معدل حدوث عدوى المستشفيات في الدّول المتقدّمة يتراوح ما بين 5 إلى 10 % من كافّة حالات الدّخول إلى المستشفيات والمؤسّسات الصّحّيّة، وترتفع هذه النسبة في الدّول النّامية إلى نحو 10 إلى 20 %. وإن أكثر أنواع العدوى الجرثوميّة التي تصيب المرضى أثناء وجودهم بالمستشفيات، هي: عدوى الجهاز البولي، والجهاز التّنفسي وتسمم الدّم وعدوى جروح العمليات، وأوضحت توصيات الجهات الصّحّيّة العالميّة أن أكثر من ثلث هذه الحالات يمكن الوقاية منها بإتبّاع القواعد الصّحّيّة والإلتزام بإرشادات الوقاية من العدوى. Ismial et al., 2010; Luke et al., 2011and (Karolin et al., 2011).

و التّلوث الفطري المحمول بالهواء في مراكز العناية الصّحّيّة كان موضوع البحث في العديد من الدّراسات التي أظهرت أن بعض العدوى في المستشفيات كان سببها الفطريّات مثل Aspergillus,Fusarium, Penicillium, Cladosporum, Mucor, Alternaria and Rhzopus

(ALberti et al.,2001;Faure et al., 2002 and Perdelli et al.,2006),

من المؤكّد أن الفطريّات الموجودة في غرف المستشفيات تنمو علي المواد العضويّة لموادّ البناء، وتتطور إلى مستعمرات دقيقة تنبثق منها الجراثيم الفطريّة ويتم استنشاقها من قبل المرضي لاسيّماء ضعيفي المناعة لتسبب العدوى (Singh and Paterrson, 2005). و التلوث الفطري الخارجي

يعتمد علي عدة عوامل، تتضمن: الرّطوبة، التّهوية، درجة الحرارة والمواد العضوّية في مواد البناء، وأيضا التّحميل الفطرّي الخارجي. هناك قله في المعلومات عن التّلوث الفطرّي لاسيّما التي تقارن بين التركيز الفطرّي ومستويات التّلوث (Pitt, 1994; Medrela-Kuder,2003; Oliveira et al.,2003; Jo and Seo, 2005; Avdogdu and Asan, 2008 & Al-Ryani and Ismial, 2014). داخل وخارج المستشفيات، هذه المقارنة أُجريت في بيئات أخرى: كمباني الأقسام الدّاخلية، والمدارس، ومراكز عناية الطّفل، وصالات المحاضرات، و في هذه الدّراسات كان تركيز الفطريّات المحمولة بالهواء في الدّاخل أقل من الخارج في كلا البيئتين. وكانت الأنوع Alternaria spp. Cladosporium spp., Penicillium spp., and Aspergillus spp. هي السائدة.

القليل جداً معروف حول التّوزيع الموسميّ للفطريّات في بيئات المستشفيات، ففي دراسة للهواء المحمل بالفطريّات خارج وداخل وحدتي الدّم Haematological units بمستشفى ديجون الفرنسي (Sautour et al., 2009) خلال الفترة من اكتوبر 2005 إلى مارس 2007. جُمعت عينات الهواء بواسطة جهازالهواء المضغوط النّقال.Portable Air System Impactor و كان متوسط حمولة الفطريّات في عينات الهواء الخارجي $122.1\ CFU\backslash m^3$ وكانت داخل وحدتي الدّم $41CFU\backslash m^3$ و $31CFU\backslash m^3$ للبالغين وحديثي الولادة على التّوالي، وفي عينة الهواء الخارجي كان جنس .Cladosporium spp هو السائد بنسبة 55% ، بينما في الهواء داخل الوحدات الصّحّيّة كانت السّيادة للأجناس الفطرية Aspergillus spp. (23-25%).Penicillium spp. (15-23%) and Bjerkandera adusta (11-13%). و السّعة الفطريّة للهواء الخارجي كانت أعلى جدّاً في الخريف $168\ CFU\backslash m^3$. وفي الرّبيع ($110\ CFU\backslash m^3$)، والصّيف (138 CFU) بينما في الشّتاء كان الهواء الخارجي أقل محتوًى فطرياً ($49\ CFU\backslash m^3$). تركيز الفطريّات بالهواء الدّاخلي كان معنويّاً أقل كثيراً في الشّتاء ($2.7-3.1\ CFU\backslash m^3$) عنه في الصّيف (4.2- $5.0\ CFU\backslash m^3$) في كلتا وحدتي الدم. بينما في هواء البيئة الخارجيّة كانت أنواع Penicillium spp. and Aspergillus spp. أكثر وفرة مقارنة بأنواع فطرة .Cladosporium spp خلال الفصل نفسه. في حين كانت نسبة فطرة .Aspergillus spp ثابتة خلال فصول السّنة بالهواء داخل وحدتي الدّم (قريباً من 20 %). فطر Bjerkandera adusta spp كان وفيراً جدّاً في الشّتاء (قريب من 30 %). مستويات .Penicillium spp كانت أعلى في الخريف بينما مستويات .Cladosporium spp كانت أعلى في الربّيع والصّيف.

قد يكون سبب العدوى الفطرية من خلال تصريف الجراثيم الملوثّة من وحدة تكييف الهواء؛ لأن وحدات مرشحات الهواء قد تكون بمثابة عشّ لنمو الفطريّات، ففي دراسة أجراها Kelkar).

et al., 2005) تم تقييم وحدات مرشّحات التّكييف في 25 غرفة عمليات بمستشفيات الهند لكل ثلاثة أشهر على مدى سنتين، وكان المعدل العام للمستعمرات الفطريّة بالمرشّحات 26 % (52 نوعاً فطرياً) بالإضافة إلى ذلك كان عدد الفطريّات لنوافذ وحدات التكييف أكثر من عددها بجُدر مرشّحات وحدات التّكييف. والأجناس الفطريّة المعزولة Aspergillus spp. (N=28)، و Rhizopus spp (N=18) ، (N=2) Penicillium spp. and Fusarium spp. (N=4). واستنتجت الدّراسة أيضاً أن غرف العمليّات الجراحّية في الدّول النّامية لا تحتوي علي المعايير و المقاييس الفزيائيّة، وأن أكثر غرف العمليات التقليديّة بمستشفيات الهند مزوّدة بنظام وحدات تكييف الهواء من نوع النّافذة المركّبة؛ وهذه الوحدات رُكّبت من أجل الرّاحة أكثر من التزويد بالهواء النّظيف، و بالرّغم من أن كمّية الجراثيم الفطريّة اللازمة لبدء العدوى غير معروفة، إلا أنه ينبغى متابعة ورصد التّلوث الفطري بدقة للحدّ من فرص نمو وانتشار الفطريّات المسّببة للأمراض، كما تشير البيانات من هذه الدّراسة أيضا أن تصميم وحدات التّكييف قد يلعب دوراً هامّاً في الحد من انتشار الفطريّات في الهواء بغرف العمليّات في البلدان النّامية.

هذه الدّراسة تهدف إلى تقييم مستوى التّلوث الفطري داخل وخارج حجرات العمليّات والعناية المركزية بمستشفى الزّنتان المركزي باستعمال طريقة الأطباق الصّائدة، وعزل وتعريف وتصنيف الأنواع الفطريّة المحمولة بالهواء داخل وخارج المستشفى، وقياس معدل انتشار الأنواع الفطريّة، وتحديد مسببات التّلوث ومعالجتها.

موادّ وطرق البحث

الوصف الخارجي لمكان الدراسة:

أُجْرِيَتْ الدّراسة في يوم 17 مايو (2014) على تمام السّاعة الحادية عشرة صباحاً بالمستشفى المركزي بمدينة الزّنتان (جنوب غرب طرابلس حوالي 160 كيلومتراً) بالجبل الغربيّ يبلغ عدد سكانها (45 ألف نسمه). يقع المستشفى بجوار السّوق التّجاري الشّعبّي في وسط المدينة على قطعة أَرض تقدّرمساحتها بحوالي ثمانية أَلاف متر مربّع غير مشجّرة، تحيط به مجموعة من المباني السّكنيّة والخدميّة. تجرى عمليّات بناءَ وصيانة للمباني والطّرق المحيطة بالمستشفى خلال مرحلة البحث، درجة حرارة الهواء الخارجي 34°م.

الوصف الدّاخلي:

أولاً– قسم الجراحة: غرفة العمليّات رقم (SR1) بقسم الجراحة: المساحة 12 متراً مربعاً الارتفاع 3 أمتار تحوي مكيّفاً واحداً، الهواء الصّادر منه في اتجاه سرير العمليّات مباشرةً خلال أخذ العيّنة،

درجة حرارة الغرفة 20°م، ارتفاع السّرير عن الأرضية 104 سنتمترات. الحجرة تحوي نافذة واحدة مغلقة، تقابلها غرفة العمليات رقم (SR2) بقسم الجراحة: المساحة 20 متراً مربعاً ارتفاع السّقف 3 أمتار تحوي مكيّفاً واحداً يشتغل خلال أخذْ العينة درجة الحرارة 20°م، ارتفاع السّرير عن سطح الغرفة 102 سنتمتر، بها نافذتَان قابلتان للفتح، والجدران رطبة، الممرّ (SC) مشترك بين الغرفتين بطول 5 أمتار وعرض متر ونصف بالارتفاع نفسه، وأبواب الغرفتين في نهاية الممرّ متقابلتان ومفتوحتان.

غرفة العناية (SOR) مساحتها 16 متراً مربعاً بالجزء الآخر من المبني، الطرقه إليها ممرّ مفتوح، تبعد حوالي 22 متراً من غرف العمليّات، يشغلها مريض واحد تحت المتابعة، بها نافذة مفتوحة مقاس متر مرّبع يدخل من خلالها تيّار الهواء الخارجي، والتكييف معطّل وهو من نوع النّافذة أحادي القطعة، درجة الحرارة 25°م، الجدران رطبة، الإضاءة ضعيفة والطَّلاء متهالك.

ثانياً– قسم الولادة: غرفة العمليّات بقسم الولادة (GR): المساحة 20 متراً مربعاً والارتفاع 3 أمتار، المكيف في وضع القفل خلال عملية الولادة، درجة الحرارة 26°م، الجدران جافة، الإضاءة جيدة ولا توجد نوافذ بالغرفة، الغرفة في نهاية الممرّ (GC) الواصل بين الغرفة والباب الرّئيس بطول 11 متراً وعرض متر ونصف.

غرفة العناية (GOR) في بداية الممرّ مساحتها 16 متراً مربّعاً مجهزة، ونظيفة وجافة وخالية من المرضى.

أُخِذَتْ عيّنات الهواء الدّاخلي من غرف العمليّات والممرات التّابعه لها، وكذلك غرف العنايه التّابعه لكل قسم. وجمعت عيّنات الهواء الخارجي من الهواء المحيط بقسمي الجراحة والولادة. أُسْتُعمِلَتْ طريقة الأَطباق الصّائدة (Settle Plate Method) في جمع العّينات، وهذه الطّريقه تعتمد علي فتح أَطباق بتري المحتوية علي وسط غذائي مناسب في المكان عين الدّراسه لزمن محدد، فيترسب عليها ما يحتويه الهواء من جراثيم ((Hoekstra et al., 2004). ثم تحضينها عند درجة حراره 25 ±2°م لمدة أسبوعين، مع متابعة النُّمو الفطريّ يوميّاً وعزل النُّموّات الفطريّة في مزارع نقيّه على الأَوساط المناسبه لنموّ كلّ نوع.

أُستُعِْملَ وسط السّابرود دكستروز آجار المتكون من(دكستروز 40 جرام/ لتر؛ ببتون 10 جرام/ لتر؛ آجار 15 جرام/ لتر؛ لتر ماء مقطر؛ 500 ملجم/لتر المضاد الحيوي كلوروفينكول) ووسط البطاطس دكستروز آجار المتكون من(المستحلص المائي للبطاطس 50 جرام/لتر؛ دكستروز 40 جرام/لتر؛ آجار15 جرام/لتر؛ لتر ماء مقطر؛ 500 ملجم/لتر المضاد الحيوي

كلوروفينكول). تعقم الأَوساط بجهار المُوصَدة (Autoclave) عند درجة حرارة 121 درجة مئوية تحت ضغط 1.5 بار ولمدة 15 دقيقة. لاصطياد الفطريّات المحمولة بالهواء تفرد بمعدل طبق لكلّ متر مربّع. رُتِّبتْ الأَطباق داخل غرف العمليّات علي ارتفاع يعادل مستوي ارتفاع سرير العمليّات مع ملاحظة وضع طبق تحت كلّ جهاز تكّييف، فتحت الأَطباق خلال العمليات الجراحيّة وعملية الولادة لمدة عشر دقائق، كذلك الحال بحجرات العنايه المركّزة، أَما الأَطباق التي وضعت في الممرّات والمحيط الخارجي للعيادات فقد وضعت علي مستوى سطح الأَرض وفتحت للمدة الزّمنيّة نفسها، حُضِنت جميع الأَطباق عند درجه حرارة 25 ±2°م لمدة أسبوعين مع متابعة النُّموّ الفطري يوميّاً وعزل النُّموّات في مزارع نقية على الأَوساط المناسبه لنّمُوْ كلّ نوع، بدراسة الخصائص الظاهرّية والمجهريّة للمزارع النقيّة، واستعمال المفاتيح العلميّة المعتمدة لتعريف الأَنواع الفطريّة بالمراجع العلميّة التَّالية (Raper and Fennell, 1965; Pitt, 1979; Domsch et al., 1980; Sivanesan, 1987; Moubasher, 1993; de Hoog et al., 2000; Leslie and Summerell, 2006 & Pitt and Hocking, 2009). الخمائر عُرفت باستعمال الوسط التفريقي Chrom-Agar بمركز الفطريات جامعة أَسيوط (AUMC) بجمهورية مصر العربيّة.

النَّتائج

أُصطيد على وسطي السّابرود والبطاطس دكستروز عدد (486) وحدة تكاثرية فطرية CFU من الهواء الداخلي لقسمي الجراحة والولادة بمستشفى الزّنتان المركزي. تنتمي إلى 11 جنساً تضم 28 نوعاً فطرياً. وكان أكثرها انتشاراً الفطريّات Aspergillus spp. (35.40 %), Cladosporium spp. (25.93%), Penicillium spp. (10.92 %) and Candida spp. (8.64%) يليها بنسب انتشار تتراوح ما بين 2.26 – 6.79 % الفطريّات التَّالية: Fusarium spp., Alternaria spp., Mucor spp. and Rhizopus spp. بينما تساوت نسب انتشار الفطريّات Chrysosporium tropicum , Cochliobolus lunatus and Paecilomyces variottii بنسبة انتشار (0.21 % لكل منها). يتّضح من النَّتائج المرصوده في جدول رقم (1) أَن أَكثر الأَماكن تلوثاً بالفطريّات المحمولة بالهواء داخل المستشفى غرفة العناية المركزة (SOR) بقسم الجراحة العامّة حيت بلغت نسبة التَّلوث 26.75 % من مجموع نسب الوحدات الفطريّة التَّكاثرية النَّامية على الأَطباق CFU يليها الممر الواصل بين غرفتي العمليات الأولى والثّانية حيت بلغت نسبة انتشار الفطريّات المحمولة بالهواء في هذا المكان 23.25 %. بينما كانت هذه النسّبة بغرفتي العمليّات الأولى والثّانية (17.08 و 15.23 % على التوالي). ورغم أن قسم الولادة أقل تلوثاً بكثير من قسم الجراحة العامة إلا أنه سجل ما نسبتة 2.90 % من الوحدات التّكاثرية الفطريّة

بغرفة الولادة الرّئيسية، و6.97 % بالممر الواصل بين غرفة العمليّات وغرفة العناية المركزية، و7.82 % بغرفة العناية المركزة.

1292 وحدة تكاثرية فطرية تم اصطيادها من الهواء الخارجي المحيط بالمستشفى تضمّ 35 نوعاً فطريّاً تنتمي إلى 12 جنساً. ولقد كانت السِّيادة للفطريّات Cladosporium spp. (33.51 %), Aspergillus spp.(23.06 %) and Penicillium spp. (19.74 %). يليهم أنواع من جنس الفيوزاريم Fusarium spp. بنسبة انتشار (7.55 %)، متبوعاً بالفطريّات التَّالية Beauveria sp., Candida spp., Chrysosporium sp., Cochliobolus sp., Mucor spp., Phoma and Rhyzopus spp. بنسب انتشار تتراوح مابين (0.23 – 3.77 %). الجدول رقم (2) يبين معدّل انتشار الفطريّات بعيّنة الهواء الخارجي.

المناقشة

عدد 28 نوعاً تنتمي إلى 11 جنساً عزلت من الهواء الجوّيّ بسبع مواضع داخل مستشفى الزّنتان، بينما تم اصطياد عدد 1292 وحدة فطريّة تكاثريّة CFU من الهواء الجوّيّ المحيط بالمستشفى. تضمّنت 12 جنساً فطريّاً صنّفت إلى 35 نوعاً. كانت نسبة تلوث الهواء داخل مواضع الدّراسة بقسم الجراحة أكبر بكثير مقارنة بمثيلاتها بقسم الولادة، وخصوصاً بغرفة العناية المركزة (26.75 %). ربما يكون ارتفاع هذه النسبة ناتج عن نافذة الغرفة المفتوحة لتيار الهواء الخارجي، يليها الممر ما بين غرفتي العمليات حيث بلغت نسبة انتشار الفطريّات (23.25 %) وهذه النّسبة ربما ترجع لموضع وتصميم الممر والمدخل، حيث إنّهُ يقع بالقرب من صالة الانتظار الرّئيسة بالقسم المحاذية للباب الرّئيس، وهى في حالة ديناميكية نشطة بين الدّاخلين والخارجين، وبالتّالي ينتج عن فتح باب الممر تلوث بالغبار النّاتج عن أحذّية الزّائرين ودخول وخروج العاملين والأَطقم الصّحّيّة.

وقد تم رصد عدد 157 وحدة تكاثرية فطريّة بحجرة العمليّات الأولى والثّانية بنسب تلوث (17.08 و 15.23 % على التوالي). هذا التلوث قد يكون سببه الرّئيس وحدات تكييف الهواء المستخدمة في كليهما، فقد لوحظ تلوث بمرشحات الهواء، وارتفاع أعداد الوحدات التّكاثرية بالأَطباق الصّائدة المواجهة مباشرةً لوحدات التّكييف. كما أن أبواب الحجرتين مفتوحة على الممر، وهذا احتمال آخر لتلوث الهواء بهما. وكانت الفطريّات Aspergillus spp. (35.40 %), Cladosporium spp. (25.93 %), Penicillium spp. (10.92 %) and Candida spp. (8.64 %) الأكثر انتشاراً.

الهواء في غرفة العناية بقسم الولادة محمّل بما نسبتة 7.82 % واحتوى الممر على 6.97 % بينما أقل نسبة تلوث سجّلت بغرفة العمليّات 2.90 % من مجموع الوحدات التّكاثريّة الفطريّة. من المفترض أن تكون هذه الأَماكن خالية من التّلوث لاسيّما غرف العمليّات، وبما أنه لايوجد استخدام لمكّيفات الهواء بقسم الولادة فيحتمل أن يكون سبب التلوث خلل بعملية التّعقيم.

جدول رقم (1) انتشار(I) ونسبة انتشار(I %) الفطريات بالهواء داخل المستشفى.

I %	I	GOR	GC	GR	SOR	SC	SR2	SR1	Fungal species
2.6	13	–	1	–	6	2	–	4	Alternaria alternate
1.03	5	2	–	–	–	3	–	–	A. chlamydospora
6.79	33	4	3	1	4	11	2	8	Aspergillus flavus
16.26	79	6	1	2	22	21	10	17	A. niger
9.05	44	–	2	–	12	13	7	10	A. ochraceus
1.65	8	–	–	–	6	2	–	–	A. oryzae
1.65	8	–	1	–	1	4	–	2	A. versicolor
1.44	7	–	–	–	5	–	–	2	Candida spp.
3.29	16	–	2	–	–	6	2	6	C. albicans
2.88	14	1	–	–	7	4	–	2	C. krusei
1.03	5	2	1	–	–	2	–	–	C. tropicalis
0.21	1	–	–	–	–	1	–	–	Chrysosporium tropicum
2.06	10	–	2	–	3	2	–	3	Cladosporium spp.
5.76	28	4	2	4	4	7	5	2	C. cladosporioides
18.11	88	11	7	3	19	16	21	11	C. sphaerospormum

0.21	1	–	–	–	1	–	–	–	Cochliobolus lunatus
0.82	4	1	–	–	–	1	2	–	Fusarium oxysporum
0.82	4	–	–	–	4	–	–	–	F. solani
0.62	3	–	–	–	2	–	–	1	F. sambucinum
5.76	28	2	3	–	9	2	7	5	Mucor spp.
0.21	1	–	–	–	1	–	–	–	Paecilomyces variottii
3.50	17	–	1	2	8	5	–	1	Penicillium citrium
2.26	11	–	–	–	1	1	6	3	P. chryzogenium
0.62	3	–	2	–	–	1	–	–	P. brevicompactum
2.68	13	–	–	–	6	3	4	–	P. donkii
1.24	6	2	–	–	4	–	–	–	P. griseoroseum
0.62	3	2	–	–	–	–	–	1	P.purpurogenum
6.79	33	1	6	2	5	6	8	5	Rhizopus stolonifer
100	486	38	34	14	130	113	74	83	Total
	100	7.82	6.97	2.90	26.75	23.25	15.23	17.08	I %
	11	8	7	4	9	9	7	8	Number of genera
	28	12	14	6	21	21	11	17	Numer of species

جدول رقم (2): انتشار (I) ونسبة انتشار (I %) الوحدات الفطريّة التّكاثريّة بالهواء الخارجي (Outdoor).

I %	I	Fungal species	No:	I %	I	Fungal species	No:
3.33	43	Fusarium oxysporum	18	1.78	23	Alternaria alternata	1
1.01	13	F. solani	19	1.24	16	A. chlamydospora	2
2.71	35	F. sambucinum	20	23.06	298	Aspergillus spp. (total).	
2.09	27	Mucor spp.	21	3.17	41	Aspergillus flavus	3
19.74	255	Penicillium spp. (total).		4.88	63	A. niger	4
2.71	35	Penicillium aurantiogrlseum	22	11.84	153	A. ochraceus	5
0.93	12	P. brevicompactum	23	2.09	27	A. oryzae	6
0.61	9	P. brevicaulis	24	1.08	14	A. versicolor	7
3.95	51	P. chryzogenium	25	0.23	3	Beauveria basriana	8
1.08	14	P. citrium	26	0.77	10	Candida spp.	9
3.56	46	P. donkii	27	2.39	31	C. albicans	10
0.61	9	P. expensun	28	0.61	9	C. krusei	11
2.86	37	P. griseoroseum	29	1.39	18	Chrysosporium tropicum	12
0.61	9	P. implicatum	30	33.51	427	Cladosporium spp. (total).	
2.01	26	P.purpurogenum	31	0.46	6	Cladosporium spp.	13
0.54	7	P. wasksmanii	32	12.62	163	C. cladosporioides	14
1.24	16	Phoma ylomerata	33	4.64	60	C. herbarum	15
1.70	22	Rhizopus stolonifer	34	15.79	204	C. sphaerospormum	16

1.39	18	Uochladium atrum	35	1.70	22	Cochliobolus lunatus	17
1292						Total	
12						Number of genera	
35						Numer of species	

بمقارنة هذه النّتائج بالدّراسة التى نشرها (Ismial et al., 2010) عن الفطريّات المحمولة بالهواء في أربعة مواضع بالعيادة الخارجية للأَمراض الجلديّة والتناسليّة بمستشفيات جامعة أسيوط خلال التعاقب الفصلي لسنة (2009) بإستعمال طريقة الأَطباق الصّائدة بواسطة الوسط الغذائي السّابرود والسّابرود المدعّم بالسّيكلوهكساميد (Cyclohexamide) تحصّلوا على (1098 و 80 CFU على التوالي). المصّائد الفطريّة حققّت أعلى مستوى بالشّتاء على كلا الوسطين، بينما أقل تعداد سجل بالصّيف على وسط السّابرود، وفي الرّبيع على وسط السّابرود المدعّم بالسّيكلوهكساميد. عزل بهذه الدّراسة 71 نوعاً تنتمي إلى 26 جنساً، التّركيبة العامّة لجراثيم الهواء احتوت Cladosporium (C. cladosporioides and C. shaerospermum) بسيادة مطلقة على الوسطين بالإضافة إلى Aspergillus, Penicillium, Acremonium and Scopulariopsis , استنتجت الدّراسة أن أغلب الفطريّات المعزولة تعد ممرضات انتهازية للأَنسان. وهذه الدّراسة توافقت مع ما أجراه الباحثون (Sautour et al. 2009) في المستشفى الفرنسي حيث كانت السّيادة للفطر Cladosporium متبوعاً بالفطرين Aspergillus and Penicillium وهذا ما أكّدت عليه أيضاً الدّراسات (Wu et al., 2000; Jo and Seo, 2005; Lee and Jo. 2006). التى أُجْرِيَتْ في بعض المنازل بتايوان وكوريا وبعض المستشفيات الآسيويّة. بينما الباحثون (Panagopoulou et al. 2007) وجدوا أن فطرة Aspergillus spp. (64.2% of the total CFU) في ثلاث غرف عناية بالمستشفى، وكانت نسب الأَنواع الأكثر انتشار Aspergillus niger (26%), A. flavus (17.9) and A. fumigatus (12.4%) ، في حين سجل (Hedayati et al. 2005). بجمهورية إيران الإسلاميّة أن فطرة A. flaves أكثر انتشاراً بهواء المستشفيات والمنازل. ومن المهم الانتباه إلى أن التّعرض المستمر لفطرة Aspergillus spp. عامل خطر ينتج عنه العديد من الإصابات الجلديّة والتّحت جلديّة والمخاطيّة (Cheng and Streifel 2001; Heinemann et al., 2004; Vonberg and Gastmeier 2006). الدراسة رغم أنها أُجْرِيَتْ بالطّريقة التّقليديّة القديمة؛ لأنها الطّريقة الوحيدة المتاحة، وكذلك لم تكن فصلية متتابعة، إلا أنها أوضحت أن أغلب الفطريّات المعزولة من الهواء

الخارجي موجودة بنسب أقل داخل الأَماكن السّبعة بالمستشفى، وهى من الأَنواع الانتهازية التى تشكّل عاملاً خطراً وقد يكون مسّبباً رئيساً للعدوى بالمستشفيات.

التّوصيات

نظراً لأَهمية الموضوع ننصح باستخدام الطّرق والأَجهزة الحديثة لقياس محتوى الهواء الميكروبي مثل Volumetric methods و هي غير متاحة بليبيا حتّى نتمكّن من ضبط التّلوث ومقارنة النّتائج بالمعايير والمقاييس الدّولية المعتمدة عالمياً كمثال American Conference of Government Industrial Hygienists (ACGIH, 1989) التى تشترط أن لا يزيد معدل الوحدات التّكاثريّة الفطريّة عن 100 –1000 لكّل متر مكعّب من الهواء. أو المقاييس الكوريّة التى تشترط عدم تجاوز ($800\ CFU\ m^{-3}$) Korean indoor bioaerosol guidelines (Jo and Seo,2005). في الأماكن العامّة وأن يكون الهواء خالياً منها تماماً داخل غرف العمليات.

ننصح الإخوة الأطباء، والأَطقم الصّحّيّة والفنّيين العاملين بالمستشفى بضرورة الحرص و الّتقيد بتعليمات الأَمان الحيوي ومعايرة وضبط أجهزة ومواد التّعقيم، والمتابعة بالصّيانة وتنظيف مرشّحات التّكييف التّقليدية، وعدم استخدامها خلال العمليّات الجراحية كما أن الهواء الصّادر منها يجب أن لا يوجه مباشرة للأَسِرَّه والمرضى، كما نتمنى من السّادة المسؤولين بقطاع الصّحّة الاستشارة العلمّية عند تصميم غرف العناية والعمليّات.

نأمل الاهتمام وإجراء المزيد من الدّراسات الفصلية المتتابعة لتشمل العديد من المستشفيات، والمدارس، والجامعات، والمصانع بالمنطقة لتقييم التّلوث الميكروبي، واتخاد ما يلزم من إجرات للحد منه.

Aeromycobiota indoor and outdoor El-Zentan Central Hospital -Libya.

Al-Ryani M. A.[1] and Elarbi A. A.[2]
Faculty of science, Algabel Algharbi University – Libya.
Corresponding author: e-mail: mohamedryani@yahoo.com

Abstract

In a trial to assess aeromycobiota indoor and outdoor two departments of El-Zentan central hospital, airospora was studied by sedimentation plate method. Two forms of media (Sabouraud dextrose agar and potato dextrose agar) were used. A total of (486) fungal cell unit were catches from indoor. Representing 28 species related to 11 genera. The major component of airspora containing Aspergillus spp. (35.40 %), Cladosporium spp. (25.93 %), Penicillium spp. (10.92 %) and Candida spp. (8.64 %). While Fusarium spp., Alternaria spp., Mucor spp. and Rhizopus spp. were also recorded but by less frequently, between (2.26 – 6.79 %). Other fungi including Chrysosporium tropicum , Cochliobolus lunatus and Paecilomyces variottii representing by (0.21 % for each).

A total of 1292 fungal catches from outdoor, were three times higher than indoor. Representing 12 genera and 35 species. Cladosporium spp. (33.51 %), Aspergillus spp.(23.06 %) and Penicillium spp. (19.74 %), were the common dominance fungi but in different loads. Followed by Beauveria sp., Candida spp., Chrysosporium sp., Cochliobolus sp., Mucor spp., Phoma sp., Rhyzopus sp., and Uochladium atrum. with incidence ratio between (0.23 -3.77 %).

Key words: Hospital air, indoor outdoor airospora, airborne.

المراجع العلمية

بودنشاتس، ك.، مـــاهوني، ف.، قنـــديل،ع.، إيرهـــارث،ك.، حـــلاج، ز. وطلعـــت، م. (2008): الـــدليل القـــومي لمكافحـــة العـــدوى.(ط2- ج1) وزارة الصـــحة والسكان. جمهورية مصر العربية. 262ص.

عبـــد،ح.، المـــولى،س. و عبـــد، م. (2008): عـــزل و تشـــخيص بعـــض الأحيـــاء المجهريـــة الملوثـــة للأنظمـــة التّكييـــف فـــي مستشـــفى الرمـــادي للنســـائية و الاطفال. مجلة جامعة الانبار للعلوم الصرفة.

علي،م.(2006): التّلوث الميكروبي في غرف العمليّات الجراحية في مستشفى بعقوبة العام. جامعة ديالي.

ميخائيل،أ. و غيث،أ.(2010): الأخطار في غرف العمليّات وإجراءات الحماية. مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية 1 ،241-250.

Alberti C, Bouakline A, Ribaud P, Lacroix C, Rousselot P, Leblanc T and Derouin F. (2001): Relationship between environmental fungal contamination and the incidence of invasive aspergillosis in haematology patients. J Hosp Infect 48:198–206.

AL-Ryani, M. A and Ismial, M. A (2014): Aeromycobiota Mediterranean coastal area of Libya. Journal of Basic and Applied Mycology. 5: 15-24.

American Conference of Governmental Industrial Hygienists (ACGIH) (1989): Guidelines for the assessment of bioaerosols in the indoor environment. Cincinnati, Ohio.

Avdogdu H. and Asan A.(2008): Airborne fungi in child day care centers in Edirne City, Turkey. Environ Monit Assess. 9:1-22.

Cheng SM and Streifel AJ (2001): Infection control considerations during construction activities: land excavation and demolition. Am J Infect Control 29:321–8.

de Hoog G. S., Guarro J., Gene J. and Figueras M. J. (2000): Atlas of clinical fungi. Centraalbureau voor Schimmelcultures, Utrecht, the Netherlands, 2nd edition, 1126 pp.

Domsch K. H., Gams W., Anderson T–H. (1980): Compendium of Soil Fungi. New York, Academic Press, 859 pp.

Faure O., Fricker–Hidalgo H., Lebeau B., Mallarety M. R., Ambroise–Thomas P. and Grillot R. (2002): Eight–year surveillance of environmental fungal contamination in hospital operating rooms and haematological units. Journal of Hospital Infection 50: 155–160.

Hedayati, M. T., Mayahi, S., Aghil, R. and Goharimoghadam, K. (2005): Airborne fungi in indoor and outdoor of asthmatic patients' home, living in the city of Sari. Iran J Allergy Asthma Immunol 4: 189–191.

Heinemann, S., Symoens, F., Gordts, B., Jannes, H. and Nolard, N. (2004): Environmental investigations and molecular typing of Aspergillus flavus during an outbreak of postoperative infections. J Hosp Infect 57: 149–155.

Hoekstra E. S. Samson R. A. and Summerbell R. C. (2004): Methods for the detection and isolation of in the indoor environments; pp 298–305. In: Samson R. A. Hoekstra E. S. and Frisvad J. C., Introduction to food– and airborne fungi, Centraalbureau voor Schimmelcultures, Utrecht, the Netherlands, 7th edition.

Ismial* M. A, Moubasher, A. H, Al–Ryani M. A, and Farhan M. A. (2010): Seasonal fluctuations of opportunistic indoor aeromycobiota in the external

dermatology clinics of Assiut University Hospitals. Journal of Basic and Applied Mycology. 1: 11-21

Jo W-K. and Seo Y-J. (2005): Indoor and outdoor bioaerosol levels at recreation facilities, elementary schools, and homes. Chemosphere 61: 1570-1579

Karolin Graf, Iris F. Chaberny and Ralf-Peter Vonber (2011): Beliefs about hand hygiene: A survey in medical students in their first clinical year American Journal of Infection Control, Volume 39, Issue 10, Pages 885-888

Kelkar. U; Bal. A. M and Kulkarni. S (2005): Fungal contamination of air conditioning units in operating theatres in India. Journal of Hospital infection.60, 81-84.

Lee J.H. and Jo,W.K. (2006): Characteristics of indoor and outdoor bioaerosols at Korean high-rise apartment buildings. Environ. Res. 101: 11-17.

Leslie J. F. and Summerell B. A. (2006): The Fusarium: Laboratory Manual. Blacjwell Publishing, 388 pp.

Lewis, S., Moehring, R. and Chen, L. (2013): Surgical site infection account for the greatest proportion of hospital-acquired infection, Infect Control Hosp Epidemiol, 113:238.

Luke D. Knibbs, Lidia Morawska, Scott C. Bell and Piotr Grzybowski(2011): Room ventilation and the risk of airborne infection transmission in 3 health care settings within a large teaching hospital. American Journal of Infection Control, Volume 39, Issue 10, Pages 866-872

Medrela-Kuder E. (2003): Seasonal variations in the occurrence of culturable airborne fungi in outdoor and indoor air in Cracow. Int Biodeterior Biodegrad 52:203–5.

Moubasher A. H. (1993): Soil fungi of Qatar and other Arab countries. Doha, Qatar. The Scientific and Applied Research Centre, University of Qatar,566 pp.

Oliveira M, Ribeiro H and Abreu I. (2003): Annual variation of fungal spores in atmosphere of Porto. Ann Agric Environ Med 12:309–15.

Panagopoulou P, Filioti J, Farmaki E, Maloukou A and Roilides E (2007): Filamentous fungi in a tertiary care hospital: Environmental surveillance and susceptibility to antifungal drugs. infection control and hospital epidemiology 28 (1): 60-67.

Perdelli F, CristinaML, Sartini M, Spagnolo AM,Dallera M,Ottria G, et al. (2006): Fungal contamination in hospital environments. Infect Control Hosp Epidemiol. 27:44–7.

Pitt J. I. (1979): The genus Penicillium and its teleomorphic states Eupenicillium and Talarormyces. London, Academic Press, 634 pp.

Pitt JI. (1994): The current role of Aspergillus and Penicillium in human and animal health. J Med and Veterinary Mycology 32: 17–32.

Pitt John I. and Hocking Ailsa D.(2009): Fungi and Food Spoilage. Springer Dordrechht Heidelberg London New York. 519 pp.

Raper K. and Fennell D. I. (1965): The genus Aspergillus. Baltimore: Williams & Wilkins, 686 pp.

Sautour M, Sixt N, Dalle F, L'Ollivier C, Fourquenet V, Calinon C, Paul K, Valvin S, Maurel A, Aho S, Couillault G, Cachia C, Vagner O, Cuisenier

B, Caillot D and Bonnin A (2009): Profiles and seasonal distribution of airborne fungi in indoor and outdoor environments at a French hospital. Science of the Total Environment 407: 3766–3771.

Singh N. and Paterson D. L (2005): Aspergillus infections in transplant recipients. Clin Microbiol Rev.18:44–69.

Sivanesan A. (1987): Graminicolous species of Bipolaris, Curvularia, Drechslera, Exserohilum and their teleomorphs. Mycological Papers 1987; 158: 1–261, C.A.B. International Mycological Institute, Ferry Lane, Kew, Surrey, UK.

Vonberg R–P. and Gastmeier P. (2006): Nosocomial aspergillosis in outbreak settings, REVIEWJournal of Hospital Infection 63: 246–254.

Wu PC, Su HJ and Ho HM (2000): A comparison of sampling media for environmental viable fungi collected in a hospital environment. Environ Res 82:253–7.

Study of the genetic variability in gag gene of the lentivirus

Esadk ERHOUMA*[1] and Adel JAMA[2] .

[1] Al Jabal Al Gharbi University. Faculty of science, Microbiology Department. Azintan – Libya.

[2] Al Jabal Al Gharbi University. Faculty of science, Zoology Department. Azintan – Libya.

*esadk72@yahoo.fr

Abstract

Lentiviruses comprise a genus of complex retroviruses that infect a limited number of mammalian hosts from several taxonomically distant ordres (primates, carnivores, and ungulates). Typically, the virus exists in the infected host as a swarm of related but divergent genetic variants called a quasispecies, and degenerative inflammatory disease develops only after months or years, if at all. No endogenous lentiviruses have been described, so the recognizable similarity between the different lentiviruses, despite their high within-species variability, suggests a common ancestor much more recent than the divergence of their host species. The presence of many variants in the viral swarm might facilitate cross-species infections. Human immunodeficiency virus type 2 (HIV-2) is almost certainly a human-adapted variant of the simian immunodeficiency virus (SIV) from sooty mangabeys, and HIV-1 may similarly be derived from a chimpanzee SIV. Again, caprine arthritis-encephalitis virus (CAEV) probably emerged after cross-species transfer of a closely related sheep virus in recent times. In this study We have

analysed the genetic variability of lentivirus in gag gene, 18 lentivirus sequences were studied.

The alignments of the gag gene fragment corresponding to the MA and the 5' end of the CA shows a large discrepancy between these sequences, the alignments aligned using CLUSTAL W show two types of nucleotide changes, the first is a simple replacement of one nucleotide by another (substitution) ex. T by G at position 429. The second type of modification is a deletion of nucleotides (ex. a deletion of 5 nucleotides TGCAG at position 461-465 in the Erhs and SRLV sequences), the divergence of the gag gene between the sequences was varied from 9,33 ±0,16% to 52,2 ±0,52%. These differences were also shown by the phylogenetic tree, It can be seen that proviruses from the Erh1-Erh6 and CAEV-Co form a closely related group, quite distinct from the SRLV reference sequence. The sequences from HIV1 are closely related, but the sequence from HIV2 is clearly distinct from either of the major groupings.

Key-words: lentivirus, gag, SRLV, HIV1, HIV2.

Introduction

Lentiviruses are non oncogenic retroviruses responsible in humans and several species of mammals slowly progressive disease. These viruses are characterized into two major types :

1- Lentivirus capable of infecting lymphocytes and some of which can induce immunodeficiency and death of the infected host as : the HIV (Human Immunodeficiency Virus) type 1 and 2, FIV (Feline Immunodeficiency Virus), SIV (Simian Immunodeficiency Virus), and BIV (Bovine Immunodeficiency Virus).

2- Lentiviruses that not infect lymphocytes and do not induce immunodeficiency but inflammatory or degenerative diseases affecting various organs such as the lungs, joints, mammary glands, and central nervous system. There are, in this type, the SRLV: CAEV (Caprine Arthritis Encephalitis Virus), MVV (Maedi-Visna Virus), and EIAV (Equine Infectious Anemia Virus). The small ruminant lentiviruses (SRLV) cause persistent infections in domestic sheep and goats worldwide and wild small ruminants (Erhouma et al., 2008).

The Lentiviruses belonging to the family of Retroviruses (Retroviridae). Gamma-retroviral vectors, commonly designated retroviral vectors, were the first viral vector employed in Gene Therapy clinical trials in 1990 and are still one of the most used. More recently, the interest in lentiviral vectors, derived from complex retroviruses such as the human immunodeficiency virus (HIV), has been growing due to their ability to transduce non-dividing cells (Lewis et al. 1992; Naldini et al. 1996), an attribute that distinguishes them from other viral vectors, including their simple counterparts, gamma-retroviral vectors. Retroviral and lentiviral vectors most attractive features as gene transfer tools include the capacity for large genetic payload (up to 9 kb), minimal patient immune response, high transducing efficiency in vivo and in vitro, and the ability to permanently modify the genetic content of the target cell, sustaining a long-term expression of the delivered gene (Coroadinha et al. 2010; Schweizer and Merten 2010). According to the most recent updates, retroviral and lentiviral vectors represent 23% of all the vector types and 33% of the viral vectors used in Gene Therapy clinical trials. Moreover, retroviral vectors are currently the blockbuster vectors for the treatment of monogenic and infectious diseases and gene marking clinical trials (Edelstein 2010). Retroviruses are double stranded RNA enveloped viruses mainly characterized by the ability

to “reverse-transcribe” their genome from RNA to DNA. Virions measure 100-120 nm in diameter and contain a dimeric genome of identical positive RNA strands complexed with the nucleocapsid (NC) proteins (Rodrigues et al., 2011).

The genome is organized from the 5′ to the 3′ end, and major protein components are contained in gag (group specific antigen), pol (polymerase) and env (envelope) genes. Whereas gag is responsible for encoding the structural proteins, pol encodes the reverse transcriptase, protease and integrase, and env encodes the virus envelope glycoprotein. These proteins are synthesized as fusion proteins, which are then post-translationally cleaved by the virus-encoded protease.

The complex lentiviruses contain other accessory genes as well, responsible for precise orchestration of viral replication, biosynthesis and pathogenesis. For example, human immunodeficiency virus type 1 (HIV-1) has 6 regulatory or auxiliary: vif, vpr, vpu, tat, rev and nef. Some of the other additional genes that are important are psi-sequence near the 5’ end of the RNA genome (essential for packaging viral RNA into virus capsid), the polypurine tract required for reverse transcription, and the long-terminal repeats (LTRs) which are part of the promoter for transcription of the viral genes. The gag sequence encodes the three main structural proteins: MA (p24), CA (p17), NC (p7) (MA, CA, SP1, NC, SP2, P6 in HIV virus) (Coffin et al. 1996). The rapid evolution of lentiviruses is related in part to a high frequency of mutations in the gag gene. This results in a great heterogeneity of a virus to another, from one strain to another, and even within the same strain. Most of generated mutations appear harmful to the survival of the variant and will be eliminated. One of the main objectives of current scientific research is to

study the genetic variability of lentivirus, and risks of interspecific passages leading to the emergence of new pathogens.

Material and methods:

To better understand the genetic variability of lentivirus gag gene, the objective of this work was to study the genetic characteristics of the gag gene of the major known lentiviruses. These genetic characteristics were investigated by a comparison of the gag gene of the viral genome between the sequences of lentiviruses. This study allowed to characterize the genetic characteristics that accompany the natural infection of these viruses.

Sequences alignment and phylogenetic analysis:

The individual sequences from the different virus were aligned with reference sequences using Clustal W (Thompson et al., 1997), with manual adjustment where necessary. The nature of these variations is shown in phylogenetic trees constructed using the programme NEIGHBOR (Perriere and Gouy, 1996) method Neighbor-Joining (NJ) (Saitou and Nei, 1987), with bootstrap values determined over 1000 iterations (Felsenstein J., 2002).

Comparative sequences in this study are: the SA-OMVV (Genbank accession number M31646) (Querat et al., 1990), K1514 MVV (Genbank accession number M10608) (Sonigo et al.1985), EV1 (Genbank accession number S51392) (Sargan et al., 1991), CAEV-Co (Genbank accession number M33677) (Saltarelli et al., 1990) , Erh1-Erh6 (Genbank accession numbers EU375926, EU375927, EU375942, EU375943, EU375954 and EU375955) (Erhouma et al., 2008). The

studied HIVs sequences are: the HIV1 sequences (Peeters et al., 2000) (Genbank accession number AJ270014), HIV2 sequences (Heredia et al., 1998) (Genbank accession number AF025347).

RESULTS

The alignments of the gag gene fragment corresponding to the MA and the 5' end of the CA shows a large discrepancy between these sequences (Figure 2).

The alignments aligned using CLUSTAL W (Thompson et al., 1997) show two types of nucleotide changes, the first is a simple replacement of one nucleotide by another (substitution), for example: replacement of nucleotide: T by G at position 429, G by A at position 472, AA by GG at position 421. The second type of modification is a deletion of 5 nucleotides TGCAG at position 461-465 in the Erhs and SRLV sequences, a deletion of nucleotides ATG at position 625-527 and T at position 514 in the HIVs sequences. Most substitutions were observed in a variable region ranges from the position 443 to 475. Sequence comparison also shows a constant region is of the position 480 to 492 (Figure 2). These nucleotide changes leading to amino acid changes (data not shown).

The divergence of the gag gene between sequences Erh1-Erh6 and CAEV-Co was varied by 9,33 ±0,16% (Table 1). High divergence was observed between sequences Erh1-Erh6 and the other SRLV and HIVs sequences. Indeed, the sequence divergence between Erh1-Erh6 and EV 1 was varied by 40,3 ±0,40%, 43,2 ±0,43% with that of K1514 and by 39,2 ±0,49% with that of SA-OMVV (Table 1). The sequence divergence between HIV 1 and Erh1-Erh6 was varied by 44,2 ±0,43%,

45,6 ±0,48% with that of EV1, 40,4 ±0,40% with that of K1514, 41,8 ±0,41% with that of SA-OMVV and by 48,9 ±0,49% with that of HIV2. The sequence divergence between Erh1-Erh6 and HIV 2 was varied by 52,2 ±0,52%, 51,8 ±0,50% with that of CAEV-Co, 49,2 ±0,48% with that of EV1, 48,6 ±0,47% with that of K1514, 51,5 ±0,50% with that of SA-OMVV and by 48,96 ±0,49 % with that of HIV1(Table 1).

These differences were also shown by the phylogenetic tree. A phylogenetic tree illustrating the relationships between these different gag proviral sequences was constructed using the neighbor joining method (Figure 1), but very similar results were obtained using other tree-building algorithms. It can be seen that proviruses from the Erh1-Erh6 and CAEV-Co form a closely related group (group 3), quite distinct from the SRLV reference sequence (group 2). Sequences from HIV1 are closely related (group 1), but the sequence from HIV2 (group 4) is clearly distinct from either of the major groupings.

Virus	EV1	K1514	SA-OMVV	CAEV-Co	HIV1	HIV2
Erh1-Erh6	40,3 (±0,40)	43,2 (±0,43)	39,2 (±0,49)	9.33 (±0,16)	44,2 (±0,43)	52,2 (±0,52)
CAEV-Co	36,7 (±0,36)	39,5 (±0,39)	24,6 (±0,28)	-	45,8 (±0,49)	51,8 (±0,50)
HIV1	45,6 (±0,48)	40,4 (±0,40)	41,8 (±0,41)	-	-	48,9 (±0,49)

HIV2	49,2 (±0,48)	48,6 (±0,47)	51,5 (±0,50)	49,1 (±0,48)	48,9 (±0,49)	-

Table 1: gag inter group diversity of the viruses sequences studied for the present study. ±: standard deviation.

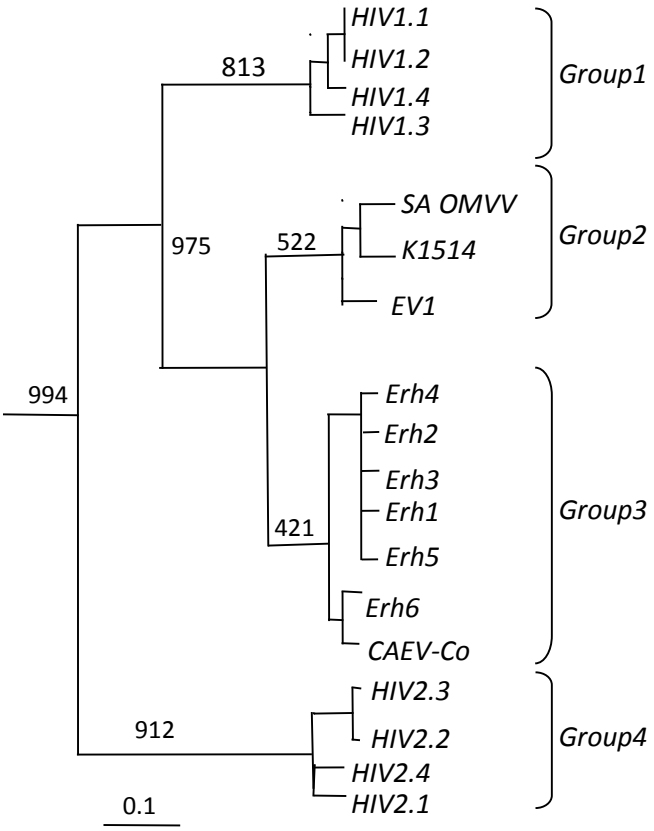

Figure 1: Neighbor-joining tree of an approximatively 0.5 kb fragment of the gag region of the proviruses from the present studied sequences. Horizontal lengths are proportional to the estimated genetic distance

between the sequences; the bar marker represents 1% divergence. Bootstrap values derived from 1000 bootstrap replicates are shown on the phylogenetic tree.

```
                430       440       450       460       470       480
                 |         |         |         |         |         |
K1514   TACAAAAATGTATACAGTATGGGATAGATTAAAAGGGCTA-----ACTCCGGAGGAAACA
EV1     TACAAAAATGTATACAGTATGGGATAGATTAAAACAGTTA-----ACTCCAGAAGAGACA
SA_OMVV TACAAAAATGTATACAGTCTGGGAAAAATTAAAGCAAGTA-----ACTCCAGAAGAAACA
CAEV_Co AGTAAAATTTAGGACAATATGGCAGAAGGTGAAGAATCTA-----ACTCCTGAGGAGAGT
Erh6    AATAAAGTTTAAAAATATATGGCACAAGGTAAAAAATCTA-----ACTCCTGAGGAGAGT
Erh2    GGTAAAATTTAGAAATATATGGCAGAAAGTAAAGAATCTG-----ACTCCTGAGGAGAGT
Erh4    GGTAAAATTTAGAAATATATGGCAGAAAGTAAAAAATCTG-----ACTCCTGAGGAGAGT
Erh3    GGTAAAATTTAGAAATATGTGGCAGAAAGTAAAGAATCTG-----ACTCCTGAGGAGAGT
Erh1    GGTAAAATTTAGAAATATATGGCAGAAAGTAAAGAATCTG-----ACTCCTGAGGAGAGT
```

Erh5 GGTAAAATTTAGAAATATATGGCAGAAAGTAAAGAATCTG---
--ACTCCTGAGGAGAGT

HIV1.1
AATATGATGCTAAACATAGTGGGAGGACACCAGGCAGCAATGCAGAT
GTTAAAAGATACC

HIV1.2
AATATGATGCTAAACATAGTGGGAGGACACCAGGCAGCAATGCAGAT
GTTAAAAGATACC

HIV1.4
AATATGATGCTAAACATAGTGGGGGGACACCAGGCAGCAATGCAGAT
GTTAAAAGATACA

HIV1.3
AATATGATGCTAAATATAGTGGGGGGACATCAGGCAGCAATGCAGAT
GTTAAAAAATACC

HIV2.2
AATCAAATGCTTAATTGTGTGGGCGACCATCAAGCAGCTATGCAAATA
ATCAGGGAGATT

HIV2.3
AATCAAATGCTTAATTGTGTGGGCGACCATCAAGCAGCTATGCAAATA
ATCAGGGAGATT

HIV2.4
AATCAAATGCTTAATTGTGTGGGCGACCATCAAGCAGCTATGCAAATA
ATCAGAGAAATC

HIV2.1
AATCAAATGCTTAATTGTGTGGGCGACCATCAAGCAGCTATGCAAATA
ATCAGAGAAATT

* *** * * * *

cons.

AATAAAATTCTAAACT2TGTGGGAGAA2ATAAAGCAGCTATGCA2ACT

CCTGAGGAGA2T

490 500 510 520 530 540

| | | | | |

K1514

AGCAAAAGAGAATTCGCCTCCTTGCAAGCTACGTTGGCTTGCATAAT

GTGTAGTCAAATG

EV1

AGTAAAAGAGAATTTGCCTCCTTGCAGGCCACAATGGCTTGCCTTAT

GTGTAGTCAGCTG

SA_OMVV

AGTAAAAGAGAGTTTGCCTCCTTACAGGCCACATTGGCTTGTATAATG

TGTAGTCAAATG

CAEV_Co

AACAAAAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAATG

TGTTGCCAAATG

Erh6

AACAAGAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAAT

GTGCTGCCAAATG

Erh2

AACAAAAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAATG

TGTTGCCAAATG

Erh4
AACAAAAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAATG
TGTTGCCAAATG

Erh3
AACAAAAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAATG
TGTTGCCAAATG

Erh1
AACAAAAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAATG
TGTTGCCAAATG

Erh5
AACAAAAAAGACTTTATGTCTTTGCAGGCCACATTAGCGGGTCTAATG
TGTTGCCAAATG

HIV1.1 ATCAATGAGGAAGCTGCAGAATGGGACAGAGTA–
CACCCAGTACATGCAGGGCCTATTCC

HIV1.2 ATCAATGAGGAAGCTGCAGAATGGGACAGAGTA–
CACCCAGTACATGCAGGGCCTATTCC

HIV1.4 ATCAATGAGGAAGCTGCAGAATGGGACAGGACA–
CATCCAGTACATGCAGGGCCTATTCC

HIV1.3 ATCAATGAGGAAGCTGCAGAATGGGACAGGGTA–
CATCCAGTACATGCAGGGCCTAATCC

HIV2.2 ATTAATGAAGAAGCAGCAGACTGGGATGCTGCA–
CATCCTATAC–––CAGGCCCCTTACC

HIV2.3 ATTAATGAAGAAGCAGCAGACTGGGATGCTGCA–
CATCCCATAC–––CAGGCCCCTTACC

HIV2.4 ATTAATGAAGAAGCAGCAGACTGGGATACTGCA–
CATCCAATAC–––CAGGCCCCTTACC

HIV2.1 ATTAATGAGGAAGCAGCAGAATGGGATGTACAA-
CATCCAATAC---CAGGCCCCTTACC

* ** ** * * * *

cons.
ATCAAAAAAGAATTTGCATCTTTGCAGGCCACATTAGCCGGTATAATG
TGTTGCCAAATG

Figure 2: Alignment of the nucleotide sequences of the gag region of the viruses studied.

Discussion

The objective of this work was to study the genetic properties of the gag gene of lentiviruses to determine the genetic changes. The reported results obtained reveal accumulation of many molecular alterations in this gene. This allows a clear answer to the initial question, that there are many genetic changes in the gag gene that accompany infection lentiviruses. These changes in the gene encoding the antigen glycoproteins correspond to a selection of genotypes that have a selective advantage for replication in the cells of these species, these changes represented by nucleotide changes in the gag sequences.

The 5' end of the gag gene of the lentivirus is known to be variable both antigenically and genetically (Grego et al., 2005; Pisoni et al., 2006) but unfortunately the establishment of the taxonomic relationships in these viruses was based on the CA part sequences of the gag gene and on the sequences of the pol gene (Shah et al., 2004; Zanoni, 1998). An identical deletion has been described in a single sequence from (Reina et al.,

2006), but this sequence differs greatly from the sequences found in our study at other sites in the MA gene.

References

Coroadinha A.S., Gama-Norton L., Amaral A.I., Hauser H., Alves P.M., and Cruz P.E. 2010. Production of retroviral vectors: review. Curr Gene Ther 10(6): 456-473.

Coffin J. M. 1996. Retroviridae and their replication. In B.N. Fields et al. (Ed.), Virology. New-York, Raven press. 1767-1848.

Edelstein M. 2010. Gene Therapy Clinical Trials Worldwide –

http://www.wiley.com//legacy/wileychi/genmed/clinical/.Wiley InterScience.

Erhouma E., Guiguen F., Chebloune Y., Gauthier D., Mselli Lakhal L., Greenland T., Mornex J.F., Leroux C., and Alogninouwa T. 2008. Small ruminant lentiviruses (SRLV) proviral sequences from wild ibex in contact with domestic goats. Journal of General Virology, 89: 1478-1484.

Felsenstein J. 2002. PHYLIP: phylogeny inference package, version 3.6 (alpha3), University of Washington, Seattle.

Grego E., Bertolotti L., Carrozza M. L., Profiti M., Mazzei M., Tolari F. and Rosati S. (2005). Genetic and antigenic characterization of the matrix protein of two genetically distinct ovine lentiviruses. Vet Microbiol 106: 179-185.

Heredia,A., Vallejo,A., Soriano,V., Aguilera,A., Caballero,E., Epstein,J.S. and Hewlett,I.K. 1998. Genetic analysis of human immunodeficiency virus type 2 strains from Spain AIDS Res. Hum. Retroviruses 14 (1): 91-94.

Lewis P., Hensel M., and Emerman M. 1992. Human immunodeficiency virus infection of cells arrested in the cell cycle. Embo J, 11(8): 3053-3058.

Naldini L., Blomer U., Gallay P., Ory D., Mulligan R., Gage F.H., Verma IM., and Trono D. 1996. In vivo gene delivery and stable transduction of nondividing cells by a lentiviral vector. Science 272 (5259): 263-267.

Querat G., Audoly G., Sonigo P., and Vigne R. 1990. Nucleotide sequence analysis of Sa-OMVV, a visna-related ovine lentivirus: phylogenetic history of lentiviruses. J. Virol. 175: 434-447.

Peters M., Esu-Williams E., Vergne L., Montavon C., Mulanga-Kabeya C., Harry T., Ibironke A., Lesage D., Patrel D., and Delaporte E. 2000. Predominance of subtype A and G HIV type 1 in Nigeria, with geographical differences in distribution AIDS Ris. Hum Retroviruses 16 (4): 315-325.

Perriere G. and Gouy M. 1996. WWW-query: an on-line retrieval system for biological sequence banks. Biochimie 78: 364-369.

Pisoni G., Bertoni G., Boettcher P., Ponti W., and Moroni P. 2006. Phylogenetic analysis of the gag region encoding the matrix protein of small ruminant lentiviruses: comparative analysis and molecular epidemiological applications. Virus Res. 116: 159-67.

Reina R., Mora M.I., Glaria I., Garcia I., Solano C., Lujan L., Badiola J.J., Contreras A., Berriatua E., Juste R., Mamoun R.Z., Rolland M., Amorena B., and De Andres D. 2006. Molecular characterization and phylogenetic study of Maedi Visna and Caprine Arthritis Encephalitis viral sequences in sheep and goats from Spain. Virus Res. 121: 189-198.

Rodrigues A., Alves M., and Coroadinha A. 2011. Production of Retroviral and Lentiviral Gene Therapy Vectors: Challenges in the Manufacturing of Lipid Enveloped Virus. Viral Gene Therapy. 6: 15-40

Saltarelli M., Querat G., Konings D. A., Vigne R. and Clements J. E. 1990. Nucleotide sequence and transcriptional analysis of molecular clones of CAEV which generate infectious virus. Virology. 179 : 1893-1903.

Sargan D. R., Bennet I. D., Cousens C., Roy D., Blacklaws B. A., Dalizel R. G., Watt N., and McConnel I. 1991. Nucleotide sequence of EV1, a british isolate of maedi-visna virus. J. Gen. Virol. 72: 1893-1903.

Schweizer M., and Merten O.W. 2010. Large-scale production means for the manufacturing of lentiviral vectors. Curr Gene Ther 10(6): 474-476.

Saitou N. and Nei M. 1987. The neighbor-joining method: a new method for reconstructing phylogenetic trees. Mol. Biol. Evol. 4: 406-425.

Shah C. A., Böni J., Huder J. B., Vogt H. R. , Mühlherr J. , Zanoni R. , Miserez, R. , Lutz H. , and Schüpbach J., 2004. Phylogenetic analysis and reclassification of caprine and ovine lentiviruses based on 104 new isolates: evidence for regular sheep-to-goat transmission and world-wide propagation through livestock trade, Virol., 319. 12-26.

Sonigo P., Alizon M., Staskus K., Klatzman D., Cole S., Danos O., Retzel E., Tiollais P., Haase A., and Wain-Hobson S. 1985. Nucleotide sequence of the visna lentivirus relationship to the AIDS virus. Cell. 42: 369-382.

Thompson J.D., Gibson T.J., Plewniak F., Jeanmougin F., and Higgins

D.G. 1997. The CLUSTAL-X windows interface: flexible strategies for multiple sequence alignement aided by quality analysis tools. Nucleic Acids Res. 25: 4876-4882.

Zanoni R.G. 1998 .Phylogenetic analysis of small ruminant lentiviruses. J Gen Virol. 79: 1951-61.

دراسة التغيرات الجينية في الجين gag في الفيروسات البطيئة (Lentivirus)

الصادق رحومه[1] و عادل جامع[2].

[1]جامعة الجبل الغربي. كلية العلوم . قسم الأحياء الدقيقة. الزنتان . ليبيا.

[2]جامعة الجبل الغربي. كلية العلوم . قسم علم الحيوان. الزنتان . ليبيا.

تعتبر الفيروسات البطيئة (Lentivirus) إحدى الأجناس المعقدة من الفيروسات القهقرية Retroviruses التي تصيب عددا من الثدييات (الرئيسيات، آكلات اللحوم، المجترات وذات الحافر). عادة ما يلاحظ في نفس العائل المصاب بهده الفيروسات وجود العديد من النسخ الفيروسية التي تختلف عن بعضها البعض جينيا مع إنها تعود لنفس الفيروس و هو ما ينتج عن ظاهرة "العبور بين الأجناس"، مسببة أمراض إلتهابية خطيرة بعد عدة أشهر أو سنوات من بدء الإصابة. توصف الفيروسات البطيئة بأنها "غير ذاتية" أي أنها تنتقل بين العوائل بعد أن تحدث طفرات جينية في مادتها الوراثية و بالتالي فإن دراسة أوجه التشابه بينها قد بين بما لا يدع مجالا للشك إن هده الفيروسات ذات أسلاف مشتركة، و وجود بعض الطفرات و التغييرات الوراثية يسهل لها عملية "العبور بين الأجناس". ففيروس 2HIV و المسبب لمتلازمة عوز المناعة المكتسب عند الإنسان مصدره فيروس SIV الذي يصيب قرود السعدان المنجبي (المنقابي)، بيمنا يرجع أصل فيروس 1HIV عند الإنسان إلي إصابته بفيروس SIV الذي يصيب الشامبانزي بعد إحداث طفرات وراثية مكنته من التأقلم في جسم الإنسان. دراسة الطفرات الوراثية مكنت أيضا

من إثبات أن مصدر فيروس CAEV الذي يصيب الماعز قد انتقل إليه من الضأن عن طريق آلية طفرات "العبور بين الأجناس".

في هده الدراسة قمنا بدارسة الاختلافات الجينية وذلك بتحليل عدد 18 سلسلة وراثية للجين gag الخاص ببعض الفيروسات البطيئة. الجزء الذي تمت دراسته في المنطقة الجينية MA و CA عند الطرف '5 من الجينوم الفيروسي بين وجود اختلافات جينية كبيرة بين السلاسل الوراثية المدروسة. هده الاختلافات تمثلت في نوعين من الطفرات: الأولى كانت عبارة عن استبدال عدد من النيوكليتدات بأخرى (مثلا: استبدال T بـ G في الموضع 429)، و النوع الثاني من الطفرات عبارة عن حذف عدد من النيوكليتدات (مثلا: حذف TGCAG في الموضع 461–465). الاختلافات الجينية بين السلاسل المدروسة تراوحت من 9,33 ± 0,16% إلي 52,2 ± 0,52%، هده الاختلافات الجينية انعكست على التوزيع الجيني في الشجرة الوراثية للسلاسل المدروسة حيث أعطت أربع مجاميع وراثية: الأولى جمعت السلاسل الوراثية لفيروس 1HIV، الثانية جمعت فيروسات SRLV المختلفة والبعيدة عن المجموعة الثالثة التي ضمت فيروسات CAEV و 1Erh – 6Erh بينما السلاسل الوراثية لفيروس 2HIV كونت مجموعة رابعة مختلفة و بعيدة كليا عن باقي مجاميع السلاسل الفيروسية.

Aljabal Scientific Journal

Peer Reviewed Semiannual Scintific Journal

Published BY

The University Of Aljabal Algharbi

Contact details:

University Of Aljabal Algharb

Main Administrative Building ,Alzintan

Libya

Tel: 0944519275

Email: journal@aau-edu.org

All Copy Rights Are Reserved By ©

The University Of Aljabal Algharbi